

ملحق خاص
١٢ عاماً
على استقلال دولة قطر
العربي
يوسف إدريس يتحدث بالصوت العالي
ظاهرة غريبة: الرمال الموسيقية!
صنعاء بين سحر الماضي وآمال المستقبل

نحن بلا أسرار والآخرون لا يقدمون عن أنفسهم أي معلومات

وثائقنا مكشوفة
ووثائقهم في السرّ والخفاء

بقلم: الدكتور سيار الجميل

لقد كنا نحن العرب ومازلنا نكشف بيسر وسهولة ودون قصد خفايانا لاعدائنا وفى مقدمتهم «اسرائيل» ولنا ان نتساءل بوضوح : هل قرأنا فى يوم من الأيام محتويات وثائق اسرائيلية ؟ او قرأنا يوما محاضر جلسات اسرائيلية فيما بين قادة اسرائيل انفسهم .. وما يطوونه فى الخفاء او بينهم وبين الدول الحليفة لهم منذ قيام دولة العدوان حتى اليوم ؟

الجواب : كلا .. كل ماكتبوه هو المذكرات السياسية .

تعتبر الوثائق السياسية بشكل عام ، من اهم مصادر دراسة التاريخ السياسي الحديث والمعاصر ، نظرا لما تحتويه من حقائق واسرار ومعلومات .. وتزداد اهمية الوثائق السياسية ، وتبرز قيمتها عندما تكون محتوياتها على درجة من الندرة والصدق .. لانها محفوظة ومصانة ولكنها مجهولة المضامين ، لا يعرفها الناس ، ولم تتفش اسرارها بين الجميع .

ان فلسفة الشك التى يجب ان يمارسها اى مؤرخ جاد فى التاريخ السياسي مع جميع مصادر بحثه ، تفرض عليه طبيعة عمله كباحث علمى ان يكون متيقنا فى تعامله مع نصوص وثائقية اصيلة فى كتابته لأى بحث تاريخى فى التاريخ الحديث والمعاصر .. وعلى هذا المؤرخ ان يميز بين الوثيقة السياسية وغيرها من المصادر ، فالبون شاسع واسع - مثلا - بين الوثائق السياسية والمذكرات الشخصية ..

وهذا الامر ينسحب أيضا على مصادر اخرى ، فان طبيعة المواد الوثائقية السياسية كالسجلات الرسمية ، ومحادثات قادة الدول المسجلة ، والمفاوضات السياسية ، ومقررات المؤتمرات السرية ، والرسائل الدبلوماسية ، والمذكرات الخارجية للدول ، وكتابات المسؤولين المحفوظة .. الخ ، كلها لا يمكن ان تقارن مثلا مع احاديث الصحف اليومية ، واخبارها السياسية ، او مقالات المجلات وتعليقاتها ، او الخطب السياسية او الكراريس الاعلامية .. الخ . فالوثيقة اذن : هى ذلك النص الرسمى الأصلى الذى تصدره جهة رسمية فى دولة ما والمحفوظ فى دواوينها بامانة واحتراز .

ما هو الحاضر ؟

ان المؤرخ الجاد لا يمكنه ان يحكم قطعيا على أوضاع الحاضر ، الا من خلال تجاربه العلمية ، ومعلوماته التاريخية عن الماضى .. ويستطيع تعليل الاحداث شفويا من خلال ردود الفعل التى تتجاذبها ، ولكنه ليس من المفيد ان يقرا الحاضر تحريريا ، ويوزع احكامه على مساحاته لان هذا الحاضر لم يدخل بعد فى اسار التاريخ ودائرة الماضى الزمنية .. فالحاضر هو ذلك الموضوع المبهم الذى يحتوى على اسرار كثيرة لا تحصى او تستقصى .. ويبقى الحاضر دائما هو الرجل المجهول لابنائه ، وكلما امتد الزمن تزداد معرفته من قبل احفاده لأنه اصبح ماضيا عندهم .. ان الحاضر يبقى مجهولا فى كل الدنيا . قد تعرف خارطته الجغرافية التى رسمتها لنا الجغرافية السياسية لهذا الحاضر ، وقد تعرف احداثه المتوالدة ووقائعه اليومية واثاره ومعطياته الحضارية ، ولكن كنهه السياسي وطبيعته التاريخية هما فى حكم المجهول . وهنا لا يستطيع المؤرخ ان يرى حقائق الحاضر كاملة .. واضحة وجلية .. او يكون مطلعا على مخفياته ، أو ما يجرى من خطط وسياسات من وراء الكواليس فى عالم تحكمه العلاقات السياسية المعقدة .

وقد يتمكن كل من المؤرخ او رجل السياسة بتعليل طبيعة الظروف التى عبرها اى حدث سياسي كبير .. وذلك من خلال التوقعات والتجارب او المشاركة فى صنع الحدث او المعلومات المبشرة عنه ربطا بالماضى القريب وتكويناته السياسية وقادته ورجاله .. وحلقاته التاريخية المرتبطة فى طبيعتها مع الحاضر بسلسلة معقدة من التراكيب والأحداث .

نستنتج بعد كل ما ذكرناه اعلاه ، بان

الحاضر الذى تحتوى خارطته الجغرافية السياسية لكل الأرض وتقسيماتها الدولية الماهولة بالبشر .. تحتوى على عهود تاريخية متعددة ، تتجدد بين اونة زمنية سياسية واخرى . ورغم ارتباط الحاضر زمنيا بالماضى القريب ، الا ان طبيعة هذا الحاضر مرهونة بظروف مرحلية ترسمها الجغرافية السياسية .. وعليه فلا يمكن دراسة مداه التاريخى الذى يتراوح زمنيا بين ٣٠ – ٤٠ سنة ، دراسة تاريخية جادة ورصينة ، يستطيع صاحبها الخروج منها بنتائج تاريخية هامة ذات وظائف واهداف . وان اية دراسة تاريخية لهذا الحاضر ، او قراءة لبعض احداثه أو رجاله تبقى قاصرة وغير موفية لاغراض البحث العلمى الرصين .. لأن الحاضر لايزال مجهولا مادام حاضراً ، ولأن اغلب معلوماته واسراره ووثائقه وكل مطوياته وفجواته وزواياه خافية عن الاعين .

التقسيمات التاريخية

ولكى نوضح مصداق هذا الجانب الهام بصورة اكثر دقة وشمولية ، علينا ان نطلع على تقسيمات التاريخ ، وذلك نظرا لاهميتها فى هذا الخصوص ، والوقوف عند ما نعنيه .

١ – العصور التاريخية القديمة .
٢ – العصور التاريخية الوسطى .
٣ – العصر الحديث :التاريخ المعاصر الفترات الحديثة .

يجمع المؤرخون اكاديميا فى شتى انحاء العالم على ان التاريخ الحديث للعالم يبدا بفتح القسطنطينية على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م ، باعتبار ان هذا الحدث التاريخى قد غير وجه العالم ، وقلب صفحته التاريخية .. اذ طويت من خلاله آخر حلقات العصور التاريخية الوسيطة ، ودخل العالم القديم اجمعه فى عصر تاريخى اختلفت مميزاته ومواصفاته وموازينه عن تلك العصور الوسيطة . ويعتبر التاريخ المعاصر الذى يبدأ بالحرب العالمية الأولى وينتهى متجدداً – اليوم – بنهاية الحرب العالمية الثانية هو جزء لا يتجزأ من التاريخ الحديث المشار إليه .. وقد اصطلح على ان يكون التاريخ المعاصر متواصلا مع الزمن الحاضر المتجدد الذى نعيشه اليوم مادام هناك شهود عيان لا يزالون على قيد الحياة اليوم .. ومن الذين كانوا قد شهدوا بأم اعينهم بدايات اى تاريخ معاصر . ويعتبر التاريخ المعاصر ذا نهايات متجددة على مر الإيام وتوالى الاعوام . مادامت تلك النهايات لأى تواريخ معاصرة لاتزال قاصرة غير متكاملة فى معلوماتها وابعاد كشوفاتها .. اذ تحتويها وثائق واسرار واوراق خاصة وسجلات رسمية للحاضر نفسه ، ولم يكشف النقاب عن جميعها حتى الآن .

من هنا تنبثق اهمية الوثائق واصولها .. ولاتزال مساحات واسعة الابعاد فى التاريخ المعاصر غير متكاملة فى دراستها ، والكشف عن مخفياتها ، نظرا لضياع أو اختفاء او انزواء العديد من وثائقه واسراره ومعلوماته المهمة .. وخصوصا فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

الوثائق السياسية السابقة بين التقييم والضياع

كان الأستاذ الاديب رجاء النقاش قد نشر قبل اكثر من عشر سنين مقالة فى مجلة المصور المصرية بعنوان (هـذه



مصطفى كامل



محمد فريد

الوثائق مهددة بالضياع)(١) .. شرح فيها اهمية الوثائق السياسية والمذكرات التى كان قد كتبها من تولى مسؤولية مصر سابقا امثال : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول .. والتى انطوت وخفى الكثير والمهم منها عن الاعين . فحجبت بذلك عن التاريخ المصرى المعاصر حقائق لايزال يظما فى الكشف عن اسرارها ليضيء جوانبه ومراحله المختلفة .. والتى يتطلبها حاضرنا بمزيد من الاهتمام والتثمين .

ان المواد التاريخية النادرة كالوثائق السياسية والسجلات الرسمية ، والأوراق الخاصة للمسؤولين العرب السابقين .. والتى ضاع او اختفى اهمها وابرزها خطورة ، أو انها مركونة أو متفرقة فى زوايا احدهم ، أو لاتزال متواجدة دون اهتمام بها بين يديه .. نتيجة لعدم وجود قانون يحفظها بامانة ، ويعمل على صيانتها ، ويكون محترزا عليها اشد الاحتراز .. كلها اسباب تؤدى بالمؤرخ الذى يكتب فى التاريخ المعاصر الى التعب وكثرة المغالطات . اضافة الى ان اختفاء تلك المواد التاريخية الثمينة التى تشكل محتوياتها عناصر صادقة وامينة ومجردة يؤدى الى ضياع مساحات كبيرة من تاريخنا العربى المعاصر .. وان انطمار بعض معلوماتها المهمة او التلاعب بها يؤدى بدون شك الى ضعف تقييم المؤرخ لمن يؤرخ لهم من الرجال السابقين الذين تحملوا مسؤولياتهم السياسية منذ القرن الماضى .

نقد لنشر الوثائق السياسية المعاصرة

كثرت فى الآونة الأخيرة ظاهرة نشر المذكرات السياسية والشخصية .. وقد برزت بصورة واضحة عند البعض من الساسة المصريين الذين كانوا قد تولوا مناصب سياسية عليا خلال فترة الستينيات أو السبعينيات . وقد تجاوز البعض اللغة العربية لينشر مذكراته او كتاباته السياسية باللغة الانكليزية .. وليس فى ذلك حرج مادامت تلك الكتابات لم تخرج عن نطاق صيغة المذكرات الشخصية ، او الآراء والافكار .. التى تنفع من سيكتب فى المستقبل فى التاريخ وعلى الأخص فى تاريخ العلاقات السياسية التى








سعد زغلول — مناحيم بيجن — موشى ديان

حكمت الفترة . من طرف اخر ، نود ان نذكر لكل من يرغب بنشر مذكراته للناس ان يكون امينا فى تسجيلها ، وصادقا فى نقل الاحداث ، ودقيقا فى رسمه لجميع المواقف وعادلا فى احكامه بالنسبة لمن يتحدث عنهم .. والا يكون متسرعا فيما يكتبه ، بل عليه ان يكون مترويا ، وان يعصم كتاباته من اغراض الصحافة اليومية او الاسبوعية .. ومن النفع المادى الصرف .

لقد جازف البعض فى نشره لوثائق هامة من خلال نشره لمذكراته التى اطلق عليها عنوان (مذكرات — وثائق واسرار ووقائع) ان ما نشره فى مذكراته هذه التى لا يوجد فيها اى شىء يخصه باعتباره صاحب المذكرات ، هو نشره لنصوص محاضر جلسات هامة بين قادة دول .. التى تعتبر من الوثائق السياسية الهامة ، وقد ذكر ناشرها صاحب المذكرات بان تلك المحاضر لجلسات رسمية او سرية لرؤساء دول كان قد استنسخها بحكم وظيفته الرسـمية واحتفظ بهـا فى دفاتره الخـاصة .

ان من الضرورة بمكان ان نوضح لهؤلاء السادة وللمسؤولين فى الدول العربية ، ومن وجهة نظر تاريخية وعلمية بحتة ، بان ليس لأى فرد من الافراد او مسؤول من المسؤولين السابقين او لمن لحقهم بعدهم .. الحق ابدا لأن يحتفظ بمعلومات رسمية ووثائق سياسية هى غاية فى الخطورة والاهمية وذلك فى اوراقه او دفاتره الخاصة .. وليس من حق اى منهم ان يسجل لنفسه فى دفاتره الخاصة الشخصية وثائق ومحاضر واسرار جلسات رسمية او سرية لرؤساء دول على سبيل المثال .. ثم ليس من حقه ايضا ان يقتنص لنفسه ايضا اهم ما يمكن للدولة ان تعتز به وتحترز للمحافظة عليه ..

ولا ادرى كيف يتم السماح لأى موظف رسمى او مسؤول سياسى فى اية دائرة سياسية عليا او هيئة دبلوماسية بان ينسخ لنفسه محاضر جلسات رسمية ، ثم ينشرها لنفسه بعد ذلك باسم وثائق .. لقد جرى مثل هذا التعامل والنزوع فى اكثر من دولة عربية .. فقد نشر احدهم قبل سنوات طويلة كتابا يتألف من عدة مجلدات فى تاريخ وزارات تلك الدولة .. وتتألف مادة ذلك الكتاب من محتويات اضابير ووثائق رئاسة مجلس وزراء تلك الدولة ، والتى كان مؤلف الكتاب المومى اليه احد الموظفين فيه . ولقد انتبهت تلك الدولة الى هذه الناحية الخطيرة ، فاسست لها مركزا وطنيا لحفظ وثائقها القديمة والحديثة .

لماذا حفظ الوثائق السـياسية المعاصرة ؟

هنالك اسباب عديدة تحول دون نشر الوثائق الرسمية لأى دولة ومعلوماتها السياسية واسرارها العسكرية ، وسجلاتها واضابيرها .. وذلك خلال الحاضر الذى نعيشه ، باعتبار ان تلك المواد التاريخية الثمينة لم يمض عليها فترة زمنية اجتازت من خلالها الحاضر ومراحله وظروفه وتحدياته ، ونظرا للعوامل الاساسية التالية :

١ — خطورة بعض المعلومات والاسرار التى تحتويها تلك المواد فى المـرحلة الحالية .

٢ — القيمة التاريخية لمحتويات تلك المواد فى المستقبل .

٣ — ملكية الدولة الرسمية لتلك المواد وجميع محتوياتها .

٤ — الحفاظ على مصالح الأمة وخططها فى الحاضر والمستقبل .

٥ — عدم ملاءمة الأوضاع المحلية والدولية ، والظروف المرحليـة والاستراتيجية .

اما من ناحية حفظ الوثائق ، وصيانتها ضمن اجراءات احترازية فيقع كل ذلك على كاهل الدولة ومسؤوليتها المباشرة . وتعتبر الاجراءات الاحترازية لصيانة الوثائق والحفاظ عليها من اهم الاعتبارات التى تعنى بها اية دولة .. وذلك بتجرد وامانة ، اذ لا يسمح ابدا بتسرب المعلومات التى تحتويها تلك الوثائق . ان اية دولة عربية بحاجة الى اجراءات كفيلة بحفظ اوراقها ومعلوماتها ووثائقها ، ويستوجب الأمر بان لا يطلع عليها اى شخص سواء كان عربيا ام اجنبيا مهما كانت الدواعى والاسباب .. وذلك حفاظا على مصالح الأمة فى المستقبل المنظور ام البعيد ، الا بعد مضى عقود محددة من السنين من عمر تلك الوثائق .. وهذا هو ما متعارف عليه عند الدول التى تبغى ان تكون مصالحها الوطنية والقومية فوق اى اعتبار اخر ..

ان اغلب الدول المحترمة فى العالم اليوم تخطط بامانة وتجرد خاص بها وبابنائها حسب ما تقتضيه مصالحها العليا والدنيا من اجل بناء مستقبلها او بناء مستقبل اجيالها .. وقد املت العديد من الاجراءات بهذا الصدد ، نظرا لاهميته البارزة والواضحة للجميع .

ان تلك الدول لا تنشر وثائقها واسرارها بين الناس وللعالم اجمع فى صحف يومية .. بل تحتفظ بها فى مراكز للسجلات والوثائق خاص بها . ولفترة لا تقل عن ثلاثين عاما باى حال من الاحوال ، اذ تسمح بعد انقضاء تلك الفترة لاولئك القلائل من المعنيين والمؤرخين المختصين ، لكى يطلعوا على بعض محتويات تلك الوثائق او السجلات او النصوص وضمن

اجراءات خاصة فى المراكز نفسها ، من ابسطها ، على سبيل المثال انه لا يجوز استعمال قلم الحبر اثناء استنساخ بعض المواد أو المعلومات كيلا تصاب تلك الوثيقة اثناء استعمالها باى خدش او تحبير .. اضافة الى المراقبة والاعتناء الامثل فى استعمال اية قصاصة تحتوى على معلومات وثائقية .

من جانب اخر ، فان تلك الدول لا تمنح حق الاستعمال او حتى الاطلاع على بعض الوثائق الخطيرة التى مضى عليها زمن طويل يتجاوز خمسة او ستة عقود من السنين . اضافة الى كل هذا وذاك ، فهناك الفهرسة والجدولية لجميع الوثائق التى يحتفظ بها اى مركز او مكتبة او ديوان .. وتشمل الفهرسة التبويبية فمثلا هناك الرسائل الدوبلوماسية ، والمذكرات السياسية الخارجية ، والخطط الحربية ، العقود السرية .. الخ . اضافة الى الفهرسة الجدولية بالاسماء والاماكن والاحداث ، والسنوات والشهور والايام .. الخ . والفهرسة الرقمية التى تعطى لكل وثيقة رقما لها حتى ولو كانت تلك الوثيقة قصاصة صغيرة من الورق الاصفر والتى تجاوز عمرها اكثر من مائتى عام .

ان اهم ما تحتاجه الدول العربية اليوم ، هو تجميع وثائقها كافة وحفظها فى مراكز امينة ، ودواوين رسمية .. وان يتجرد لذلك اناس لهم اختصاصهم وتجردهم ونزاهتهم وغيرتهم على وطنهم وامتهم ومستقبلهم .. ولهم سمعتهم الرسمية ليحفظوا بامانة واحتراز مجاميع الوثائق السياسية العربية ، اضافة الى مختلف المواد الثمينة والنادرة من سجلات واضابير ومعلومات فى مختلف الاختصاصات .. وان تسن قوانين خاصة بهذا الصدد تخول تلك المراكز الوطنية لحفظ الوثائق اجراءات كاملة بخصوص الحفظ والرقابة والتدقيق .. وان تصدر اجراءات حاسمة لمحاسبة ومعاقبة اى مسيىء من الذين لم يمتثلوا للاصول والحقوق .. او يجازفون فى نشر اية وثيقة كانت من اجل مصلحة مادية او شخصية وهى ليست من ممتلكاته الشخصية .. او استعمالها بدون ترخيص رسمى . وهكذا يجب ان تنسحب الاجراءات نفسها على اية صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية ، أو دار نشر .

وفى هذا المجال ، لا يحق حتى لرئيس الدولة المقيد بدستور بلاده او امته ان يحتفظ لنفسه بوثائق عهده ، أو وثائق عهد الحاكم الذى سبقه فى حكم البلاد . فليس لهذا الرئيس او اى احد من المسؤولين فى عهده ، الحق لان يحرف ما تتضمنه تلك الوثائق ، أو يتلف ما يروق له منها ، من الضرورى ، ان يطلع عليها بين اونة واخرى ليستفيد منها فى رسم سياسة بلاده ، ولكنها تبقى فى جميع الاحوال من ممتلكات الدولة الخاصة .

ان الحد الادنى لنشر الوثائق السياسية العربية ، يجب الا يقل عن اربعين عاما ، نظرا لوجود اسباب استراتيجية ومرحلية لا يمكن تجاوزها ، منها الاوضاع الصعبة ، والظروف الراهنة التى تمر بالامة .. والعلاقات السياسية لهذه الامة كمنظومة دولية فى المجتمع الدولى مع المنظومات الدولية الاخرى .

لقد كنا نحن العرب ، وما زلنا نكشف بيسر وسهولة ودون قصد خفايانا لاعدائنا وفى مقدمتهم (اسرائيل) . ولنا ان نتساءل بوضوح : هل قرانا فى يوم من الايام محتويات وثائق اسرائيلية ؟؟ او قرانا يوما محاضر جلسات اسرائيلية فيما بين قادة (اسرائيل) انفسهم .. وما يطوونه فى الخفاء ، او بينهم وبين الدول الحليفة لهم منذ قيام دولة العدوان حتى اليوم ؟؟ الجواب : كلا .. كل ما كتبوه هو المذكرات السياسية (٢) .

وقبل ان نغلق مناقشة قضية نشر الوثائق السياسية العربية ، ومعالجة حفظ هذه الوثائث .. نود ان نذكر بشىء من التركيز ، العوامل التاريخية التى ادت الى اندفاع البعض ، للقيام بمهام نشر بعض الوثائق او المذكرات .. فالفترة التاريخية التى يمر بها العرب ـ اليوم ـ هى من الفترات التراكمية التى تعج بالاحداث ، وتزدحم بالوقائع التاريخية المريرة ، ومن هنا ، يبقى اصحابها بانتظار وتتبع خوافيها وصولا الى تحقيق افضل الصيغ لمعالجة الواقع الممزق ، والخلل الذى طغى على كل المساحات والجوانب والزوايا .. والأسباب واضحة جلية يدركها كل عاقل يعى حقائق الامور ، ويبصر العوارض ، ويميز بين الاعراض والجواهر ، ويدرك الفوارق وعظم الاختلافات التى تفصل كل يوم عما قبله .. كما ويرى القدرات الضائعة فى بحر من التشتت امام اعظم التحديات التى تواجه هذه الامة فى حاضرها ومستقبلها .

ولكن العلاج لا يكمن فى نشر الوثائق السياسية لهذا الحاضر ، بغرض تبصرة الناس ، والانتفاع من التجارب العقيمة لمن مضى من الساسة .. او ايجابياتهم وسلبياتهم . المهم ان التحديات التى تواجه هؤلاء الناس ، هى اكبر من ان تعالجها وثائق سياسية ، لا يستفيد منها الاستفادة الاكبر الا الاعداء .. وان نشرها لا يزيد فى الواقع الا تشتتا ، والافكار الا تشوشا ، والناس الا تشرذما ، واختلافا ، وتمزقا .

فى ختام هذا الحديث ، أود ان اقول اننا بحاجة الى العقلية البنائية فى دراسة تاريخنا الحديث والمعاصر ، وتحليل عناصره ، وسد فجواته ، وايضاح علله ، وتبيان خفاياه .. من خلال البحث عن حقائقه على الوجه الافضل ، لنستفيد من خبراته ، وننتفع من مواده واثاره ووثائقه .. والا يقفز أى مؤرخ لينشر على الناس وثائق قريبة العهد ، خطيرة الجوانب ..

اما من يكتب لنا مذكراته ، فعليه ان يبين دوره الأساسى هو نفسه فى الاحداث التاريخية ، اذ ان للمذكرات اهمية بالغة وخصوصا اذا احتوت على حقائق وخفايا وأسرار ومواضيع تثير الاهتمام والدراسة .

ونعود مرة أخرى لنذكر بخصوص قضية الوثائق السياسية ومسؤوليتها البالغة بخصوص حفظها .. وهذا ما نرجو ان يتحقق فى قابل ، فالذى لم يتمتع باصول الحفظ ، والاحتراز ، والتدقيق ، والتمحيص ، والجمع ، والتحقيق بصدق وامانة لهذه المواد الثمينة ، فسيتحمل مسؤولية التاريخ وعواقبه ، ومحاسبة الأجيال على رحبها لفعله فى ضياعها او ضياع قيمتها(٣) .

سـيار الجميل

جامعة سانت اندروس / اسكتلندا

هـــوامـــش

(١) انظر : مجلة المصور المصرية ، العدد ٢٥٠٠ ، الصادر فى ٨ سيتمبر ١٩٧٢ .

(٢) د. سيار الجمل ، حول نشر الوثائق السياسية العربية ـ نقد ـ ، صحيفة الشرق الأوسط الصادرة فى لندن ، العدد ١٦٣٩ ، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢٥ .

(٣) د. سيار الجميل ، الأمانة العلمية والمسئولية التاريخية للبحث العلمى ، مجلة جامعة الموصل ، العدد ١ ، السنة الثالثة ، ١٩٧٣ .

حتى لا يسقط شبابنا في أوهام خاطئة

موقف الغرب من الدين

بقلم: الدكتور عون الشريف قاسم

هناك فكرة شائعة هى ان الغرب لم يعد مؤمنا بالدين ،ولم يعد مرتبطا باى عقيدة سوى عقيدة «المادة» و «التقدم المادى»...
فهل هذه الفكرة عن موقف الغرب من الدين حقيقية او انها وهم من الاوهام ؟!

يظن كثير من الناس ان اوروبا التى قامت حضارتها الراهنة على مبدأ العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع العامة ، بحيث يصبح امرا شخصيا ، قد تخلت بذلك عن دينها ،

وانتهجت فى حياتها العامة والخاصة منهجا ماديا إلحاديا ، لا يشغل الناس فيه سوى تحسين مستواهم المادى فى هذه الدنيا ، دون إلتفات لدين ، او انتظار لاخرة . وهو ظن واهم ، يحكم على الأمور بمظهرها ، دون التعمق فى مخبرها . إذ اننا لو تجاهلنا للحظة المعنى الفعلى للدين فى حياة الغربيين عامة ، وقسنا الامور بظواهرها ، لاكتشفنا من الشواهد الماثلة ما يدل على عمق روح الدين فى المجتمعات الاوروبية .

ونظرة سريعة الى الرمز القومى او الوطنى لكثير من الدول الغربية ، وهو العلم ، ترينا ان الصليب هو الرمز الذى يتكرر فيه بشكل او باخر ، كما هو الحال فى العلم اليونانى والسويسرى والدنماركى والسويدى والنرويجى والايسلندى والبريطانى والكندى والاسترالى والنيوزيلندى وغيرها . وليس هناك من ديانة فى العصور الحديثة نشط مبشروها ودعاتها فى ارجاء العالم مثلما نشطت المسيحية ، ديانة الغرب . وقد انتشرت المسيحية فى القرون الاخيرة انتشاراً فاق اضعافاً مضاعفة كل ما احرزته من نجاح منذ قرنها الأول . وكل هذا تم فى نفس الوقت الذى انتصرت فيه العلمانية على الكنيسة منذ حوالى اربعة قرون .

والدين ما يزال يلعب دوراً كبيراً فى توجيه الحياة السياسة فى كثير من الاقطار الاوروبية . ويكفى على ذلك شاهداً نفوذ الاحزاب المسيحية فى بعض هذه الاقطار ، مثل المانيا وهولندا وسويسر والنرويج وفرنسا وايطاليا والنمسا وايرلندا وغيرها . وقد اجاز الكونجرس الأمريكى قبل فترة قراراً يجعل من الشعار (بالله نثق) شعاراً وطنياً ، وهو الآن منقوش فى ظهر كل ورقة دولار امريكى قلت قيمتها او كبرت . واقترحت احدى لجان الكونجرس ان يكون الايمان بالله احد شروط الالتحاق بالخدمة العامة . ورغم ان التعليم الرسمى الامريكى لا يدخل الدين فى حسابه بمقتضى الدستور ، إلا أن الاتجاه العام يميل فى السنوات الأخيرة إلى العناية بالدين ، كما برز فى توصيات لجنة التعليم لمدينة نيويورك عام ١٩٥٥ التى تحث المدارس العامة الحكومية (لتشجع الايمان بالله معترفين بالحقيقة البسيطة ان امتنا امة متدينة) . ورغم ان الدستور الامريكى فى جوهره كان ممثلا للاتجاه البروتستانتى

فى فصل الدولة عن الدين ، لأن معظم المهاجرين الى امريكا من المضطهدين دينياً بسبب خلافاتهم الدينية البروتستانتية ، إلا ان روح التدين فى اوساطهم من ناحية عملية ، كانت وما تزال عالية ، بسبب هذا الالتزام القديم .

ومن الملاحظ ان الجمعيات الكنسية والتبشيرية فى طول العالم الغربى وعرضه ، تشكل جهازاً من اقوى اجهزة التاثير الفكرى والسياسى بما تملكه من اموال ، وبما يقوم به العلماء والباحثون فيها من جهود . ويكفى مثالا على ذلك جريدة (الكريستيان سينس مونيتور) الامريكية الواسعة الانتشار على نطاق العالم . وهى جريدة دينية تنشرها جماعة تتخذ من العلم الطبيعى سبيلا إلى تدعيم المسيحية ، وتذهب إلى ان المسيحية ذاتها علم وطب قائم بذاته .



● الثورة الدينية

ومن الواضح ان النهضة الاوروبية الاخيرة قد سبقتها ثورة دينية اعادت إلى الدين فعاليته فى نفوس عامة الناس . وقد كان الانقسام الكبير الذى شطر الكنيسة الى فئتين : كاثوليكية متمسكة بالمسيحية التقليدية ، التى تمثلها سلطة البابا الروحية ، وبروتستانتية رافضة لسلطته ، فاتحة لباب الاجتهاد فيما يتعلق بالمسلك الدينى ، كان هذا الانقسام فى جوهره بداية وعى جديد ، استعادت به اوروبا قدرتها على الحركة فى كل الميادين بعد ان ازالت القيود الفكرية والسياسية التى كبلتها بها الكنيسة منذ اواخر الدولة الرومانية . وقد كانت سلطة الكنيسة طاغية مهيمنة على كل حياة المجتمع . فهى التى تضع للناس المعايير الفكرية والاجتماعية ، وما عليهم إلا الطاعة والانصياع ، وقد كانت للكنيسة فى هذا المجال اراء محددة ، مثل رايها فى طبيعة الكون الفلكية ، الذى جاءت الكشوف العلمية مخالفة له ، فوجد العلماء مثل كوبرنكس وجاليلو الاضطهاد ، واحرق بعضهم فى محاكم التفتيش التى نصبت لمحاكمة المفكرين والعلماء . ومن اجل ذلك اتسم الخلاف مع الكنيسة بالمرارة والعنف



جاليليو



كوبرنيكوس

فى مجال الطبيعيات وغيره من المجالات الاجتماعية ، التى سعت الكنيسة بواسطتها للتحكم فى حياة الناس ، مثل شهادات صكوك الغفران ، التى كانت تباع للعامة باغلى الاثمان لتضمن لهم الفوز بالجنة فى الآخرة ، وكانت تدار على اساس رسمى فى الدوائر الكنسية .

وقد كان فى نشاط الكنيسة الاقطاعى ، وسيطرتها على كثير من اوجه الحياة الاقتصادية ، مايحول بين الطبقات الجديدة والتوسع فى مجال التجارة والصناعة . ولاعجب من ثم ان راينا الدوائر البروتستانتية ترفض كثيراً من التعاليم الاقتصادية التى كانت تنادى بها الكنيسة ، وعلى راس ذلك تحريم الربا فقد كان سعر الفائدة هو عصب الحياة للاقتصاد التجارى الجديد . واتباع ما تنادى به الكنيسة فى هذا المجال حكم على الحركة المالية التى يسيطر عليها بالتوقف والبوار ، ومن ثم ارتبطت الحركة الراسمالية فى العالم الغربى بما يسمى بالاخلاقية البروتستانتية ، التى تشجع جمع المال ومواصلة العمل لتحسين مستوى الحياة المادى مع التمسك بروح الدين ، وهى اخلاقية مخالفة فى جوهرها لروح الزهد والتنسك والبعد عن الدنيا التى تدعو لها المسيحية فى اساسها الاول .

المنحى المادى

ورغم ان الانقلاب الدينى الذى تم فى اوروبا ، كمقدمة للانقلاب الاجتماعى والفكرى فى القرن الخامس عشر الميلادى قد رد المسيحية الى وضعها الطبيعى فى حياة المجتمع كما فهمه الغربيون ، بان تكون دينا يصل بين الفرد وربه ، ولايتدخل فى حياة الناس العامة ، إلا بما يحفظ هذه الصلة بين الفرد وربه . إلا ان حدة الخلاف بين الجانبين قد دفعت كثيراً من المجموعات المثقفة الى الثورة ، لاعلى الكنيسة فحسب ، وانما على الدين ايضاً ، كما هو واضح من منحى الحركة العلمية الغربية التى تقوم فى كثير من جوانبها على رفض فكرة الدين ، وانكار وجود الله . ولكن جوهر الموضوع ليس هو هذا الخلاف الجانبي بين العلماء ورجال الدين وانما هو (جعل المبادىء الاخلاقية المسيحية ، كما تمثلها كلمات السيد المسيح وحياته ، ذات اثر فى الحياة اليومية لدى القسيس والرجل العادى على السواء . اذ ينبغى أن يحيا الناس فلسفة المسيح ، لا أن يضعوها موضع الجدل) كما قال المصلح الدينى الهولندى إرازمس (١٤٦٦ ـ ١٥٣٦م) . ومن المؤكد انه رغم النظرة الالحادية التى تتجلى فى جوانب الحضارة الغربية ، فان الاتجاه الجماهيرى العام كان يميل الى رفض الشكليات الدينية ، التى قتلت بها الكنيسة التقليدية روح الدين فى حياة الناس العامة ويسعى الى تاكيد الفضائل الفردية التى جاءت بها المسيحية ، وعلى راسها البر والاحسان والمحبة .

وهذا الاتجاه الجديد فى النظر الى الدين ، باعتباره ممارسة وسلوكا شخصيا يلتزم المرء فيه باخلاقيات محددة ، بدل النظرة الرسمية التى تجعل من الدين جهازاً او مؤسسة ذات طقوس وقوانين وجيوش من الوسطاء بين الله وعباده ، هذا الاتجاه هو الذى فتح المجال امام الشخصية الأوروبية والغربية عامة لتحيا من جديد ، مكتشفة بذلك ذاتها الضائعة فى

موقف الغرب من الدين



رجاء جاردوى



ارازموس

متاهات القرون . وقد استطاعت بهذه الاخلاقية أن تعيد تشكيل حياتها الاجتماعية والسياسية ، بعد ان اعادت ترتيب حياتها الروحية والفكرية والوجدانية ، وخرجت على العالم ، وهى مرتكزة على دعامة قوية من الايمان بتراثها وحضارتها ولذلك لا عجب ان رجال الدين الاوروبين هم طلائع الزحف الاوربى فى كل مكان ، ولاباس هنا أن نقتبس مقالة جومو كينياتا رئيس كينيا السابق فى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) : «لقد جاءوا الينا والانجيل فى أيديهم والأرض فى ايدينا ، فاصبح الانجيل فى ايدينا والأرض فى أيديهم» . وقد يقول الناس إن حركة نشر المسيحية فى العالم على ايدى الاوربيين ليست فى حقيقتها سوى جزء من الحركة الاستعمارية

ولا يراد بها وجه الدين ، ولكن الحقيقة تبقى انه لو لم يكن للدين مكانة فى حياتهم لما بذلوا كل هذه الجهود فى سبيل نشره كجزء من ثقافتهم او كعنصر مكمل لقوميتهم او كاداة من ادوات سيطرتهم .

وفى ذلك شاهد على أن أى تقدم بشرى حقيقى لابد أن يرتكز فى اساسه على فهم جديد للدين يتمثل به الناس روح العقيدة وينقلونها من مجال النصوص والطقوس الى مجال السلوك وحركة الحياة العامة .

ولا جدال فى ان قوة الحضارة الغربية رغم ماديتها ومنحاها العقلانى ، تكمن فى روحيتها التى انعكست لفترات طويلة على حياة الناس العاديين فاصبحوا يتحلون بكثير من الصفات الخلقية التى شهد بها الشيخ محمد عبده حين ذهب الى اوروبا فى ختام القرن الماضى فراى كما قال قوما يتحلون باخلاق الاسلام دون أن يكونوا مسلمين فى حين كان المسلمون الذين يدينون بالاسلام ابعد ما يكونون عن اخلاق الاسلام . لانهم كانوا ومازالون يعيشون الانهيار الحضارى الذى الم بهم منذ قرون ولما يتمكنوا بعد من إعادة فهم دينهم فى ضوء المتغيرات الجديدة كمقدمة لبعثهم الحضارى المرتقب .

أوروبا متمسكة بدينها

صحيح أن التطور المادى المذهل الذى قاد به الغرب العالم لابد أن يترك اثاره القوية على الفكر الدينى ، ولكن اليس ذلك هو الوضع فى العالم اجمع ؟ الا نشكو نحن ، مع اختلاف نظرتنا الى الدين ، من المشاكل التى تبعد الناس عن دينهم كل يوم كما يشكو علماء الدين فى أوروبا ؟ ولكن الناس فى أوروبا يجيلون النظر فى كل ما يجرى فى حياتهم من تطور ، ويعملون أذهانهم مجتهدين فى تعميق فكرهم الدينى بما يتلاءم وتطور الحياة من حولهم ، ولذلك نشهد فى هذه السنوات الاخيرة بعثا دينيا جديداً فى كثير من الاقطار الاوروبية والغربية عامة . وما اتجاههم نحو الديانات الشرقية عامة ، إلا لادخال عنصر الصوفية والروحية التى افتقدوها بسبب زحمة الحياة المادية .

وقد واجهت المسيحية بمذاهبها المختلفة تحديات كبيرة من قبل التطور الاجتماعى الكبير الذى دفع بكثير من الناس للبحث عن البديل فى النظريات العلمية أو فى الديانات الشرقية ، وكل ذلك شحذ من عزائم المهتمين بامر الدين المسيحى للمناداة بتوحيد المذاهب مما تركز فى السنوات الأخيرة فى حركة توحيد المسيحية التى يشترك فيها الكاثوليك والبروتستانت بغرض الوصول الى الحد الأدنى من الاتفاق العضوى والايمانى الذى يمكنهم من تجميع الصفوف للوقوف امام هذه التحديات .

ولعله من المفارقات فى هذا المجال انه رغم هذا التعطش الروحى الذى يجتاح الغرب ورغم حماس مبشريه وسعيهم الكبير لتنصير العالم فان هناك تقلصاً واضحا فى عضوية الكنائس المختلفة فى الغرب ذاته ، وبرز الشح فى أعداد المنخرطين فى سلك الرهبنة والقسس ، هذا فى الوقت الذى زاد فيه اهتمام كثير من مفكرى الغرب وشبابه باديان اخرى خاصة الشرقية منها ، وليس ببعيد تعمق الدوس هكسلى فى ديانات الصين والهند ، واعتناق كثير من المفكرين الاسلام مثل داود كون الأستاذ بجامعة لندن ، ومحمد اسد ، وموريس بوكاى ، ورجا جارودى . وفى ذلك إشارة الى أن المسيحية التى جردها الغرب من فعاليتها المستمدة من بين الله الواحد الذى انزله اليه منذ ادم لتطوير حياة البشر المادية والروحية ولتنظيم مجتمعهم لاحداث التوازن المطلوب بين حاجات الروح وحاجات الجسد ، هذه المسيحية كما فهمها الغرب لم تعد تلبى حاجات الناس فى مثل هذه المجتمعات الغربية المعقدة التى انهارت فيها انسانية الانسان تحت ضغوط التطور المادى المذهل ، فسعى الناس الى البحث عن مخرج مما هم فيه من ازمة روحية تهدد وجود الانسان كانسان .

إن القول بان اهل اوروبا تخلوا عن دينهم ، فلنفعل نحن مثلهم ، قول فيه من الخطر اكثر مما فيه من الجهل ، فان نهضة أوروبا الحديثة نهضة قائمة على ثورة دينية سعت الى السيطرة على العالم ، لا بالآلات والأسلحة فحسب ، وإنما بالفكر والارتكاز على المقومات الروحية للشخصية الاوروبية فى إطار الزمان والمكان .

د . عون الشريف قاسم ـ الخرطوم

فلنتنبه إلى هذه الحقائق :

كتاب يجب أن يقرأه كل مسئول وكل مواطن عربي !

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

هذا كتاب اتمنى ان تتاح قراءته لكل مسئول وكل مخطط ، وكل مرب ومفكر وموجه ، وكل أب وأم ، بل وكل مواطن .. فى دول الخليج العربية .
وأن يقرأه الجميع ، جميع من ذكرت ، من موقع الرغبة فى معرفة الحقائق كما هى ، ومن موقع المسئولية وتحملها ، ثم العمل على تصحيح ما يجب تصحيحه ..

فهذا الكتاب أولا ، من الكتب القليلة ، وأكاد اقول النادرة ، التى تصارحنا بحقائق حياتنا ومجتمعاتنا كما هى .. دون تزويق ودون رتوش ، وهذه فضيلة كبرى تحتاجها أمة تمر بظروف عصيبة وتريد ان تؤسس مستقبلها ومستقبل اجيالها على الحقائق والوقائع الصلبة وليس على الاحلام والآمال وحدها .

وهو ، ثانيا ، يعالج ناحية أساسية جدا فى بناء المستقبل وهى الناحية التربوية فى مراحلها الأولى حيث تتاسس اللبنات الأولى للبنيان الاجتماعى ، وحيث تتقرر مسارات المستقبل فى الاتجاه السليم او الاتجاه الآخر .. حسبما تكون التربية ..

ثم انه يضع يده على الجرح الحساس فى هذا الموضوع وهو جانب الاهدار فى هذه العملية التربوية التاسيسية .

وما معنى ان يكون هناك إهدار تربوى ؟

ولماذا تكون لهذا الاهدار التربوى الخطورة والأهمية اللتين نشير اليهما ؟

لندع الكتاب يتحدث عن نفسه ، وهو بعنوان (دراسة مقارنة للاهدار التربوى فى دول الخليج العربية) .

يقول : « من المعروف ان دول المنطقة (منطقة الخليج العربي) تسعى جاهدة الي نشر التعليم وتعميمه تحقيقا لمبدا تكافؤ الفرص التعليمية لكل ابناء الشعب .. والارتقاء بمستوى التعميم او الالزام إلى ما بعد المرحلة الابتدائية ، ولابد قبل هذا الاجراء من توفير الضمانات الكافية لتحقيقه ، والتحقق من المشكلات التى تعترضه . ومن هذه المشكلات ظاهرة الاهدار بسبب الرسوب أو التسرب ، وذلك لان تسرب أعداد كبيرة من التلامذة قبل إكمال المرحلة الابتدائية ـ وهى الحد الأدنى من التعليم الذى ينبغى ان يتزود به كل مواطن ـ عائق يقلل من جدوى هذا الهدف ومضمونه ، إضافة الى تبدد الأموال المصروفة له ، كما ان ارتفاع نسب الرسوب العالية هى الاخرى مشكلة تزيد من كلفة التعليم ، وليس هذا فحسب ، بل ان أعداد الراسبين سيشغلون مقاعد صيفية كان من الأولى أن يشغلها تلامذة جدد . ثم لا يفوتنا ان نذكر ان دول المنطقة كافة قد

الإهدار التربوي في دول الخليج العربية

كتاب يجب أن يقرأه كل مسئول وكل مواطن عربي !

باشرت منذ أمد ليس بالقصير مهمة القضاء على مشكلة الامية ، ورصدت لهذا العمل اموالا طائلة .. ولكن .. إذا بقيت مشكلة التسرب قائمة على ما هى عليه ، فان هدف القضاء التام على الامية سيكون هدفا بعيد المنال ، وذلك لان التعليم النظـــامي ، وخصوصا المرحلة الابتدائية فيه ستمون باستمرار اعداد الاميين ، وتقلل من فاعلية الجهود المبذولة فى هذا الشان . لقد اثبتت العديد من الدراســات ان المتسرب فى الصفوف الاربعة الاولى من المرحلة الابتدائية سرعان ما يرتد الى الامية ، بعد عامين من تركه الدراسة . والــواقع ان ما ينجم من اضرار عن ظاهرتي الرسوب والتسرب من الكثرة مما لا مجال للتطرق إليها فى إسهاب » ـ راجع ص ٢٢ ـ ٢٣ من الكتاب .

هذا الطرح للمشكلة هنا يأتى بصيغة اختصاصية تربوية نابعة من طبيعـــة الكتاب نفسه ، ولكن عندما نتابع مشكلة الاهدار فى دوائرها الاجتماعية ، الاوسع من دائرة المدرسة ، نتنبه الى جذور هذه المشكلة فى الاسرة او البيت ، وفى الحياة الاجتماعية ككل ، وفى التوجهات العامة لمجتمعاتنا على كل الاصعدة ، وهذا ما يعطى الكتاب اهميته ، ويجعل منه نموذجا صالحا لمعالجات ودراسات عديدة اخرى فى النطاق التربوى وفى غيره من المجالات الحيوية الأخرى كالمجال الانمائى .. والمجال الاعلامى والحياة الاجتماعية العامة ..

فاذا كان التربويون يصارحون المجتمع بما لديهم من اهدار ، فلماذا لا يحذو حذوهم ، فى هذه المصارحة المحمودة ، الانمائيـــون والاعلاميـــون والصحيـون والاجتماعيون ليحددوا ما يحدث لديهم من اهدار ، ويشخصوا اسبابه ، ويرسموا وسائل تلافيه ، ليتمكن المجتمع من مواجهة جوانب الهدر فى مختلف انشطته ومجمل أوجه حياته . فالمعالجة الشاملة للاهدار هى الاجدى لانها تسد كل الثقوب فى السفينة فى وقت واحد ، ولا تترك ثقوبا مفتوحة فى جانب لتكتفى بسد ثقب او اثنين فى جانب اخر .. وترشيد الانفاق اليوم يتطلب مثل هذه المعالجة .

هذا هو الافق البعيد الذى يضيئه هذا الكتاب بتوجهاته . ولكن لنبق فى النطاق الخاص للاهدار التربوى لنوفى مادة الكتاب حقها ، قبل ان نتفرغ لاستنتاجاتنا الفكرية العامة ..

فى فصل تقييم النتائج وتحليلها ، يتوصل الكتاب إلى الخلاصات التالية :

إن التسرب الكبير الحاصل فى المرحلة الابتدائية بالذات تنجم عنه خمس نتائج تربوية وانمائية واجتماعية سلبية ، لابد من التنبه الى اثارها على الصورة العامة للمستقبل ، وهى :

اولا : التسرب يعيد المتسرب إلى مستوى الاميين فى المجتمع ، ويزيد مشكلة الامية ، ويقلل من فاعلية مكافحتهـــا ، بالاضافة الى كونه تعبيرا عن اخفاق فرد من الجيل الجديد فى دخول العمليـــة التربوية المؤدية الى العملية الحضارية الشاملة التى اعدتها الدولة لابنائها .. وهذا يعني ان المتسربين سيكونون في جانب . وان خطة التحضير الشاملة ستكون في جانب اخــر ، بكل ما يحملـــه ذلك من ازدواجية وانشطار فى البنيان الاجتماعى .

ثانيا : إن المتسربين سيلتحقون مستقبلا بسوق العمل دون كفاءة او خبرة ، وبالتالى فان التنمية التى تحتـــاج الى كفاءات عالية ستضطر للاعتماد على العمالة الاجنبية المدربة ، ولكن هذا كما هو معروف يعاكس توجهات دول المنطقة للاعتماد على الذات ، وتجنب محاذير التوسع فى العمالة الاجنبية وما تتركه من اثار على النسيج الاجتماعى العام وعلى المصير القومى .

ثالثا : عدم قدرة الاميين والاقل حظا فى التعليم من الافادة بصورة نافعة وجيدة من الخدمات التى تقدمها الدولة كالخدمات الصحية والثقافية وغيرها من المرافق الخدمية الأخرى ، وكذلك عدم قدرتهم على الحفاظ عليها وادامتها وصيانتها .

رابعا : ضعف الاميين وشبه المتعلمين فى المشاركة الفعلية فيما يمنح لهم من حقوق سياسية واجتماعية وثقافية وغيرها وضعف فى اداء واجبات المواطنـــــة بشكلها الصحيح مما يؤدى الى القصور فى المشاركة فى عملية الانماء والتحضير التى تشهدها المنطقة وتراهن عليها كخيـــار حضارى مصيرى ، أى ان التسرب عدو التنمية الاول .. !

خامسا : إن إنقسام المجتمع الى متعلمين وشبه متعلمين واميين من شأنه إضعاف التجانس بين فئاته ، وبالتالى التقليل من حصانته تجاه الأخطار المحدقة به من المعسكرات الطامعة به شرقية وغربية . لذلك : « فان وجود محور مشترك من اساسيات الثقافة يلتف حوله كل المواطنين امر تفرضه ظروف العصر الحالى الذى اصبح فيه فناء الشعوب ثقافيا ، او عسكريا ، او اقتصاديا امرا ممكنا .

فالتحوط وتحصين المواطن بالعلم والثقافة العربية الاسلامية أمر لايدانيه شىء اخر

● كيف يتسرب عدد كبير من التلاميذ قبل إكمال الابتدائية؟
● لابد من القضاء على انقسام المجتمع إلى: متعلمين وشبه متعلمين وأميين

وذلك لدفع الاخطار المحيطة بها بمكنة واقتدار ، وحتى تشق طريقها من جديد فى بناء الحضارة الانسانية .

● ●

هذه هى الاخطار الناجمة عن التسرب والاهدار التربوى . وهى بغير حاجة إلى تعقيب او زيادة بيان .

وبعد أن نقول لهذا الكتاب التربوى القيم شكرا على هذه المصارحة التى نحتاجها بهدوئها العلمى الرصين ، ونحن فى غمرة تلك الاصدارات من الملاحق والاعداد الخاصة التى تصدرها الصحف العربية بالالوان الزاهية عن المشروعات فى دول المنطقة ، دون ان تضيف الى علمنا جديدا يذكر ، او تنويرا أو تحليلا يشفي الغليل .

أقول .. بعد هذا ، يجب أن نعود الى انفسنا لنسالها من المسئول عن ذلك التسرب والاهدار ؟

إن المسالة تتعلق بابنائنا الذين هم امانة في اعناقنا امام الله والوطن والتاريخ .قبل ان تتعلق بمشكلة مدرسية او تربوية

فما هي مسئوليتنا نحن كمواطنين واباء وامهات تجاه هذا الاهدار لاعز ما نملك ؟

● عندما نترك ابناءنا أمام التلفزيون والفيديو لساعات طويلة ، ونعطيهم المثل من جانبنا بهذا الانبهار . ماذا ننتظر منهم في مسارهم المدرسي وفى مدى التزامهم بواجباتهم المنزلية وتحضيرهم اليومي ؟

● عندما نغرقهم بالمغريات الاستهلاكية من نقود وسيارات وكل ادوات الترفيه .. هكذا بشكل مجاني .. وهم مازالوا في عمرهم اليافع أنتوقع منهم الاحترام للعلم

هذا سؤال يقع خارج نطاق الكتاب ولكنه يستحثنا لطرحه وللاجابة عليه .

ولا ادعي انني املك إجابة كاملة او تصورا شاملا لها ، لكنني ساطرح بعض الاسئلة التي الحت على نفسي وأنا أتامل في الاسباب الحقيقية لهذا التسرب الخطير

● عندما نترك ابناءنا خلال سنواتهم التكوينية الاساسية في يد المربيات الاجنبيات يتصرفن في تربيتهم ، كما يحلو لهن ، ونتنازل نحن عن هذا الشرف والحق والواجب ، لانشغالنا بالاهتمامات الاستهلاكية والترفيهية والمادية .. ألا نمهد بذلك لحدوث التسرب من المدرسة ؟ إذ كيف يمكن لطفل ربته مربية اجنبية ، فافسدت لغته وغيرت إحساسه ان يتكيف مع مدرسة عربية اسلامية مختلفة تماما فى توجهاتها عن اجواء تلك المربية التي صاغت الطفل ؟

والعمل وقدح زناد الفكر والكد بعرق الجبين ؟

● هل يجد الطفل واليافع من التماسك العائلي بين الأم والأب ما يدفعه للانضباط والعمل . هل يجد القدوة لدى والده في مسئوليته تجاه الأم والابناء والتزامات الاسرة ، وهل يجد لدى الأم مثل ذلك ؟

● هذه بضعة أسئلة قد تصلح منطلقا للاجابة بشأن الجذور الاجتماعية العميقة لمشكلة الاهدار والتسرب والرسوب ..

●●

بقي ان نشير الى أن هذا الكتاب الذي يضعنا امام واحدة من أهم مشكلاتنا التربوية والاجتماعية ، هو من اصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية ، وهو منظومة تربوية مشتركة يتصف نشاطها بالرصانة والموضوعية . ولا شك أن هذا الكتاب افضل اصداراتها الى الآن .

وتقديرا منا لهذا العمل ، نهنىء الدكتور محمد الأحمد الرشيد ، المدير العام للمكتب على هذا الاسهام الجدي وهذا الاصدار الموفق . وهي تهنئة تشمل الاساتذة العاملين معه فى البحث التربوي .

ولمثل هذا فليعمل العاملون .

د . محمد جابر الانصاري

الجيل الجديد فى مدارس الخليج

تحت شعار: طرد العرب من "كل" فلسطين

حركة "كاخ" الصهيونية
عصابة إرهابيّة جديدة

بقلم: عصام شريح

- كاخ معناها السيف فى يد والتوراة فى يد اخرى .
- « كاخ » تدعى أن المسيح سيظهر خلال عشر سنوات لتخليص اليهود من « آلامهم » الأخيرة !
- العرب فى نظر « كاخ » قنبلة موقوتة بسبب تكاثرهم الطبيعى .. ولابد من القضاء على هذه القنبلة

فى مطلع السبعينيات ظهرت على مسرح الأحداث فى الكيان الصهيونى ، حركتان بالغتا الخطورة ، نظراً لأيديولوجية العنف والارهاب « الصريحة » التى تناديان بها ، وان كانت هذه الايديولوجية هى « الأصل » فى الفكر الصهيونى بالنسبة لجميع الأحزاب والحركات .

لكن هاتين الحركتين ، ونعنى بهما« حركة كاخ » و « حركة غوش إيمونيم » ، تتميزان عن الحركات والأحزاب الصهيونية الأخرى بميزتين هما : العودة الى منهل الصهيونية الارهابية ـ وخاصة كما حددها زئيف جابوتنسكى ـ ثم تجاوز القوانين ـ حتى لو كانت شكلية ـ من أجل تحقيق الهدف الصهيونى ، باقامة دولة يهودية خالصة ـ خالية من العرب ـ ليس فى فلسطين فحسب ، وانما من الفرات الى النيل .

وقد آثرنا ان نتناول فى هذا المبحث « حركة كاخ » ، وعلى ان نعود الى تناول « حركة غوش إيمونيم » فى مبحث تال » .

على الرغم من الغموض الذي يحيط بهذه الحركة ، فان المعلومات المتوفرة بين ايدينا ، تشير إلى ان « كاخ » هي امتداد « لرابطة الدفاع اليهودية » التي انشاها الحاخام الصهيوني مئير كهانا في الولايات المتحدة . و « كاخ » تعني بالعبرية « هكذا » او « هذا هو الطريق » ، وهي تكتب عادة تحت صورة ليهودي يرفع التوراة في يد ، والبندقية في اليد الاخرى . وقد قام الحاخام نفسه « مئير كهانا » بتاسيس هذه الحركة في تشرين الثاني (يناير) ١٩٧٢ .

وعلى الرغم من انضمام شخصيات صهيونية يمينية متطرفة إلى « حركة كاخ» الا انها عانت دائما وابدا (كما تقول صحيفة يدعوت احرونوت) ، من نقص كبير في الطاقة البشرية ، إذ ان عدد اعضائها « الرسميين » ، لم يتجاوز عشرة اشخاص ، إلا ان عدد الانصار يصل إلى بضع عشرات .

اما زعيم الحركة الحاخام كهانا ، فيرفض هذا القول ويزعم ان حركته تضم عشرة الاف عضو ، وان لها فروعا في اربعة واربعين مستوطنة بالضفة الغربية المحتلة بالاضافة إلى فرع اخر بمدينة القدس المحتلة .

اما بالنسبة لمنهج « كاخ » ، فيتلخص فى تصفية الوجود العربي داخل فلسطين (عرب ١٩٤٨ ، وعرب ١٩٦٧) باللجوء إلى القوة واستخدام العنف ، من اجل اقامة دولة يهودية « نقية العنصر » ، لكن نظراً للمعارضة التي تلقاها « كاخ » من بعض الجهات الحكومية او الحزبية ، فان زعماء الحركة ، عملوا على انشاء جناح سري « تحت الأرض » ، يتلقى اوامره مباشرة من الحاخام كهانا ، وقد حددت مهمته بممارسة

العنف واستخدام السلاح لطرد العرب من « البلاد » ! ! .

والحركة تتبع اسلوبا بسيطا في التحرش بالمواطنين العرب ، لنشر الذعر في صفوفهم ، وحملهم على مغادرة بلادهم والهجرة إلى الخارج ، ويقوم هذا الأسلوب على توجه مجموعة من أعضاء الحركة ، وعلى راسهم كهانا نفسه إلى منطقة ماهولة بالمواطنين العرب ، وتوجيه تهديدات إليهم بضرورة مغادرة مدنهم وقراهم ، وبعد ذلك تعود المجموعة إلى قواعدها فى مستوطنة « كريات اربع » او غيرها ، بعد ان تكون قد اثارت الخواطر في صفوف العرب ، مما يؤدي عادة إلى تنظيم تظاهرات عربية صاخبة ، الامر الذي ينتهي عادة بصدام بين العرب وسلطات الاحتلال الصهيوني .

اما فى منطقتي المثلث والجليل المحتلتين منذ عام ١٩٤٨ ، فان حركة « كاخ مارست نشاطات ارهابية علنية غالبا ، كتوزيع منشورات تدعو فيها المواطنين العرب إلى تسجيل اسمائهم لدى السلطات وذلك استعدادا للهجرة إلى خارج فلسطين المحتلة ، كما أن الحركة جعلت المجال الجامعي مسرحا لنشاطاتها الارهابية ، حيث اندس اعضاؤها بين صفوف الطلاب العرب فى الجامعة العبرية ، وجامعة حيفا واعتدوا عليهم بالضرب .

إلا ان « كاخ » مارست من الأعمال الارهابية ما هو اشد وادهى ، حين هاجم مسلحون من اعضائها واعضاء اخرين فى الحركة التوام « غوش ايمونيم » ، الكلية الاسلامية فى مدينة الخليل بالضفة الغربية المحتلة فى الشهر الماضي ، وقتلوا اربعة من الطلاب وجرحوا اكثر من ثلاثين اخرين ، ناهيك بالعمل الاجرامي الذي ارتكبه رجال الحاخام كهانا فى عام ١٩٨٠ حين فجروا سيارات ثلاثة من رؤساء البلديات في الضفة الغربية المحتلة ، مما تسبب في بتر ساقي السيد بسام الشكعة ، وبتر قدم السيد كريم خلف ، إضافة إلى محاولة نسف المسجد الاقصى ، في ايار (مايو) ١٩٨٠ ، حيث اكتشفت شحنة من المواد المتفجرة بلغت زنتها ١٢٠ كغم ، كانت كافية لتدمير المسجد الأقصى والمنطقة السكنية المحيطة به برمتها .

هواجس كهانا

بيد ان وضع إطار حقيقي لمنهج « حركة كاخ » ، يقتضي بالضرورة ، العودة إلى افكار مؤسس الحركة الحاخام مئير كهانا ، لان هذه الافكار تمثل عمليا عقيدة « كاخ » .

فمن خلال مراجعة افكار كهانا ، سواء فى كتبه ـ واهمها كتابه الاخير بعنوان : « يجب على العرب أن يرحلوا » ـ او في عشرات التصريحات الصحفية ، يتضح ان هذا الصهيوني تشغله فكرة واحدة ، هي : تصفية الوجود العربي في فلسطين ، سواء في ذلك عرب ال ١٩٤٨ ، او عرب ال ١٩٦٧ ولتحقيق هذا الهدف ، نرى الحاخام كهانا يلجا تارة إلى التوراة ، واخرى إلى الاحصاءات او الافكار ـ العامة عن عرب فلسطين واوضاعهم الثقافية والاقتصادية « الحسنة » !! لكي يبرر نظريته الداعية إلى طرد العرب من وطنهم فلسطين .

يقول كهانا بشكل واضح وصريح ، ان تعايش العرب واليهود في فلسطين التي يصفها « بارض اسرائيل » هو امر مستحيل لسببين رئيسيين هما :

اولا : التناقض المطلق بين القومية العربية من جهة ، وما يصفه كهانا « بالقومية اليهودية » المزعومة من جهة ثانية ثانيا : استحالة التوفيق بن مفهوم « الدولة اليهودية » ، بوصف اسرائيل « تحقيقا للحلم اليهودي الصهيوني على مدى الفي عام » ، وبين مفهوم اسرائيل باعتبارها دولة « عادية » ، يتساوى فيها العرب واليهود فى الحقـوق .

ويحمل الحاخام كهانا بعنف ضد « المتاثرين بالحضارة الغربية من اليهود » ، اولئك الذين يفاضلون بين الدولة اليهودية النقية العنصر ، وبين دولة ديمقراطية تضم اقلية من العرب إلى جانب الأكثرية اليهودية ، ويقول « ان مشكلة الكثيرين من اليهودالذين ينادون بفضيلة التعايش بين الجنسين فى اسرائيل انهم يظنون العربى مغفلا ، ويسخرون من ذكائه وكبريائه » .

دولـــة عنصرية

ولا يخفى كهانا تصوره للكيان الصهيونى باعتباره « دولة » تقوم على وحدة السلالة ونقاء الدم ، فالكيان الصهيونى فى مفهومه يقوم على اساس اعلان « السـيـادة اليهودية » المطلقة على فلسطين ، اضافة الى ان « الدولة اليهودية » فى مفهومه ، تعنى بناء حياة مستقلة فى اطـــار من « الثقافة اليهودية » المهيمنة على جميـع مناحى الحياة فى اسرائيل .

لكن تحقيق هذه الفكرة ، يقتضي كمـــا يزعم الحاخام وضع معادلة واضحة للصراع العربى ـ الصهيونى ، تؤدى فى التطبيق والممارسة الى طرد العرب من فلسطين بالقوة او عن طريق الاغـــراء بالاموال ، وقد يكون مقبولا بقاء اقلية صغيرة من العرب « المسالمين » والمحرومين من اية حقوق سياسية او غير سياسية .

وانطلاقا من هذه المقولة ، ينفي كهانا ما يردده بعض حاخامات اليهود من ان اليهودية هى قيم انسانية واخلاقية ، تحترم انسانية الانسان ، ويقول فى هذا النطاق ، انه لا يعرف اى يهودى متدين ليس على استعداد للقول بان ما فعله اليهـــود بالكنعانيين (اى الفلسطينيين القدماء) فى ايام يهوشع ، لم يكن عادلا ، بل ان كهانا يقول ان ما فعله اليهود بالكنعانيين من تقتيل وابادة جماعية (فى مدينة اريحا ابادوا السكان عن بكرة ابيهم باستثناء زانية اســـمها راحـــاب قامت بايواء جاسوسين يهوديين فى بيتها ـ وفى مدينة غاي قتلوا اثنى عشر الفا ..) ، هو الرحمة بعينها ! !

وبالطبع فان هذا الخلط والتلاعب بالالفاظ ، وإن استند الى الى نصوص من التوراة (المزورة) ، انما يستهدف تبرير الدعوة مجددا الى انتهاج القتل والارهاب كاسلوب وحيد لتصفية الوجود العربى فى فلسطين حاليا ، ثم تصفية الوجود العربى فى الارض الممتدة من الفرات الى النيل ، اما العرب الذين تكتب لهم النجاة من القتل فيجب معاملتهم كعبيد لدى اليهـــود ، ويستشهد كهانا هنا بقول الحاخام موسى ابن ميمون بهذا الخصوص : « عليهم ان يكونوا فى الدرك الأسفل (اى العرب) ، وان لا يرفعوا رؤوسهم فى وجه اسرائيل ، وانما يتوجب عليهم ان يكونوا خاضعين لسيطرتها » !!

العرب .. قنبلة موقوتة

ولعل اكثر ما يشغل بال الحاخام كهانا وتفكيره ، تكاثر عرب ١٩٤٨ عن طريق الانجاب بشكل مذهل ، ويقول فى ذلك ان العرب يجدون فى الاكثار من الانجـــاب « سلاحهم القومى لمواجهة اليهود » ، وهو لا يدرى كيف يمكن التغلب على هـــذه المشكلة العويصة ، بدون طرد العرب من بلادهم ، خاصة وان اليهود مقلون فى



إنجاب الأطفال ، كما ان يهود «الدياسبورا» متمسكون بثرواتهم ونفوذهم الاقتصادى والسياسى سواء فى الولايات المتحدة او كندا أو بريطانيا او فرنسا او استراليا ، او اى مكان اخر ، وهم لذلك لا يرغبون فى الهجرة الى الكيان الصهيونى ، وكما ان المهاجرين من اليهود السوفييت يختار معظمهم دول الغرب لا اسرائيل لدى خروجهم من بلادهم .

وما يقلق كهانا ايضا يقظة المشـــاعر الوطنية والقومية لدى عرب ١٩٤٨ ، بحيث اصبح هؤلاء يمثلون « قنبلة موقوتة » فى قلب اسرائيل « لا يدرى احد متى تنفجر ، وتودى بالكيان الصهيونى ، ويقول ان عرب ١٩٤٨ ، على اختلاف مشاربهم السياسية ، يحلمون جميعا بفلسطين عربية ذات سيادة ، ويواصلون فى نفس الوقت تطوير نضالهم السياسى ضمن مراحل زمنية ، ويضيف كهانا ان تكاثر العرب الطبيعى سيدفع بهم الى المطالبة بضراوة بزيادة تمثيلهم فى الكنيست ، وعندئذ سيسعون لطرح موضوع عودة لاجئى عام ١٩٤٨ ، واعادة ممتلكاتهم إليهم ، واذا قدر لهم الوصول الى هـــــذا المـــوقف ، فـــان الاستراتيجية العربية لتدمير اسرائيل من الداخل سوف تصبح فى متناول اليد .

ويصف كهانا العرب بانهم متلونون ، كما يصف الدهاء العربى بانه اسطورى ، ويقول ان العرب فى اسرائيل ، يزدادون عددا وثقافة ، وبالتالى عداء للكيـــــان الصهيونى ، فضلا عن ان عامل الزمن هو الى جانبهم « إذ ان الفسحة الزمنية تنقضي بسرعة امام اسرائيل ، التى ما يزال

قادتها غير مدركين استحالة استمرار الدولة اليهودية مع استمرار التفجـــر السكانى للعرب » ، ويحذر من ان اى صلح اى دولة عربية ، « لن ينقذ اسرائيل من السرطان الذى يتفشى فى داخلها » ، كما يحذر من ان المشكلة التى تهدد بتدمير اسرائيل « لم تعد كامنة فى هجوم عسكرى عربى محتمل من الخارج ، بل فى القنبلة الموقوتة المزروعة فى داخل الدولة اليهودية نفسها » .

هوس توراتي

فى الواقع يلاحظ المحلل السياسى لافكار الحاخام مئير كهانا ، ان هذه الافكار تتميز بالتبسيط الشديد ، الذى يولد بدوره رؤية مبسطة للقضايا والمعضلات ، حيث الخط الأساسي الذى يستند اليه كهانا فى هذه الرؤية ، مستمد من الكتب الدينية اليهودية وخاصة التوراة ثم التلمود ، وفى سياق ذلك نراه يقول ان حركة « كاخ » التى يتزعمها ، انما تعمل حسب قانون التوراة ، وانه اذا كان لابد من الاختيار بين قانون الكنيست وقانون التوراة « فاننى اختار قانون التوراة » !

وأكثر من ذلك ، فان الحاخام كهانا ، يعرب عن اعتقاده الراسخ ، بان ما يسميه « بالشعب اليهودي » ، انما يقف فى المرحلة الراهنة على عتبة « الخـــلاص النهائى » ، كما يعرب عن ثقته التى لا يداخلها الشك فى ان « المسيح » سـيأتى خلال فترة تتراوح ما بين السنوات الخمس الى العشر القادمة ، وذلك باعتبار ان اليهود ينكرون مجي «المسيح» او «المخلص» « عيسى بن مريم » عليه السلام الى الأرض ، ويزعمون ان « المســـيح الحقيقى » لم يات بعد ، وانه ــ اى المسيح ــ سوف ياتي لغرض واضح ، هو انقاذ او تخليص « الشعب اليهودى » من « الالام » ، « ببناء » دولة اسرائيل » ، « وسيادة » الشعب المختار » على جميع الشعوب الاخرى !!

اما حدود « اسرائيل » كما يقول كهانا ، فهى « من الفرات الى النيل » ، ويضيف انه

اذا وقف اربعون بالمائة من الاسرائيليين الى جانبه ، « فربما اكون ملزما ــ فوق الارادة الالهية !! ــ بان اسيطر على الحكم بالقوة » !!

ان هذا التبسيط الفكرى » والوضوح فى الرؤية التوراتية » لدى كهانا هو الذى يقف ايضا خلف دعوته لانتهاج « الارهاب » كاستراتيجية وحيدة لبناء اسرائيل النقية العنصر ، والخالية من العرب ، ولهذا ، رأيناه يقول فى بيان وزعه فى اعقاب مذبحة صبرا وشاتيلا ، « إننا لا نبكى على هذه المذبحة ، لأنها انتقام السماء من المسلمين ، وما كان يجب علينا تنفيذه بانفسنا ، فعله شخاص اخرون (يقصد ميليشيا حزب الكتائب) » !! ويضيف كهانا ، انه شعر بالرضى فى اعقاب سماعه بالمذبحة ضد الفلسطينين فى بيروت !

الحل عند كهانا !

انطلاقا من هذه المفاهيم العنصريـــة التوراتية ، يصل كهانا الى الحل للوجود العربى فى فلسطين ، وهذا الحل يجد اساسه اولا فى تعريف الامة ، وفى هذا الاطار نرى كهانا يركز على أهمية العنصر الجغرافى فى بناء الأمة ، فالارض ــ كما يقول ــ هى الوعاء الذى يحتوى جماعة من البشر ، ويمكنهم من ان يحيوا حياة متميزة عن غيرهم من الجماعات الانسانية ، وتحقيق رسالتهم القومية والتراثية » . اما الدولة لدى كهانا ، فهى ليست أكثر من اداة لتحقيق هذا الغرض ، وتمكين الشعب ، او الأمة ، من بلوغ غاياته ، باعتبار ان الامة هى صاحبة الأرض وسيدتها ، والناس هم الذين يحددون هوية الأرض ، وليس العكس ، « فالشخص لا يصبح اسرائيليا لانه يعيش في أرض اسرائيل » ، لان الذي حدد هوية الأرض هم ابناء « الأمة » الاسرائيلية ، والشخص يصبح اسرائيليا عندما ينتمي إلى شعب اسرائيل ، ويكون جزءا من الأمة الإسرائيلية » !

ومع اعترافنا باهمية العامل الجغرافي البالغة في تشكيل اي امة ، فان كهانا اسقط عوامل عديدة أخرى اوردها علماء الاجتماع المعاصرون في تحديدهم لنشوء الأمة ، وجاء هذا التجاهل لهذه العوامل ، بقصد تبرير اعتماد العنصر اليهودي في « الدولة اليهودية » المزعومة ، وبالتالي تبرير نظرية كهانا الارهابية لتصفية الوجود العربي في فلسطين المحتلة ، بل في اسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل » !

ولذلك نرى كهانا يحدد مطالبه ، او برنامجه الانتخابي بثلاث نقاط رئيسية تصب كلها في مجرى نظريته الفاشية المذكورة حول « الامة اليهودية . والدولة اليهودية النقية العنصر » ، وهذه النقاط هي :

تغيير مناهج التعليم الحالية في

وتدفعنى وتجذبنى .

وفجاة تدخل (بينكا) تحمل منديل (ديدمونة) قائلة لكاسيو :

ـ ما كان مقصدك من هذا المنديل الذى دفعته الي منذ قليل .. هذا بلاشك هدية من عاهرة ما .. خذه واهده عشيقتك .

عطيل : (فى مكمنه) يا لله لابد ان يكون هذا منديلى .

وعلينا ان ننتقل الى الخاتمة الماساوية المتشابهة لمصارع العشاق فى القصتين العربية والاوربية : ف (ورد) حين سالها ديك الجن عن الغلام وعلاقتها به واغلظ عليها اجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئاً وكذلك (ديدمونة) عندما سالها عطيل عن علاقتها بـ (كاسيو) .

عطيل : فكرى فى خطاياك .

ديدمونة : لا إثم لي إلا هواك .

عطيل : لهذا ستموتين .

ديدمونة : ليس من المالوف قتل المحب من اجل حبه .. ويلاه لم تعض هكذا على شفتك السفلى ..

عطيل : ذلك المنديل الذى كنت احبه واعطيتك اياه انت اهديته الى كاسيو ؟

ديدمونة : لا وحياتى ونفسى . استدع هذا الرجل وليسال .

عطيل : ستموتين .. لقد رايت منديلى فى يديه . ويحك من امراة خاطئة .

ديدمونة : لعله وجده ضائعاً . ارسل فى طلبه وليعترف بالحق .

عطيل : قد اعترف .

ديدمونة : ماذا تقول يا مولاى .

عطيل : إنه قضى منك ماربا .

ديدمونة : مارب سوء ؟

عطيل : نعم .

ديدمونة : لن يقول ذلك .

عطيل : اجل ، لان فمه اقفل (الى الابد) .

ديدمونة : ويلاه قد خانوه واضاعونى .

عطيل : اهلكى يا فاجرة اتبكينه بمشهد منى .

ويهجم عليها ويخنقها ، اما ديك الجن فاخترط سيفه فضرب (وردا) به حتى قتلها ، ثم اخذ كل واحد منهما يهذى على هذا النحو :

«امراتى .. امراتى .. اية امراة .. لا امراة لي .. يا للذكرى الفاجعة .. يخيل الي أن بالشمس والقمر محاقا فظيعا فى هذه الساعة .

وتدخل (اميليا) زوجة (كاسيو) .

عطيل :كاسيو ضاجعها . اسالى زوجك عن ذلك .

اميليا : زوجى كان يعلم انها متعففة لوليها .

وتعلمه (اميليا) بكذب زوجها (ياجو) بالادلة ، فتقع النهاية المسرحية الثانية فى محضر الاعيان الذين احاطوا بعطيل فقال لهم على نحو ما قال ديك الجن تماما :

«رويدكم اقل كلمة او كلمتين .. (انا) رجل كان خالص السريرة متجاوز الحد فى حبه ، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى فيها الى النهاية .. رجل غلب الأسى عينيه على انهما لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتا من الدموع اغزر مما تنتجه اشجار جزيرة العرب من صمغها الشافى .. واضيفوا الى ما تقدم أننى عندما كنت فى حلب واهان احد الاعداء رجلا من البندقية وثبت به وجعلت يدى فى عنقه وضربته هكذا (يضرب نفسه بالسيف) ويجر نفسه نحو سرير (ديدمونة) قائلا :

ـ لقد قبلتك قبل مماتك والآن لم يبق لي إلا ان اموت فى قبلة .

تلك قصة عطيل ولقد اشار شكسبير الى ان (اتلو) وصل الى مدينة حلب واقام بها ، وحلب مدينة على مسافة ساعات من موطن ديك الجن ومشهد ماساته .

وبعد ، اليس هناك لقاء فى الاحداث والشخصيات ؟ وأى لقاء اشد من هذا ؟

(عطيل) و (ديك الجن) شخصان متشابهان فى الطباع والأخلاق والغيرة والتهور احبا فتزوجا ثم قتلا فندما .. كان مجرى حياتهما واحداً على بعد الزمان واختلاف المكان والبيئة والمجتمع .. ستظل روحاهما تحلق ابداً فى سماء واحدة فوق الحبيبة الزوجة المقتولة بجريرة ما اقترفتها .

(ورد) و (ديدمونة) زوجان وديدان عروبان عفيفتان مخلصتان حيكت حولهما قصة خيانة زائفة .. كلتاها فوجئــت بصاحبها او حبيبها الزوج يشهر فى وجهها يد القتل للذبح او الخنق ويوجه انذاراته بان تعترف بانها خانت الحياة الزوجية مع عشيق غريب ، ولم يكن لهما ذلك .. كلتاهما تبرات من الخيانة ولكن يد الموت كانت أسرع من البرق فى اجتثاث الراس الطاهر الذى ما التفت الى حبيب غير الزوج .. كلتاهما ظهر بعد موتها دليل العفاف والطهر والبراءة فاصبحتا رمزاً للعفاف .. فاما زوج الاولى فقد جن ارقا وسهداً وندامة .. واما زوج الثانية فانتحر كمداً .

تلك هى نقاط اللقاء فى الشخصيات والاحداث اوردتها مقتضبة ، وكنت أريد ان افتح باباً اخر للادب المقارن .

الأسلوب الشكسبيرى والأسلوب العربـــى

بقيت ناحية أحببت بيانها حول اللغة الشكسبيرية العملاقة ، كان هناك لقاء بينه وبيننا نحن العرب فى هذا الكلف بالتعبير الدقيق وتصوير الحالات النفسية والشؤون الخاصة وتلوين العبارة بالتشبيه والمجاز والكناية وتصعيد الآهات عبر الاحداث والمبالغة فى استقصاء ابعاد الصور الحسية ولاسيما المعنوية ، وما يقود فى ذلك الى الاغراق فى التشبيه التمثيلى والمبالغة والغلو ..

وأول من لفت الانظار الى استشراق شكسبير هو الشاعر خليل مطران الذى عرب مسرحيات شكسبير العظيمة «عطيل» و «ماكبث» و «هاملت» و «تاجر البندقية» استجابة لفرقة جورج ابيض التى مثلتها عام ١٩١٢ م ، قال خليل مطران فى مقدمة «عطيل» :

«إن فى نفس شكسبير شيئاً عربيا بلا منازعة وهو ابين فيها مما بان فى نفس فكتور هوجو . اقرا لغتنا ام نقلت اليه بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا اعلم ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فان عنده مثل ما عندنا جراة على الاستعارة وذهابا بضروبها كل مذهب ، وله مثل ما لنا كلف بالتنقل الوثبى من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد الى القصد وشيكا وعليك ان تتمهل فى فكرك وتجد الرابطة ، وبه ما بنا من الهيام فى المبالغة التى لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين فى تصورهم حدة وجماح كما يكون عادة عند .. وخصوصا عند العرب» .

الدكتور نسيب نشاوى ـ الجزائر

قضيــــة هـــــامة تواجـــه العـــالم الجديـــد

انحطاط مستوى التعليم في أمريكا

بقــلم : فتـــــحي رضــــوان

لقد ذكرت قول الشاعر :
كل من القاه يشكو دهره
ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟

حينما سمعت بنبأ اللجنة التى شكلت فى الولايات المتحدة للنظر فى اسباب **انحطاط مستوى التعليم العام فى الولايات** المتحدة ، فالظن السائد لدينا ان الولايات المتحدة وصلت فى العناية **بالتعليم من حيث تقدم البرامج وحداثتها** وانطباقها على مقتضيات الحياة العصرية ، ومن حيث استعانة **الاساتذة والمدرسين والمعاهد والمدارس** ، بالوسائل الحديثة ، من اجهزة وادوات استماع وخرائط مصورة ، ونماذج مجسدة ، **والآلات الكترونية حاسبة** ، هذا كله فضلا عن ابنية فسيحة ، وساحات للعب عديدة ، ومكتبات غنية ، **ونظام للرحلات ، يزيد من علم الطلاب بحقائق** الطبيعة والمجتمع ، وأساليب الصناعة والزراعة ، مع توفير اسباب الراحة والمتعة معاً .

ولذلك كان شيئا شبيها بالصـــــدمة ما أطلعت عليه من ان الحكومة الامريكية الفدرالية انشات لجنة من رجال التربيـــة والفكر واصحاب التجارب المتنوعـة فى مجالات البحوث والصناعة والزراعـــة والاقتصاد لتكون مهمتها أولا الوقوف على حالة التعليم فىمدارس التعليم العـــام بامريكا ، ثم ما يقوله المدرسون عن هـــذه الحالة سلبا وإيجابا ، ثم ما يقوله التلاميذ ثم ما يراه اولياء الامور ، ثم ما يشكو منه أولو الأمر فى الجامعات التى تستقبل افواجا من تلاميذ المدارس الثانوية لياخذوا احكامهم فى تلك الجامعات ، ثم ما يلاحظه ارباب الاعمال ، على تلاميذ هذه الأيام الذين انتهوا من التعليم الثانوى من حيث الكفاءة وحسن الاستعداد والقدرة على التكيف مع متطلبات العصر الحديث ، وما يزخر به من الات جديدة ، ووسائل للعيش طارئة ، ومناهج لادارة الاعمال مستحدثة .

والغريب في الأمر ان هذه اللجنة لم تجد رايا واحدا من الذين ادخلتهم فى نطاق الاستطلاع بل وجدت مع شيء من التبسيط ـ فريقين جد متناقضين ، فريق الراضين عن حالة التعليم فى الولايات المتحدة ، فخورين بنتائجه ، يباهون بالفارق الضخم بين التعليم فيها ، وبين التعليم فى اوروبا واليابان من جهة ، وبينه وبين التعليم فى امريكا الجنوبية من جهة ثانية ، وبين التعليم فى الولايات المتحدة من جهة والتعليم فى افريقيا وآسيا من جهة ثالثة .

وفريق الساخطين على التعليم الامريكى فى شمال القارة الذى يرى فى كل ناحية من نواحيه عجزاً وقصوراً وانتكاسا ، سواء كان ذلك فى مستوى التلاميذ العلمي وقدر تحصيلهم للمعلومات والمعارف ، أو متوسط قدراتهم على الحفظ ، الى جانب عجز نسبة كبيرة منهم عن مواصلة التعليم الى نهايته وزوال حالة الاستقرار فى المدارس بتزايد نسبة التلاميذ المشاغبين الذين يشيعون فى فصول الدراسة الاضطراب ، ويهددون المدرسين بالعدوان حينا ويقومون بهذا الاعتداء فعلا حينا آخر .

على ان اللجنة خلصت الى نتائج مهدت بها الى تقريرها . فقررت ان التعليم فى العهد الحديث فى الولايات المتحدة تغيرت اهدافه عما كانت عليه منذ سنة ١٩٦٠ ، فقد كان هدف التعليم الأساسي هو نشر المعرفة الذهنية بين تلاميذ المرحلة الثانوية التى تقع بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمر الفتى الأمريكى ، يعنى تهيئته ليحصل المعرفة الجامعية فى مجال العلوم الانسانية ، اى الجغرافيا والتاريخ والادب وما الى ذلك ، او المعرفة الرياضية كالهندسة والطبيعة وما يتصل بها ، او علوم الحيوان والنبات وطبقات الارض والكيمياء والطب .

وكان ما عدا ذلك من الأهداف غير داخل فى نطاق اهتمام المدرسة ولا المدرسين ، ولكن التغيرات الهائلة التى اصابت المجتمع الامريكى ، بل المجتمع الانسانى ، اضافت الى مهام المدرسة والمدرسين اهدافا اخرى منها اولا اتاحة فرص التعليم للفقراء والطبقات المحرومة وتحقيق فرص الدمج العنصرى فى المجتمع ثانيا ، وخلق مواهب وقدرات جديدة لم تكن للتلاميذ ثالثا ، وهى القدرات العملية التى تحتاج الى مهارات يدوية كان التعليم لا يهملها فحسب ، بل



بعض معامل إحدى الجامعات الامريكية

يتعالى عليها ويحتقرها ، ويرى ان خلق النجار او الحداد او النقاش او البناء ليست من اهداف التعليم العام ، وان الاهتمام بالشبان الذين يمكن ان تكون لهم قدرات فى هذه المجالات ، من خصائص ومهام رجال الصناعة والزراعة الذين يديرون مصانع او مزارع كبيرة ، والذين يستقبلون فى هذه المصانع والمزارع اولئك الشبان الذين تخلفوا عن متابعة الدراسة الثانوية ، او الذين اتموها ولم يحرصوا على اللحاق بالتعليم الجامعى .

ثم اشارت اللجنة الى التطورات التى اصابت المجتمع الذى يخرج هؤلاء التلاميذ الذين يملأون فصول التعليم العام ، واشارت الى تغيرات ذات اثر بعيد وعميق على التلاميذ وعلى قدراتهم التحصيلية ، وتركيز عقولهم .

ومن ذلك زيادة نسبة الأمهات اللاتى يتركن البيت مبكرات ليصلن الى مقار اعمال يباشرنها فى المكاتب او المصـــــانع او المستشفيات او سيارات النقل العام الى اخر الاعمال التى تباشرها المراة الآن ، والتى يزيد نطاقها عاما بعد عام .

فالصبي الذي كان لا يخرج إلا بعد ان تطعمه امه في الصباح ، وتلبسه ثيابه ، وتوصله بيدها الى المدرسة ، والذي يعود فيجد نفس الام في انتظاره ، لا وجود له الآن ، فعليه ان يعد نفسه ويهيىء طعامه ويمضي وحيداً الى مدرسته ، لأن امه تركت المنزل قبله ، او لانها موجودة ولكنهـــا مشغولة باعداد نفسها للحاق بعملها فى الموعد المحدد . فاذا عاد ، وجد منزلا خاليا لا احد فيه ينتظره ، ولا احد يسال ماذا لقى من المشكلات فى المدرسة او المعهد .. لان اباه وامه يعودان عادة بعد عودته هو ببضع ساعات .

هذا الطفل حين يكبر ويدخل مدرسة التعليم العام لا يكون شبيها بالصبى الذى ينشا فى رعاية امه وابيه . صحيح إنه اكثر استقلالا واعتماداً على النفس ، واقل حساسية لقسوة المجتمع ، وشراسة الزملاء وحدة المنافسة ، وانفصال المدرس عنه لكثرة تلاميذ الفصل ، وتضخم هموم هذا المدرس ، الا ان هذا التلميذ نفسه يكون اكثر استعداداً للاستجابة الى اغراءات وتوجيهات زعماء التلاميذ المشاغبين الذين يضيقون بساعات التعليم الطويلة ، وبجفاف الدروس ، فيحولون المدرسة الى هجمات شرسةومشاغبات ، دون ان يهمهم ان ينزل بهم العقاب ، او ان يطردوا تماما من المدرسة التى يكرهونها ولا يؤمنون بها .

والتطور الثانى الذى طرا على المجتمع ازدياد نسبة الطلاق فى العائلات الامريكية مما يؤدى الى نشاة العديد من التلاميذ فى بيت ليس به الا احد الوالدين ، الأب أو الام ، فيحس التلميذ من بداية حياته ان هذه الحياة غير كاملة ، وان النقص يصيبها منذ البداية ، فيخرج وهو يحس بان المجتمع الذى ينتسب إليه هو مجتمع ناقص او معيب .

وقد طرا على المجتمع الامريكى عنصر ثالث هو ازدياد نسبة وجود الفتاة فى المدرسة . فالتلميذ الذى لم يكن يسمح له بالاقتراب من الجنس الاخر الا بمقدار وتحت اشراف ورقابة ، اصبح يجد الفتاة معه فى الفصل وساحة اللعب ، وعربة النقل العام ، وهو تطور بالغ الاثر فى اتجاه التعليم ومسلك الفتيات والفتيان ، وضخامة المسئولية الملقاة على الأساتذة والاداريين .

وانتهت اللجنة إلى ان التعليم الامريكى مهما قيل فيه ، فانه مزدهر . فعدد التلاميذ فى الولايات المتحدة الذين يتمون تعليمهم الثانوى ويدخلون الى الجامعة كان فى سنة ١٩٦٠ ثلاثة ملايين ، وهو اليوم إثنا عشر مليوناً ، وما تنفقه امريكا على الطالب هو ضعف ما تنفقه اوروبا واليابان على التلميذ فيهما، وعشرة اضعاف ما تنفقه الـــدول المتقدمة فى اسيا ،واكثر من ذلك بكثير فى العالم الثالث ، وتزويد الطالب بالمعارف غير النظرية ورعاية قدراته العمليـــة ، والعنايـــة بمتطلبـــات مديري المصانـــع والمزارع ، فى تصاعد مستمر .

فاذا كانت هناك شكوى بصفة عامة من ان الطلاب الذين ينجحون فى الامتحانات الاكاديمية التى تؤهل التلميذ الى دخول الجامعة قد هبطت نسبتهم الى ٤٠٪ من راغبى اللحاق بالجامعات ، كما ان نسبة الطلاب الذين لا يتمون تعليمهم الثانوى تزداد بازدياد حالات الشغب التى اصبحت شبه سائدة فى المدارس والمعاهد ، فمرد ذلك كله إلى تطورات المجتمع التى جعلت القلق عنصراً بارزاً فى حياة الناس . وفى مقدمتهم الشبـــان والصبيـــان وتلاميذ المدارس . وعلاج ذلك كله يرجع الى جهات غير جهات التعليم ، كالمشرعين ورجال الكنيسة ورجال الاتصال بالجماهير .

فتحى رضوان

محاولة لسرقة قصصنا الشعبية

علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

بقلم: محمد فهمي عبد اللطيف

منذ ان قام المستشرق الفرنسي « انطون جلان » بترجمة قصة « علي بابا » على انها من قصص « الف ليلة وليلة » ، راج الاعتقاد بين عامة المستشرقين بانها من الخرافات التى لها عناصر فى الشرقين الأدنى والاقصى .. فقرر بعضهم انها قصة تركية ، وآخر بانها ارمنية ، واغرب فريق ثالث ، فزعم انها ترجع الى اصل صينى .

وفى كتاب صدر اخيرا بالفرنسية لميشيل جاك ، الباحث المهتم بالمجال التاريخى الذى تكونت فيه عناصر قصص العجائب والغرائب ، كافح المؤلف كفاحا علميا كبيراً فى تلمس العناصر الأولية لقصة « علي بابا » فى مملكة اراراتو واثبات كونها قصة ارمنية .

ولكن الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ينتصف للخيال الشعبى العربى ، ويرد الحق لأهله بهذه المقالة الممتعة ، مبينا ان الخيال العربى الذى ابدع « علي بابا » وغيرها من القصص قد اتخذ من الواقع فى العصر العباسى أساسا لبناء وجمع عناصر هذه القصة .. لمعالجة قضية الصراع بين الخير والشر .

صدر اخيراً باللغة الفرنسية كتاب جديد عن « الف ليلة وليلة » من تاليف « ميشيل جاك » وهو صحفى اختص بكتابة التحقيقات عن الأحداث التاريخية المثيرة ،

والملاحم الشعبية القديمة ، وقد كتب زهاء عشرين تحقيقاً عن قصص الغرائب والعجائب فى « الف ليلة وليلة » عنى فيها بصفة خاصة بالبحث عن مشاكل القصة ،

والمجال التاريخى الذى تكونت فيه عناصرها ، ثم تناقلتها الالسنة ، وتداولها الرواة من مكان الى مكان حتى أصبحت حديث الشعوب ، وسمر الجماعات فى مختلف البيئات ، ومن القصص التى تناولها الصحفى الباحث بهذا الأسلوب التحقيقى « قصة علي بابا والاربعين حرامى »

القصة باختصار

وقصة على بابا قصة مشهورة فى المجتمع المصرى ، وقد عاش القصاص الشعبى يرددها على اذان الجماعات الشعبية فى المقاهى والمجالس ردحا طويلا من الزمن وهى موضع الحظوة والشغف عند السامعين ، ومجمل القصة ان علي بابا كان رجلا حطابا فقيراً طيب القلب ، وكان له شقيق اسمه «قاسم» غنى بالمال ، وفى سعة من العيش ، ولكنه كان شحيح النفس جشعا طماعا ، وفى يوم لم يجد علي بابا القوت لأهل بيته ، فارسل زوجته الى شقيقه تساله أن يعطيهما مكيالا من قمح أو عجنة من دقيق ، وتولت زوجة شقيق على بابا الرد فرفضت قائلة : ليس عندنا قمح ولا دقيق ، ثم قالت ساخرة : وإذا كان عندنا واعطيناكم فمن اين تردونه لنا وانتم دائما فى حاجة وعوز !؟

وعادت زوجة علي بابا مكسورة الخاطر تحمل الجواب الأليم الى زوجها ، فصبر الرجل على ما هو فيه من الشدة ، واخذ حبله وخرج ليحتطب كعادته ، إلا انه فى هذه المرة اوغل فى شعاب الجبل حتى يستطيع أن يجمع اكبر قدر من الحطب ليسد حاجته ، ولكنه فوجىء على طريق الجبل بمنسر كبير من اللصوص ، فاسرع واختبا فى جذع شجرة وهو يختلس النظر اليهم ، فرأى زعيم اللصوص يقف امام صخرة على باب كهف وينادى بصوت مرتفع : افتح ياسمسم ، فانفرجت الصخرة ودخل اللصوص الى كهف عميق وراء الصخرة ، ووضعوا ما كان معهم من أحمال وخرجوا ، ثم وقف زعيم اللصوص امام

الصخرة ونادى بصوته الحازم المرتفع : اقفل يا سمسم ، فتحركت الصخرة واغلقت باب الكهف فى احكام . وعاد اللصوص من حيث اتوا على طريق الجبل ..

ودفع حب الاستطلاع على بابا لمعرفة الحقيقة فى أمر هؤلاء اللصوص ، وفى هذه الصخرة التى تتحرك على باب الكهف ، وكان على بابا قد حفظ الكلمة التى نادى بها زعيم اللصوص : فوقف أمام الصخرة كما وقف وقال : افتح يا سمسم .. وظهر انها كلمة السر . فانفرجت الصخرة ، ودخل فاذا به فى مغارة عميقة مملوءة بالجواهر والذهب وتملكته الدهشة مما راى ، ونظر الى ناحية من المغارة فوجد اكواما من العملات الذهبية التى يستخدمها الناس فى شراء القوت وما يحتاجون اليـه من مطالب المعاش ، وتحركت فى دخيلته الحاجة الى هذه العملات لشراء القوت ، فوضع الغرارة التى كان يحملها ، وعبا فيها من هذه العملات بقدر ما يحمل ، ثم حملها على ظهره ، وخرج ووقف أمام الصخرة ، ونادى بكلمة السر ، فعادت الصخرة إلى مكانها ، واغلقت الكهف وكان شيئا لم يحدث ..

وعاد على بابا الى زوجته بما يحمل من العملات الذهبية الوهاجة ، وفزعت الزوجة مما رات ذهولا ودهشة ، وجلست لتحصى الذهب ولكنها وجدته شيئا كثيرا لا يحصى عدداً ، فذهبت الى قاسم شقيق زوجها لتستعير منه مكيالا تكيل به النقود ، ولكن زوجة قاسم شكت فى الأمر ، وتساءلت فى نفسها : ماذا يكون عندهم من الحبوب أو الدقيق ليكيلوه وهم لا يجدون القوت ؟ ولاجل ان تعرف الحقيقة الصقت فى قاع المكيال من الداخل قطعة من العجين لتعرف ما يلصق بالعجين ، اى نوع من الحبوب عندهم او الدقيق ، ولما اعادت زوجة على بابا المكيال اليها كانت الحيلة قد نجحت ، إذ لصقت بالعجين قطعتان ذهبيتان ، فاخذها العجب والدهشة ، ونادت على زوجها قاسم واطلعته على السر وتساءلت من اين لهم هذا الذهب الذى يكال بالكيل ، وهم لا يجدون القوت ، فلابد أن يكونوا قد عثروا على كنز من الذهب .

وتحركت نوازع الجشع فى نفس قاسم ، واخذ بلبه بريق الذهب الذى لا يحصى عدداً ، وغمه ان يصبح شقيقه الفقير المعدم اكثر منه مالا وغنى ، فتوجه الى شقيقه وساله عن سر هذا الذهب الكثير الذى يكال بالكيل ، وقص على بابا الرجل الطيب على شقيقه قاسم القصة بتفاصيلها . دله على الكهف والصخرة وكلمة السر ، وحكى له حكاية المنسر وشبحه ، وانطلق قاسم وهو يطير فرحاً . ولكنه لم يذهب الى الكنز وحده بل اخذ عدداً من الدواب وعليها الغرائر والاخراج ليحمل فيها الجواهر والذهب ، وذهب الى الجبل فى الوقت الذى يذهب فيه المنسر ، ووقف أمام الصخرة ونادى بكلمة السر ، فانفرجت الصخرة ودخل الى مغارة الذهب والجواهر ، فاخذ ينهبها نهبا ، وكانه يريد ان يحملها كلها ، وافقده الذهب صوابه فنسى كلمة السر عند الخروج ، وبقى سجينا فى المغارة ، وعاد اللصوص على عادتهم الى المغارة بما جلبوا من سرقات الذهب والجواهر ، فراوا العبث بكنوزهم ، ووجدوا قاسما داخل المغارة ، فانهالوا عليه طعنا حتى قتلوه ومزقوا جثته .

وطالت غيبة قاسم وساور على بابا القلق على مصير شقيقه ، فخرج الى الجبل يبحث عنه ، فوجد جثته ممزقة اشلاء عند المغارة ، فادرك السر فيما يجرى ، وجمع اشلاء اخيه الممزقة وحملها سرا الى إسكافى فخاطها ، واعاد الجثة الى هيئتها حتى يدفن اخاه بطريقة لائقة امام الناس ، حتى لا يعرف احد السر فى تمزيق جثته ، وعندما عاد اللصوص الى مغارتهم لم يجدوا اشلاء الجثة ، فساورهم الشك والقلق وخافوا ان يكون احد من الناس قد وقف على سر مغارتهم ، وانطلقوا يستمعون احاديث الناس حتى وقفوا على الاسكافى الذى خاط الجثة فافضى اليهم بكل شىء ، ودلهم على منزل على بابا الذى حملت اليه الجثة بعد أن خاطها ، فرسم اللصوص على باب المنزل «صليبا» ليعرفوا به المنزل عند العودة اليه ، ثم انصرفوا وقد بيتوا فى انفسهم امراً ..



علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

ورأت «مرجانة» جارية علي بابا «الصليب» مرسوماً على باب المنزل ، فاسرعت بازالته لان الصليب على باب رجل مسلم امر منكر ، ومع هذا فقد عاد اللصوص وعرفوا منزل علي بابا ، وتخفى زعيمهم فى زى تاجر زيت وطلب من علي بابا الضيافة وهى واجب مقدس عند العرب ، ففتح له علي بابا منزله مرحباً ، ووضع زعيم اللصوص فى فناء المنزل تسعة وثلاثين زيراً قال إنها مملوءة بالزيت حتى لا يحركها احد أو يقرب منها ، ولكنها فى الواقع كانت تحتوى على تسعة وثلاثين لصاً كل منهم مدجج بسلاحه لتنفيذ المؤامرة فى الوقت المقرر ، وساور «مرجانة» حب الاستطلاع فاخذت تتبين ما فى الأزير، وسرعان ما أدركت السر ، وعرفت انها خدعة فجاءت بماء مغلى واخذت تصبه فوق اللصوص حتى أهلكتهم الواحد بعد الآخر ، ولم ينج إلا زعيمهم ..

ولم ييأس زعيم اللصوص ، واصر على قتل «مرجانة» . فعاد مرة ثانية متخفياً فى زى اخر الى منزل علي بابا وطلب الضيافة ، ورحب به علي بابا كعادته ، وبعد ان استقر المقام بزعيم اللصوص طلب ان يراقص مرجانة رقصة الخناجر وكان فى نيته ان يغدر بها ، وقبلت مرجانة الطلب على الرغم من انها ادركت السر فى هذا الطلب الغريب ، وفى اول جولة من الرقص اسرعت واغمدت الخنجر فى قلب زعيم اللصوص فخر صريعاً لوقته ، وتقول القصة ان علي بابا تزوج من مرجانة مكافاة لها على ما صنعت ، وفى نص اخر من القصة إنه زوجها لابنه ، لأن علي بابا الرجل الطيب لم يشأ أن يفارق زوجته التى شاركته شظف العيش ، وعاشت معه الأيام التى كان لا يجد فيها القوت ..

.. ليست من ألف ليلة

هذا هو مجمل قصة علي بابا التى راجت فى المجتمع المصرى ، والمجتمع العربى عامة ، كما راجت فى المجتمع الاوربى ، وكانت بما تتضمنه من المفاجات والمفارقات والصراع بين الخير والشر ، معيناً فنيا يلهم الكتاب الاوربيين فاخرجوها فى السينما ، واقتبسوا منها للمسرح ، واستلهموها فى كتابة القصص الفنى ، وتناولها عدد من المستشرقين بالبحث والدراسة ضمن ما تناولوه من قصص الف ليلة وليلة .

وقصة علي بابا فى الحقيقة ليست من ليالى الف ليلة وليلة كما يتوهم بعض الباحثين ، ولكنها قصة مستقلة ، وقد وصلت الى يد المستشرق الفرنسى «انطون جلان» مع بعض القصص الأخرى مثل قصة علاء الدين والمصباح المسحور ، وكان «جلان» يقوم بترجمة الف ليلة وليلة فوجدت اقبالا لا مثيل له ، واخذ ناشر كتبه يستحثه على الترجمة لهذا القصص الباهر فترجم قصة «علي بابا والاربعين حرامى» ، وقصة علاء الدين والمصباح المسحور ، وغيرهما من القصص على انها من قصص الف ليلة وليلة ، ومن هنا راج الاعتقاد بين عامة المستشرقين بأن قصة علي بابا من قصص ألف ليلة ولياليها ، ولما تناولوا قصص الف ليلة بالدراسة ، وقسموها الى طبقات واقسام حسبوها من قسم الخرافات التى لها عناصر فى القصص الواردة من الشرق الاقصى .

.. ولم يبدعها الاتراك

وبعض المستشرقين يقرر ان قصة علي بابا قصة تركية ، ويستدل على هذه الخرافة بان اسم علي بابا تركى ، وهو يطلق على الأب وعلى الجد وعلى كبار السن ، ولست أدرى لماذا لم يقل إن القصة فارسية ، فان اسم علي بابا شائع كذلك بينهم ، والأمر على العكس عند الترك فان اسم علي نادر بينهم ، كما أن كلمة «بابا» تسبق الأسم دائما عند الترك على عكس الوضع فى الفارسية ، ثم إن الاتراك يطلقون كلمة بابا عادة على شيوخ الصوفية ودراويش التكايا ، وكان اخر دراويشهم فى مصر بابا سرى شيخ البكطاشية .

.. وليست صينية

والاغرب من هـــذا كله ان بعض المستشرقين يزعم ان القصة ترجع الى اصل صينى ، وانها ذات صلة بقصة الاربعين وزيرا ، وبقصة الشقيقين والخمسة والاربعين – تنينا ، والذى اغراهم بهذا الزعم التشابه فى عـــــدد الاربعين المذكور فى هاتين القصتين وقصة علي بابا ..

ثم جاء المستشرق البريطانى « ادوين بالمر » الذى ذبحه عرب سيناء وهو يعمــل جاسوساً للاحتلال البريطانى ايام الثورة العرابية ، فقال إنه عثر على قصة علي بابا فى سيناء ، وفى رايه انها قصة سينية أو سينائية ، ولكنه لم يذكر لنا هل وصلت القصة الى سيناء من اى جهة ، او ان سيناء كانت منشاها الذى نشات فيه .

أهى ارمنية

أما ميشيل جاك فيقول ان القصـــــة ارمنية ، ويحدد مجالها التاريخى فى مملكة الأراراتوا القديمة ، وهى مملكة ازدهــرت حضارتها فى القرن العشرين قبل الميلادى وكانت تقع فى بلاد ارمينيا والاناضول حيث يقوم جبل ارارات الذى تقول التوراة ان سفينة نوح رست عليه ، ولاتزال منها الى اليوم بقايا حصون وقلاع واطلال مكان « فوشـــــبا » عاصمتها و « توبراكال » اعظم مدنها فى أقصى جبال طوروس شرق الاناضول ، وميشيل جاك ينظر إلى قصة علي بابا كما ينظر إلى قصص الف ليلة وليلة الحافلة بكنوز واكوام الذهب والفضة والاحجار الثمينة المخبوءة بعد سرقتها من القبور القديمة والكهوف التى تحرسها الطلاسم السحرية ، ويقول ان منطقة ارارات غنية بالمغارات والكهوف والتجاويف المنحوتة فى الجبال والصخور ، وكانت مدينـــــــة «توبراكال» تعرف عند سـكانها باسم « ريمزيم داج » ، اى جبل السمسم ويتعلق ميشيل جاك بهذا الأسم على انه مفتاح القصة ، ويفسر به كلمة السر فى قصة علي بابا ، وهى كلمة افتح يا سمسم ..

قصة الراعى والمغارة

ثم يقول إن الحفريات الحديثة كشفت عن صفوف من الجرار الكبيرة كان السكان يخزنون فيها الحبوب والنبيذ ، وهذا فى رايه مما يفسر لنا وجود الجرار التى اختبا فيها اللصوص الاربعون الذين تامروا لقتل علي بابا ، ثم يواصل ميشيل جاك الحديث فيسهب فى وصف ما كان فى المنطقة من كنوز الذهب المدفونة والمخبوءة فى الكهوف

والمغارات ، وما كان من عمل اللصوص فى نهب هذه الكنوز وسرقتها ويقول : إن جبل «فان» ذا المنحدر الصخرى للعاصمة توشبا يوجد فيه باب وراءه غرف وابهاء تحت الأرض يعتقد السكان ان المردة والعفاريت يسكنونها ، ثم يروى اسطورة قصها فلاح على احد رجال الآثار تقول : ان احد رعاة الغنم نام فى يوم بجوار هذا الباب وسمع هذه الصيغة السحرية لفتح الباب ، ورأى فى المغارة التى وراءه كنوزا وثروات لا تحصى ولا تعد ، ثم استيقظ الراعى من النوم ، ونادى بالكلمة المسحورة فانفرجت الصخرة ، ودخل فى المغارة ولكنه اصيب بذهول من روعة ما راى من الذهب والجواهر فنسى كلمة السر ، ولم يجد منفذاً للخروج .

والحق ان ميشيل جاك كافح كفاحا علمياً كبيراً فى تلمس العناصر الاولية للقصة فى مملكة اراراتو ، واثبات انها قصة ارمنية . ولكنا نسال بعد هذا : هل القصة ارمنية حقا كما زعم ميشيل جاك ، او تركية او صينية كما زعم غيره من المستشرقين ، او انها نبتت فى وطن اخر ومن صنع شعب اخر هو شعب مصر ..

إن القصاص الشعبى لا يخلق قصة من العدم ، ولا يجيش خياله بقصة فى غير مناسبة ، وانما لابد من المناسبة التى تحرك خياله ، وتهز مشاعره ، فيبحث عن واقعة تاريخية تتفق فى جوها مع هذه المناسبة التى تثيره وتحفزه للحديث ، ومن الواقع التاريخى الملائم والمثير يبدأ القصة ، ولكنه لا يلتزم بهذا الواقع مكانا وزمانا ، واحداثا وأشخاصا ، انه يتخذ منهم اساسا للبناء ، ولجمع العناصر التى تلائم القصة ، ولكنه بعد ذلك ينسلخ من هذا الأصل التاريخى انسلاخا تاما ، وينطلق مع خياله فيذهب الى مكان غير المكان ، ويخلق اشخاصا غير الأشخاص ، انه يقصد الى التعبير والتصوير لمفهوم اخر اثارته فى نفسه احداث ذلك الواقع التاريخى ، ولكنه على اى حال ليس هو ذلك الواقع التاريخى ، وهكذا صنع القصاص الشعبى فى قصة علي بابا والاربعين حرامى .

خلفية القصة العربية

والواقع التاريخى لقصة علي بابا كان فى مصر ، واصل مبعثها ومجالها فى ارض النوبة على حدود مصر ، ومعناها ارض الذهب ، وكان علي بابا ملكا على النوبة وبلاد البجة ، وهى تشمل الاقليم الواقع بين البحر الاحمر والنيل والممتد جنوبا الى بلاد الحبشة ، وكانت هذه البلاد ذات ملك مستقل من قديم الزمن ، ولكنها كانت فى غزوات وحروب مستمرة مع الفراعنة والرومان نظراً لما فى ارضها من معادن الذهب والزمرد حتى كانت تعرف بارض المعادن ، وقد سكن فى تلك البلاد خلق من العرب من ربيعة ابن نزار ، وتزوجوا فى البجة وقويت البجة بهم ، ولما دخلها الاسلام فى إمارة عبد الله بن ابى السرح على مصر سكن فيها جماعة من المسلمين بخاصة فى بلاد معدن الذهب ، والعلاقى وعيذاب .

علي بابا ملك البجة

وكانت البجة فى صدر الدولة العباسية خاضعة للخليفة العباسى ، وتؤدى للخليفة خراجا معلوما كل عام ، ولكن ملكهم علي بابا اعلن العصيان على عهد الخليفة المتوكل ، وقطع ما كان يؤديه الى بغداد من خراج ، ومنع المسلمين الذين كانوا يعملون فى معادن الذهب والزمرد ، وتطاول البجة فى غاراتهم على صعيد مصر ، حتى احفل اهل الصعيد من بلادهم ، ولما راى عنبسة بن اسحاق والي مصر ان خطرهم قد تفاقم بعث بامرهم الى الخليفة المتوكل ، وجمع المتوكل اهل الرأى للمشاورة فاقنعوه بان الوصول الى بلاد النوبة امر عسير جداً ، لأن بينها وبين بلاد المسلمين مفاوز موحشة وجبالا مستوعرة ، واهل البجة اهل شراسة ، وقد يكون فى الخروج اليهم الهزيمة ، ففترت عزيمة المتوكل عن ارسال جيش لحرب النوبة .



ولكن القائد محمد بن عبد الله القمى طلب ان يخرج اليهم على ان يكتب للخليفة الى والى مصر ليتولى تجهيزه بالرجال والخيل والجمال وما يحتاج اليه من الاسلحة والأزواد والأموال ، وان يوليه صعيد مصر يتصرف فيه كيف يشاء فاذا انتصر فهو نصر للخلافة ، والغرم كله على مصر ، فكتب له الخليفة بما طلب ، وجاء ابن القمى الى عنبسة والي مصر بكتاب الخليفة فقام له بكل ما طلب ، وامده بسبعة الاف مقاتل ، كما جهز له سبع سفن من ساحل السويس محملة بالامدادات من المؤن والعتاد لتكون فى مساعدته اذا ما وقعت الواقعة .

ووقعت بين محمد بن القمى والبجة معارك ووقائع ، .. واخيرا تغلب عليهم وهزمهم هزيمة منكرة ، فتقدم علي بابا الى محمد بن عبد الله القمى وطلب الامان على ان يعود الى طاعة الخليفة وان يقدم له ما قطعه من الخراج خلال اربع سنوات ، وان يقيم على العهد الذى قطعه من قبل ... فبذل له محمد الأمان ، وخلع عليه واكرمه ثم شرط عليه ان يتوجه معه الى بغداد ليطأ بساط الخليفة المتوكل وليدخل فى طاعته وليفوز منه بالأمان ، فامتثل علي بابا للامر ، وولى مكانه ابنه (ليعيش بابا) ، وجاء الى القاهرة فاستقبله الوالي عنبسة بالحفاوة ، واحاطه بالاكرام ، ثم خرج به محمد بن القمى الى بغداد واحضره بين يدى الخليفة المتوكل وامره الحاجب ان يقبل الأرض بين يدى الخليفة فامتنع ، فغضب الخليفة وعزم على قتله ، وقال له : انك تحمل صنما من حجر اسود تسجد له كل يوم مرتين ، فكيف تابى تقبيل الأرض بين يدى واحد غلمانى قد قدر عليك ، وعفا عنك فلما سمع علي بابا ذلك قبل الأرض ثلاث مرات ، فعفا عنه المتوكل ، وافاض عليه الخلع واكرمه واعاده الى بلاده ..

العناصر النوبية للقصة

هذا هو الواقع التاريخى لقصة علي بابا فالقصة ليست تركية كما زعم بعض

علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

المستشرقين وكل حجتهم في ذلك ان بابا من الاسماء الشائعة في التركية ، ولكنها قصة مصرية بواقعها التاريخي ، فان علي بابا كان ملكا على بلاد النوبة والبجة ، وكانت له مع مصر احداث كما رايت وكل العناصر التي قام عليها كيان القصة انما هي من تلك البيئة ، فالذهب كانت النوبة بلاده ومناجمه ومغارات الجبال والكهوف كثيرة في تلك البلاد ، ولصوص الذهب والكنوز

لهم قصص كثيرة في الصعيد الاعلى والنوبة ، والجرار او على الأصح الأزيار التي اختبأ فيها اللصوص مازالت الى اليوم تصنع في تلك البلاد كبيرة لخزن الحبوب والصغيرة لغير الحبوب ، ورقصة الخناجر هي الرقصة الشعبية لرجال البجة ولهم فيها مهارة وبراعة ، اما اختباء اللصوص في الجرار او الازيار فقد نقله القصاص الشعبي عن قصة الزباء وجزيمة بن الأبرش عندما دخل الفرسان الى قصره

محملين في غرائر على الجمال ، وبقيت كلمة السر وهي من الطلاسم التي تستخدم في جميع القصص الشعبي لفتح المباني والاواني المسحورة ، والسمسم والسمسمان في اللغة العربية هو الخفيف اللطيف السريع الحركة ، فكان حين يقول : افتح ياسمسم يعني افتح بسرعة ..

قصة صراع الخير والشر

على ان قصة على بابا ليست قصة الذهب الذي يتكدس اكواما ، وليس مفهومها هو ذلك الكنز العظيم الذي ظفر به على بابا في مغارة الجبل كما زعم ميشيل جاك ، ولكنها قصة الصراع بين الخير والشر ، الصراع بين الخير الاعزل ينتصر بنوازعه الطيبة ودوافعه الانسانية ..

والشر المدعم بالقوة والمال ولكنه يندحر بقوته وجبروته وطغيانه ، هذا هو المفهوم الذي أراد القصاص الشعبي تصويره وابرازه في قصة على بابا ، فالذهب لم يكن إلا عنصر الصراع ومادته وموضع الاثارة

فيه ، اعني الصراع بين الخير والشر ، ثم تتابع أحداث الصراع ومواقفه في القصة بشكل غير مالوف ، اي مدهش ، كما هو الأسلوب المثير في كل قصة ، وفي النهاية ينتصر الخير على الشر ..

والصراع بين الخير والشر هو قصة الحياة للناس ، وهو من المعاني الشائعة في القصص الشعبي عند كثير من الامم ، واكثر ما يكون شياعا في قصصنا الشعبي ، وفي كثير من الحوادث والحكايات والاعمال المصرية ، وهناك قصة يتداولها ابناء القرى في ريف مصر تتفق في صورتها وفي مفهومها مع قصة علي بابا .

وفي رواية اخرى ..

وتقول هذه القصة ان فلاحا فقيرا ضاقت به الحال ولم يجد القوت لاولاده ، وكان له اخ

صاحب ثراء ومال وزرع وماشية ، ولكنه لا يفعل الخير ابداً ، فارسل الرجل الفقير زوجته الى اخيه هذا تساله أن تعطيهم كيلتين من القمح لاطعام العيال ، وان يردهما اليه عند موسم الحصاد ، وأسرعت زوجة اخيه وقالت :

ليس عندنا قمح ، واذا كان عندنا واعطيناكم فمن اين تردونه الينا وليس لكم زرع ولا قلع ..

وعادت الزوجة حزينة واخبرت زوجها بما حصل فاسلم الرجل امره لله ، وكانت عنده عجلة يقوم على تربيتها حتى تكون جاموسة يجد منها ابناؤه ما يبل رمقهم من اللبن ، فعول على ان يبيعها ليشتري من ثمنها قوتا لأولاده ،

وفي اليوم التالي اخذ العجلة وخرج مبكراً مع نور الفجر من القرية متوجهاً الى السوق ، وفي منتصف الطريق جلس يستريح تحت شجرة ووضع كومة من البرسيم امام العجلة ، فاخذته سنة من النوم ، ولكنه استيقظ فوجد نفسه ومعه عجلته تحت الارض بين ناس يبدون فى اشكال غريبة ، وعلى الفور اخذوا العجلة وذبحوها ، وصنعوا وليمة فاخرة ودعوا الرجل لياكل معهم ، وكان الرجل جائعا وبه قرم الى اللحم فاقبل واكل في شهوة وتقبل للطعام ثم حمد الله ،

وبعد الوليمة اقاموا حلقة ذكر وطلبوا منه ان ينشد على الذكر فقبل ، ولم يكن الرجل يحفظ من الكلام ما ينشده ، ولكنه نظر الى حالته وما هو فيه فانطلق في انشاده يقول : يجي يوم اسود من يوم ، واخذ يردد هذه الجملة في انشاده والذاكرون يطربون ويظهرون سرورهم ، حتى اذا ما انتهى الذكر نادوا عليه ، ثم احضروا غرارة ووضعوا فيها من جنيهات الذهب بقدر ما يستطيع الرجل ان يحمل ، ثم طلبوا منه ان يغمض عينيه فاغمضهما ، ولم يلبث ان راى نفسه بغرارة الذهب على سطح الارض في نفس المكان الذي كان يجلس فيه مع عجلته تحت الشجرة ، وحمل الرجل غرارة الذهب الى زوجته ، فطارت من الفرح والسرور ، وسالته عن مصدر الذهب فروى لها القصة .

ثم ارادت الزوجة ان تقدر الذهب الذي لا يعد لكثرته فذهبت الى دار شقيق زوجها وطلبت من زوجته ان تعيرها الكيلة لتكيل

بها حبوباً اشترتها ، ولكن الزوجة اصرت بدافع الفضول أن تعرف صنف الحبوب التي عندهم ، وهل هي قمح او شعير او ذرة فوضعت في قاع الكيلة قطعة من العجين حتى يعلق بها شيء من الحبوب التي ستقوم بكيلها فتعرف الصنف ، ونجحت الحيلة ، فلما اعادت المراة الكيلة وجدت زوجة الاخ جنيهين من الذهب علقا بالعجينة ، فذهبت الى زوجها واخبرته الخبر وشارك الرجل زوجته فى الدهشة والعجب أن يكون عند اخيه ذهب ، وفي نفس الرجل شراهة الى المال ، فذهب الى شقيقه علي بابا الرجل الطيب وساله عن قصة الذهب ، فروى له القصة بكل تفاصيلها في صدق وامانة .

ورجع الرجل الى زوجته واطلعها على القصة ، فعولا على أن يصنع الرجل ما صنع شقيقه ، فاخذ جاموسة اكتنزت لحما وخرج الى السوق في الوقت الذي خرج فيه شقيقه ، وفي منتصف الطريق جلس عند نفس الشجرة ، ولم ياته النوم ، فتصنع النوم ، وراى نفسه والجاموسة تحت الأرض مع الناس الذين كان شقيقه معهم وذبحوا الجاموسة وصنعوا الوليمة وطلبوا منه ان ياكل معهم ولكنه اعتذر بانه شبعان وان اللحم في بيته كثير ، واقاموا الذكر وطلبوا منه ان ينشد ، فقام للانشاد ولكنه قال في نفسه ان شقيقه قال : يجيء يوم اسود من يوم فاكرموه بالعطاء ، فلابد ان يقول هو : يجيء يوم احسن من يوم ، وتمايل الذاكرون في الذكر ، وبدا عليهم الملل والاشمئزاز من كذب الرجل فى انشاده ففضوا الذكر وضربوه علقة ،وجاءوا بغرارة وملأوها بقشر البصل وعظام الجاموسة وطلبوا منه أن يغمض عينيه فاغمضهما ، ثم وجد نفسه على سطح الأرض بالغرارة ، وعاد الى زوجته بالغرارة ، وانما عاد بالخيبة والتعاسة .

هذه هي القصة التي يتناقلها ابناء القرى فى مصر ، وهي صورة طبق الاصل من قصة علي بابا ولكن بدون المغارة والجبل واللصوص ، على اننا لا ندري هل اعتمد القصاص الشعبي في صياغة القصة الريفية ، او ان القصة الريفية كانت تقرأ من الآثار التي تركتها قصة علي بابا في المجتمع المصري ، ولكنها تلونت بلون البيئة الريفية التي ليس فيها مغارات ولا جبال ولا لصوص لكنوز الذهب ولا تعرف رقصة الخناجر .. والواقع ان هناك قدرا مشتركا كما قلت من قبل من التشابه بين القصص الشعبي الموغل في القدم يستطيع به الباحث ان يفصل فيه بالاسبقية لاية قصة من هذا القصص .

رواية عربية ثالثة

وعلى اى حال فان قصة علي بابا قد تركت آثارا واضحة فى المجتمع المصرى ، فقد ظهرت هذه القصة فى صور اخرى بين طائفة الدراويش واهل الطريقة الرفاعية ، وهى القصة المشهورة بقصة الشـــيخ « ابو شباك » .

وتتلخص هذه القصة فى ان اربعين لصا من خارج مصر اتفقوا فيما بينهم على ان يتنكروا فى زى الدراويش وان ينتسبوا للطريقة الرفاعية التى يقيم شيخها السيد احمد الرفاعى فى بطائح العراق ، ثم يدخلوا الى مصر لسرقة التجار المصريين وقتل والى مصر ..

ودخل الدراويش او اللصوص الاربعون مصر ، واخذوا يسطون فى الليل على المتاجر ويسرقون التجار ويخبئون سرقاتهم فى « برج الظفر » وفى النهار يتظاهرون بالصلاح والتقوى والدروشة ، وضج التجار بالشـكوى من كثرة السرقات وسـاورهم الشك فى هؤلاء الدراويش .. ولكنهم لم يستطيعوا ان يعلنوا ذلك ، وفكروا فى وسيلة يكشفون بها الحقيقة ، فاتفقوا فيما بينهم على ان يقيموا وليمة كبيرة لاولئك الدراويش يكون اللحم فيها من لحوم القطط والكلاب ، فاذا ما عرف الدراويش انها لحوم قطط وكلاب وامتنعوا عن اكلها كانوا دراويش واولياء حقا ، والا فهم لصـوص

ولما كان الشيخ احمد الرفاعى شيخ الطريقة الرفاعية عالما ومتصلا ، فقد علم بامر الوليمة ، وخشى ان يلطخ هؤلاء الدراويش سمعة الطريقة الرفاعية اذا ما انكشفت حقيقتهم فارسل ابن شقيقته الشيخ على الرفاعى الى مصر لانقاذ سمعة الطريقة ، ودخل الشيخ علي الذى اشتهر بعد ذلك باسم « ابو شباك » الى المادبة التى اعدها التجار للدراويش .. وقبل ان يمد الدراويش ايديهم الى الطعام سالهم التجار من نقيبكم فاجاب الشيخ علي : انا النقيب ، وجاء التجار باللحوم لياكل الدراويش .. فصاح الشيخ علي ابو شباك : « بسك بسك قوم انت وهو باذن الله » ، فقامت القطط تموء والكلاب تنبح .

والتفت الى الدراويش والتجار وقال : ان هؤلاء الدراويش هم اللصوص الذين سرقوكم وقد جاؤا الى مصر لتخريبها وقتل واليها ، وقد قذف بى السيد احمد الرفاعى من الشباك الى هنا لانجى مصر من شرهم ، ولارد اليكم المسروقات وهى مخباة فى برج الظفر ومن يومها أصبح الشيخ على الرفاعى ابو شباك نقيب الطريقة الرفاعية فى مصر ، اما الدراويش او اللصوص الأربعين فقد تابوا وصاروا اولياء ، ومن هنا انتشر فى البيئة المصرية لقب الشيخ الاربعين ..

كلها ابداع عربى

فالقصص الثلاث كما ترى ــ قصة علي بابا ــ وقصة الفلاح فى القرية وقصة الرفاعى ابو شباك ــ تبدو فى صورة واحدة ونسق متفق .. ولكنها تختلف فى الاعتماد على القوة المتسلطة التى تحل عقدة القصة وتسير احداثها ، فهى فى قصة علي بابا الطلسم والشعار السرى : افتح يا سمسم ، وهى فى قصة الفلاح الجن الذين كانوا تحت الارض ، اما فى قصة الشيخ ابو شباك فهى الولاية والكرامة الاولياء الواصلين اصحاب السر الباتع ، وهذا يفسر لنا اختلاف العقائد فى القوة الخارقة المتسلطة بين المجتمع بين طوائف المجتمع المصرى ، وكيف تختلف هذه العقائد باختلاف البيئات ووضع الطوائف فى هذا المجتمع هى عقائد لا تزال متمكنة من النفوس الى اليوم .

ولم يقف الأثر الذى تركته قصة علي بابا على المجتمع المصرى .. بل تجاوزه الى اوربا ، فقد عاد الصليبيون بعد ان انتهت دولتهم فى فلسطين الى بلادهم يحملون عشرات بل مئات القصص الشعبى مما كان ذائعا فى مصر وغير مصر ، ومنها قصة علي بابا ، وقد سجلها « الاخوان جريم » فى المجموعة الضخمة التى جمعاهــــا من الحكايات الشعبية التى كانت شائعة فى منطقة الرين بالمانيا ، وهى تعرف عندهم باسم حكاية « جبل سمسمى » او جبـــل سميلى وهى تتفق فى الصورة تماما مع قصة علي بابا ، ولكن عدد اللصوص فيها اثنا عشر بدلا من اربعين .

محمد فهمى عبد اللطيف

هـــذه الظـــاهـــرة الغـــريبـــة:

الرمــــال الموســـيقيــة

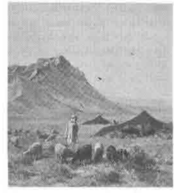
بقلم: درويش مصطـفى الفـار

من أروع ما قدمه الاسلام للانسانية تحرير العقل من الشرك بمختلف مظاهره وأساليبه الخفية والظاهرة ، وفك قيود جميع انواع الكهنوت والوساطة بين الانسان وخالقه ، والمساواة ، امام الله ، بين جميع بنى آدم وحواء ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . حتى انك لتجد فى الصدر الاول بلالا الحبشى الأسود وسلمان الفارسى الذى كان لا يتقن العربية تمام الاتقان ، وصهيب الرومى كذلك يتساوون بالاسلام مع ابى بكر وعمر وعثمان وعلي ، وغيرهم من اشراف قريش لا تمييز ولا عنصرية ولا تفرقة ...

وجاء الاسلام ، والعرب ، شانهم شان الامم حولهم ، غارقون فى الوثنية وعبادة الأصنام واتخاذ التعاويذ والتمائم ، والتبرك بالتماثيل والحجارة والأيقونات والكواكب والنجوم ، وكان لديهم من الأصنام التى يعبدونها ، او تقربهم بجهلهم الى الله زلفى ، ما أحصاه الى حد ، ابن الكلبى فى كتابه الأصنام وذكره الدكتور جواد على العلامة العراقى فى المجلد السابع من سفره الضخم عن تاريخ العرب قبل الاسلام .

كانت لديهم اللات والعزى ومناة وهبل وسواع ويعوق ويغوث ونسر وعميانس واساف ونائلة ومناف وذو الخلصة وسعد وذو الكفين وذو الشرى والاقيصر ونهم والفلس واليعبوب والمحرق ورئام والاشهل والفيزن وجريش والقليس ، وعشرات اخرى لكـل عندهم قصص واساطير واباطيل لا يحصيها العد ، ولا يدركها التقصى . وتبع الوثنية وعبادة الاصنام ، التشاؤم والتطير والسحر والشعوذة والخرافة والتنجيم ، وما الى ذلك مما يكبل العقل باغلال الجهالة والانغلاق والانقياد للكهنة والدجالين وضاربى الرمل والودع ، ويصرفه عن حقيقة التفكر فى ملكوت الرحمن والبحث فى فهم نواميس هذا الكون وقوانينه والسنن التى يجريه الله تعالى بمقتضاها فى نظام محكم دقيق مقدر عجيب فيه آيات لاولي الالباب .

وخلال القرون الاربعة عشر المنصرمة ، منذ بلغ الاسلام رسالته للعقل البشرى ، ونادى بالعبودية لله وحده لا شريك له ابدا ، كانت ميكروبات الوثنية الكامنة تهتبل فترات الجهل والعزلة والأمية ، فتطل برءوسها البشعة الكريهة فى اوساط المسلمين ، وتلبس مختلف الثياب والأزياء ، وخاصة عندما تضعف دولة الاسلام وتغلب على امرها عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، كما هى الحال اليوم ... ولم تكن سيناء ، فى الشمال الشرقى لمصر ، عند التقاء آسيا بافريقيا استثناء من القاعدة التى اسلفنا ..



هكذا يبدو الابرقين
ترى اية شاة سوف تقدم قربانا ؟؟؟

فاذا كانت مساحة شبه جزيرة سيناء تقارب واحداً وستين الف كيلو متر مربع من الارض السبخة والرملية والجبلية ، فانك تكاد تحصى قرابة ستمائة (مزار) اختلط فيها الحق بالباطل والصدق بالكذب والواقع بالخيال ، حيث يتصرف الناس بدوا وحضراً تصرفا يكاد يكون وثنيا صرفا حيال تلك المزارات ، ويقومون لديها بطقوس غريبة قد لا تختلف عن تلك التى كان يمارسها اجدادهم فى شبه جزيرة العرب قبل الاسلام ، حيث يقربون القرابين ويغنون ويرقصون ويطعمون الطعام ، ويدعون بادعية غريبة قد تقربهم من الشرك الواضح الصريح ...

ولعل اشهر المزارات فى سيناء هو «الابرقين» ...

والابرقين ، جاء اسمه من «البرق» بفتح الراء والباء ، وهو فى لغة العرب الحجارة التى تكسوها الرمال السافية من بعض نواحيها ومن هنا تجد اسماء البرقاء والابرق والابيرق فى كثير من الصحارى العربية ومنها سيناء ، دلالة على ان الرمال السافية تكسو اجزاء من تلك التلال ...

والذى نحن بصدده تل لا يتجاوز ارتفاعه ثلاثمائة وستة وسبعين متراً فوق



هكذا تستريح الابل بعد رحلة المولد الى الابرقين

لعل الصهاينة لم يتركوا وراءهم خرافات اخرى لبدو سيناء بين هذه التلال



سطح البحر ، ويقع الى الغرب من كتلة جبل الحلال الذى نكتبه خطا فى الخرائط العربية باسم (هلال) على نحو خمسين كيلو مترا جنوب العريش ...

ومن الروايات الكثيرة بين البدو والحضر ، يبدو ان هذا التل الذى يتكون من طبقات صخور جيرية تكسوها الرمال السافية ، تحدث فيه ظاهرة (الرمال الموسيقية) التى اجتهد كثير من علماء الجيولوجيا فى محاولة تفسيرها تفسيرا مقنعا محددا .

وظاهرة الرمال الموسيقية هذه شائعة فى كثير من الصحارى العربية وغير العربية ... ويقول العلماء الذين سمعوها فى آسيا او افريقيا او امريكا او استراليا ، ان اصواتا تشبه جلجلة السلاسل او احتكاك أوراق (الصنفرة) او الطبل الضخم ، تنبعث من تحرك الرمال السافية على التلال الصخرية بفعل الجاذبية فى الأيام او الليالى التى يكون فيها الهواء ساكنا تماما، ويفسر بعضهم تلك الحركة فى الكتلة الرملية السافية بان الرمال قد سخنت اثناء النهار بفعل حرارة شمس الصحراء الساطعة ، فلما برد السطح ليلا او بعد زوال الشمس حدث فرق فى الكثافة وتكون مستوى فاصل يؤدى الى التزحلق ومن هنا تصدر الاصوات ، التى قد يكون سمعها بعض رعاء الشاء او الابل او عابرى السبيل قرب تل الابرقين منذ قرون ، فاعتقدوا فى انه مكان مقدس ونشأت عادة زيارته فى موسم معين ، كما يزار ذلك الكم من المزارات فى سيناء من اقصاها الى اقصاها .

يذبح الزائر ، من البدو او الحضر ، قربانه الذى نذره للابرقين ، عنزا او جديا او نعجة او خروفا سمينا ، ويسلخه ويلقى براسه وفروته طبقا لطقوس معينة ، ويرمى شيئا من اللحم فى الفلاة غذاء للوحش واوابد الطير من رخم ونسور ، ويطبخ الباقى ويطعم القادمين من كل حدب وصوب لهذا الموسم ، وينصرف الجمع ، كل قد علم وجهته وتزود بكمية من اللحم المسلوق ...

وهنالك علامات للقبول او الرفض للقربان ، منها سلسلة ضخمة مثبتة من طرفيها فى الأرض اسفل التل من الغرب ، إذا اجتازت الذبيحة تلك السلسلة دون ان تقع فهى مقبولة !!!

وليست زيارة الابرقين بالذات وقفا على قبيلة بعينها ، فهو مزار عام لكل سكان شبه الجزيرة بدوا وحضرا ...

كانت امى يرحمها الله ، لا تزور الابرقين لبعد الشقة ، وعدم الاستطاعة ، فكانت تقتصر على زيارة البحر ، شان صويحباتها من نساء العريش . فكانت تربى جديا ، لابد ان يكون اسود فاحما لاشية فيه ، وتسمنه بالعلف الجيد ، ثم تنطلق بنا فى يوم إثنين معين صوب البزك (النبى ياسر) ، وهنالك يذبح الجدى ويسلخ ويحمل فروته وراسه وجزء من لحمه ليلقى فى البحر بعد (سبع موجات) ثم تطبخ بقية اللحم ، وتهشم لنا الثريد فى المرق ، وتطبخ بعض جريش القمح وتشبعه سمنا طيبا ، وبعد العشاء تدعو الله بالقبول ، ثم ينصرف الجميع ...

ولقد ظلت على تلك العادة العجيبة حتى كبرنا وقرانا لها فى الكتب عن الشرك وانواعه ومظاهره فتركت ما كانت تعتقد انه من الاسلام ، يرحمها الله ...

والى جانب المزارات ، فلدى البدو فى سيناء ، معتقدات ، لا اعلم ان علماء الازهر الشريف كلفوا انفسهم مشقة النهى عنها ليصلح دين القوم ويخلص معتقدهم من ادران الجاهلية . كالاعتقاد فى ان الاشجار فى واد بعينه كوادى الشيخ حميد او وادى المشايخ او منطقة رجال الخلا ، على سبيل المثال لا الحصر ، اشجار مقدسة لا تعضد ولا تقطع ولا يوقد حطبها ، لدرجة ان إنسانا قد يحلف بالله عدة ايمان مغلظة ، فاذا جاءه القاضى بفرع من شجرة سيال او طلح فى وادى المشايخ ليقسم عليها قال الصدق والحق ، خوفا من اللعنة ان تحل عليه او يبتلى إذا كذب !!

فهل آن الأوان لاستطلاع علمى دقيق عن هذه الاعاجيب خاصة بعد احتلال اليهود لسيناء على مدى خمسة عشر عاما لا يمكن ان تخلو من تقوية بعض الخرافات والافكار الضالة ؟؟

وهل آن الاوان لعلماء المسلمين ان يتقصوا على سعة العالم الاسلامى كله ، ما لدى المسلمين فى كل القارات من مثل هذا الذى ذكرناه عن سيناء ؟؟

إن المسلمين اليوم احوج منهم فى اى وقت مضى لنفض آثار الجاهلية التى ابعدتهم عن حقيقة ونورانية وعقلانية هذا الدين الذى جعلهم يحكمون الدنيا كلها قرونا عدة يوم كانوا يمارسونه دون جهل الجاهلية .

درويش مصطفى الفار

هذا العبقري المتشرد

جويس .. الروائي العبقري

كيف يستقبله العالم العربي وكيف يفهمه الأدباء؟

أجرى الحوار: محمد يوسف


د. طه محمود طه

اكثر من خمسة عشر عاماً قضاها الدكتور طه محمود طه فى ترجمة رواية «عوليس» للكاتب الايرلندى العالمى «جيمس جويس» ، وتعتبر هذه الرواية إحدى أصعب واعظم روائع الأدب العالمى فى القرن العشرين ، وقد تمت ترجمتها الى كل اللغات الكبرى فى العالم وأخيراً وجدت هذه الرواية مكانها فى المكتبة العربية ، وقد جاءت الترجمة فى اكثر من الف صفحة ، وكان الدكتور طه محمود طه ، قد الف منذ اكثر من عشر سنوات كتابه المعروف «موسوعة جيمس جويس» ... وحول «جويس» ، ذلك العبقرى المتشرد ، الذى ملأ دنيا الأدب وشغل الناس ، يدور هذا الحوار مع الدكتور طه محمود طه :

● دكتور طه .. «جيمس جويس» بعالمه ورؤيته الابداعية المركبة .. وصعوبة ترجمته الى العربية بابعاده الرؤيوية المتشابكة .. لماذا وقع عليه اختيارك ، هو بالذات دون غيره ؟

ـ فى البداية كان الأمر بالنسبة لى مجرد محاولة للدخول الى عالم هذا الروائى الفريد ، والتعرف على غموض عالمه وغرابته ، فلما اكتشفت ان الاهتمام بأعمال جويس لم يكن يتعدى دائرة ضيقة من المعجبين بفنه ، والأصدقاء والجامعيين فى اربعينيات هذا القرن ، قررت ان اساهم بجهد اكاديمى وعلمى متواضع فى الكشف عن عالم جويس وانجازاته الابداعية الثرية

● بالمناسبة .. من يقرا «جويس» يجد صعوبة فى قراءته .. لماذا ؟

ـ اولا .. إن «جويس» يفترض فى قارئه ان يكون واعياً .. وهو يختبر وعي قارئه باستمرار . مثلا .. احدى شخصياته تحاول أن تتذكر كم من الفلوس وضعتها فى حافظة النقود .. ويضطر القارىء الى العودة الى الفصل الأول ، عند خروج الشخصية من المنزل .. وهناك لا يجد القارىء الجواب .. كان «جويس» يريد ان يخرج لسانه للقارىء قائلا : ضحكت عليك .. ! أو عليك واحد .. !

ثانيا .. من يقرا «جويس» لأول مرة يتوقع ان ياخذ منه كل شىء لانه متعود على القراءة السهلة .. لكن إذا امعنا النظر فى الاعمال العظيمة فاننا نجد اننا لا نتعرف على اسرارها عند قراءتها لأول مرة او قراءتها لمرة واحدة ، بل لابد من قراءتها عدة مرات .

إننا مازلنا نقرا «شكسبير» الى الآن ، ونفسر اعماله .. اليس كذلك ؟!

ثالثا .. بالنسبة لعالم «جويس» الابداعى .. هناك اجزاء سهلة .. واجزاء تحتاج الى مجهود عند القراءة بمعنى الغوص الى عمقها .. وهنا يحجم القارىء

عن قراءتها بالقفز عليها ، فيكتشف انه قد تاه فى عالم «جويس» لسبب بسيط هو ان «المفاتيح» قد تركها فى الأجزاء التى قفز عليها .

بعض الناس يسالون : لماذا تعمد جويس ذلك ؟

والجواب : لانه معتز بفنه اشد الاعتزاز وكانه يقول لقارئه لا تقرانى مثلما تتصفح الجريدة .

● إذن .. هناك علاقة بين مستوى قارىء «جويس» ونوعية إبداعه ؟

ـ المطلوب أن يكون قارىء «جويس» قارئاً جاداً .. مع ملاحظة اننا فى ذات الوقت لا نستطيع القول ان كتابة «جويس» تتضمن قدراً من التعسير أو التعقيد . إنها كتابة مركبة .

التعقيد بدون مبرر غير موجود لدى «جويس» .

ومن ثم .. فان قارىء «جويس» يجب ان يكون مؤهلا من ناحية المسئولية والثقافة ، بمعنى ان يكون مسئولا ومثقفا .

مسئولية القراءة ودرجة الثقافة تحددان نوعية قارىء جويس الذى يرصد وينقد ، ويكتب بحس مرهف للغاية .

إن «جويس» يشبه نفسه بالفنانين الايطاليين الذين كانوا يرسمون لوحات زيتية ، ويرسمون انفسهم فى إحدى زوايا اللوحة ، ولا يلحظ ذلك احد من مشاهدى تلك اللوحات .

خذ عندك «هيتشكوك» الذى كان يظهر فى مشهد سينمائى خاطف ، وهو يسير فى الشارع ، والمشاهدون يصيحون :

ـ ها هو «هيتشكوك» .. !

جويس يريد أن يقول لك : انا فى كل مكان .. لكننى منزو فى احد الاركان .. !

١٥ عاماً مع عوليس

● د. طه .. رواية «عوليس» التى استغرقت فى ترجمتها حوالى خمسة عشر عاماً .. تطرح هذا السؤال : لماذا كل هذا «الوقت» ، ولماذا كل هذا الارهاق ، زمانيا ومكانيا ، فى ترجمتها ؟

احيانا اقول لنفسى إن رواية «عوليس» أو «يوليسيس» تشبه «المولد» بالمعنى المصرى الدارج ..

وفى «المولد» (بهذا المعنى) هناك حلقات الذكر ، والمداحون ، ولاعبو السيرك ، والراقصون والراقصات ، والمطربون المتجولون ، ولاعبو الثلاث الورقات ، ومدمنو الحشيش ، والساعون الى ضريح «الولى» الذى أقيم «المولد» باسمه ..

«مولد» عوليس عبارة عن لوحات ثرية الالوان والايقاعات ..

لماذا ـ .. لسبب بسيط هو ان «جويس» كتب روايته باساليب مختلفة ، ومستويات متباينة .. موزيك .. كولاج .. ارابيسك ..

باختصار .. كان جويس منسجما مع طابع العصر الفنى وهو الكولاج (التلصيق والانتقائية ..) .

ورواية «عوليس» خليط من هذه الأساليب الفنية .. ففى الحانة لا يتوقع احد ان تتحدث إحدى الشخصيات بلغة كلاسيكية قحة .. لان الناس يتكلمون فى الحانة بلغة المشارب ..

مثلا .. إحدى الشخصيات الموجودة فى الحانة تخرج منديلا لتمسح به وجهها .. والمنديل مرسوم عليه الآثار المشهورة فى مدينة «دبلن» .. فماذا يصنع «جويس» ؟ يتوقف ويكتب فقرة أو فقرات يصف فيها المنديل باسلوب محكم ، ثرى ، رصين .. ثم يعود مرة اخرى ، بعد الانتهاء من الوصف الى الحوار الذى يدور فى المشرب ..

إن «جويس» يكتب نصا لعقد قانونى ، داخل عمله الروائى ، مثلا .. وكان محاميا محنكا خبيرا هو الذى كتبه .

إنه يكتب باساليب متعددة داخل الفصل الواحد .

جملة موسيقية شعبية .. ثم جملة اخرى كلاسيكية ..

ولتوضيح وجهة نظـــرى .. اقول ـ للقارىء العزيز ـ إنه توجد ثلاث «نوتات» موسيقية فى رواية «عوليس» ، واضطر «جويس» لطبعها داخل الرواية ، لانه ايقن انه مهما كتب لتصوير النوتة فانه لن يعطى الأثر المطلوب ، فضم «النوتات» الثلاث الى روايته .

ايضا .. اجاد «جويس» الكتابة عن الأصوات تعبيرا وتصويرا .. اصوات الفئران ، والكلاب ، واصوات الابواب ذات «المفصلات» الصدئة .

شخصيات عوليس

وللعلم فان «جويس» لم يترك احدا فى دبلن إلا وتكلم عنه .. أعضاء البرلمان ، ضباط ، ابطال ، صعاليك ، سراة القوم ، وكل شرائح المجتمع الى درجة ان كل ايرلندى كان يسال صاحبه : هل وضعك «جويس» فى روايته .

ولكى اتقصى واتحرى خلفيات «شخصيات عوليس» زمانيا ومكانيا ، فقد كنت انتقل الى الأماكن التى عاشت فيها هذه الشخصيات ، و «استدعيها» (فى الزمان عبر الذاكرة) ، وفى المكان عن طريق الانتقال الى الاماكن التى ظهرت فيها هذه الشخصيات كما قلت .

اضف الى ذلك .. محاولتى الجادة فى نقل «المصداقية» الابداعية لعالـــم «يوليسيس» (عوليس) بمستوياتها المتعددة كما وكيفا ..

لذلك .. قضيت قرابة خمسة عشر عاما فى التشبع باجواء هذا العمل الروائى الفذ ، وترجمته فنيا وابداعيا .. اى اننى كنت احاول الابداع فى الترجمة ، والابداع فى عدم المساس بشخصيات الرواية ، وخلفياتها ، وايقاعاتها ، وحالاتها ، واحوالها المزاجية والانسانية والفنية .

● هل لهذه الأسباب كان عالم «جويس» الابداعى مستغلقا بالنسبة لنا طوال هذه الأعوام ؟

ـ نعم ..

وبشىء من التفصيل اقول لك ، وللقارىء العزيز : إن عقلية «جويس» كانت موسوعية .. وان قدرته على استيعاب وهضم التراث الانسانى كانت متميزة .. وبعبارة موجزة .. كان «جويس» ، حسب تصور كارل جوستاف يونج ، ينهل من منهل التراث الانسانى حيث «المستودع الاعلى» ، والدائرة الأكبر التى تضم ادم ، واديسون ، ونيوتن .. وغيرهم .

وبرغم ذلك يقول بعض دارسيه إن «جويس» غير مبتكر ، بمعنى أن عقليته لم تكن عقلية خلاقة ، وإنما عقلية منظمة تشبه الكمبيوتر الذى يخزن المعلومات ، وعند الضغط على «زرار» الكمبيوتر فان «التيمة» أو «المعلومة» المطلوبة تظهر على الشاشة .

هنا يمكن ان يتوقف النقاد ويتساءلوا : ما هو الابتكار .. ؟ هل هو خلق شىء من لا شىء .. ؟ أم هو تنظيم ما لديك من معلومـــات ومعـــارف وملاحظـــات واحصائيات .. ؟

الشرط الابداعى الذى ادركه وطبقه «جويس» على نفسه هو ان التراث الانسانى ينبغى أن يقراه ، ويستوعبه مع تمرير ما قراه واستوعبه من خلال رؤيته الابداعية الذاتية .

● هل الشرط الابداعى ، فى مفهوم جويس ، مقترن باستيعاب تراث البشرية استيعابا شاملا ؟

التاريخ والكابوس

ـ «جويس» كان يقول : إن التاريخ كابوس علي ان اصحو منه .



هذا العبقري المتشرد

كيف يستقبله العالم العربي وكيف يفهمه الأدباء؟

« جيمس جويس » في سـطور
(١٨٨٢ – ١٩٤١)

- روائي ايرلندي ولد في ٢ فبراير ١٨٨٢ بمدينة دبلن .
- (كان متقلب المزاج ، مرحا أحيانا ، ومكتئبا احيانا اخـرى) .
- (تتناسج حياة « جويس » مع فنه في اعماله) ، فهناك نوع من الهارموني ، بين حياته وفنــه .
- تطور اسلوبه الفني ، كما يقول د. طه محمود طه في « موسوعة جيمس جويس من الترجمة الذاتية في « ستيفن بطلا » إلى السرد الرمزي والايحاء في « صورة للفنان » ، ثم من نظريته في « الظهور » او الاستنارة أو الكشف المفاجىء في مجموعة قصصه القصيرة « ايرلنديون من دبلن » ، او الكشف الدرامي في مسرحيته اليتيمة « المنفيون » ، واخيرا من طريقة المونتاج السينمائي في « عوليس » إلى مركب معقد من الأسطورة والسيمفونية والكابوس في « فينيجانز ويك » .
- أعمــــالـه :

١ – ايرلنديون من دبلن (١٩١٤) .
٢ – صورة للفنان في شبابه (١٩٠٤ / ١٩١٤ – ١٩١٦) .
٣ – البطل ستيفن .
٤ – المنفيـــون (١٩١٨) .
٥ – عوليس (١٩١٤ / ١٩٢١ – ١٩٢٢) .
٦ – فينيجانز ويك (١٩٢٢ / ١٩٣٩) .

- مات في ٣ يناير ١٩٤١ في زيوريخ من جراء اصـابته بقـــرحة متهتــكة في المعـــدة ! ! .

التاريخ – الكابوس كان يسيطر عليه تمام السيطرة .

آخر روايات «جويس» (فينيجانز ويك) "Finnegan's wake" (١٩٢٢ – ١٩٣٩) تجسد هذا المفهوم .

إن كلمة (ويك) "Wake" معناها هنا التراث .. تراث «فينيجانز» .. مع ان الكلمة من الناحية اللغوية الحرفية ، معناها «استيقظ» .. لكن المعنى الذى اخذه «جويس» هو المعنى الذى شرحته .

إن هذه الرواية ، فى إطار المعنى الأشمل تمثل تراث آل فينيجانز او تراث البشرية .. من ايام ادم وحواء الى عصرنا هذا .

كان التاريخ يتلبس «جويس» إذن ؟

– بل كان يتقمصه تقمصا شاملا ، لو تناولت بطلا من ابطال رواياته او قصصه فانك ستتسال نفسك : من هو هذا البطل ؟ هل هو النبى محمد ؟ هل هو النبى عيسى ؟ هل هو سيدنا موسى ؟ هل هو سيدنا ابراهيم ؟ هل هو نابليون ؟ هل هو هتلر ؟

● هل هو نبي ام صعلوك ؟

– اجل .. إن «جويس» يريد ان يقول ذلك بالضبط .

● د. طه .. ايهما أصعب فى الاستيعاب والمتابعة ، «عوليس» أم «فينيجانز ويك» ؟

– «عوليس» مشكلتها اهون إذا قورنت بـ «فينيجانز ويك» ..

لماذا ؟

فى رواية «فينيجانز ويك» فتيات وأولاد ورجال وانهار واشجار ورياح ، واسماء ، تختلط ببعضها ، وتكاد تمتزج امتزاجا الى درجة انك لا تستطيع ان تميز – مثلا – «نابليون» من «الاسكندر الأكبر» .. إضافة الى اللغة التى استخدمها «جويس» .. فاللغة فيها غريبة الشكل .. و «العجينة» اللغوية انجليزية اما تقطيع هذه «العجينة» الى فطائر وشطائر ورقائق فانه اتخذ حوالى ٦٩ شكلا متباينا .

مثال بسيط على ذلك ..

«جويس» يريد ان يذكر كلمة الالمان فى روايته التى كان قد انتهى من كتابتها فى عام ١٩٣٩ (اى فى بداية الحرب العالمية الثانية) ، فاطلق على الالمان «جيرم – هنز» (Germ-Huns) .. والكلمة مشتقة من الجراثيم والمغول .

● توليفة تنطبق على الالمان فى ذلك الوقت ؟

– تمام الانطباق ..

● ولها دلالة تاريخية فى الزمان والمكان؟

– وهذا يعنى ان «جويس» كان يكتب كلمة واحدة تحوى عوالم عديدة .. والكلمة من هذا النوع عبارة عن حصالة او حوصلة .

● او محارة ؟

– إذا فتحتها .. اكتشفت ما فى داخلها ، وإذا رتبتها اكتشفت اصلها ، فربما تكون كلمة ذات مقطعين .. انجليزى والمانى ، او انجليزى وعربى ..

– فينيجانز ويك .. معجزته الابداعية .

هذه هى اللغة فى رواية «فينيجانز ويك» على امتداد ٨٠٠ صفحة .

والغريب ان الصفحات الخمس الاولى من هذه الرواية تتحدث عن الاسلام .. فهناك ذكر للصلوات الخمس ، واستعمال المسواك والحج ، وجبل عرفات .. اى ان افتتاحية الرواية يمكن ان نقول عنها انها افتتاحية اسلامية ، خاصة وان «جويس» اتى على ذكر سور القران الكريم التى يبلغ عددها ١١٤ سورة .. مع بعض مقتطفات من الآيات القرانية .

وعلى سبيل الاختصار .. اقول لك إن «جويس» كان يعتبر روايته «فينيجانز ويك» معجزته فى عالم الابداع الفنى ؟

● وبرغم ذلك لم يخل «جويس» بمقاييس الابداع الفنى ؟

– ابدا ..

● اليس هناك زوائد او حشو فى اعماله الابداعية ؟

– لا .. وإذا وجدت فان «جويس» يضعها عن عمد .. بعد الساعة الثانية عشرة (اى بعدمنتصف الليل) وتكون الشخصيات ، فى عالم جويس الروائى ، قد ارهقت ، وبالتالى تكون سيطرتها على اللغة قد ضعفت .. والعكس صحيح ، فبعد استرداد الحيوية والطاقة بصفو الذهن ، ويتجدد نشاطه .

وكما يقول وليم جيمس : إنك بعد الارهاق تعود الى حالة الصحو ، وينفتح باب «مستودع» المعلومات والخبرة ، وتنتعش الذاكرة ، ويبدأ المبدع فى استغلال «المستودع» ..

هذا هو ما فعله «جويس» .. فالارهاق ينعكس على اللغة .. والصحو ينعكس عليها ايضاً .. ففى لحظات انتعاش الذهن كتب الفصل العلمى .. وهو فى هذا يطبق ما قاله وليم جيمس .

● ما هو السبب الجوهرى الذى جذبك الى عالم جويس ، ومرافقته على امتداد هذه الاعوام الطوال ؟

ــ جذبتنى عملاقيته وسط الروائيين والمبدعين .. سواء الانجليز او الأمريكان .. إنه يذكرك بـ «كولن ولسن» فى تشرده وصعلكته .

وانا مندهش كيف كان يجد «جويس» كل هذا الوقت للقراءة .

عالم «جويس» عبارة عن صعلكة مع احساس شديد بالتفرد .

لقد خرج «جويس» من ايرلندا وقد اقسم على تعرية كل شيء فيها ..

لقد كرمت ايرلندا «ييتس» ولم تكرم «جويس» مما ولد لديه نوعاً من المرارة والسخرية انعكست على كتاباته .

● هل بامكان المؤرخ الاستفادة من عالم «جويس» الروائى ؟

ــ نعم ..

إذا اردت ان تعرف اسعار المشروبات ، والملابس والعقارات .. ونسبة العوائد .. بدقة .. فاقرأ جويس .

كما ان لدى جويس «مستودعاً» ضخماً للمعلومات الرياضية والفيزيائية والموسيقية ، والهندسية والحسابية .

وفى اعتقادى فان «جويس» كان يسخر من المنادين بالواقعية المفرطة وكانه كان يقول لهم : هل تريدون واقعية مفرطة ؟ هذه هى بضاعتى من الواقعية المفرطة .. ؟؟!!

● هل كان جويس يتبنى موقفاً طبقياً او سياسياً محدد الملامح ؟

ــ لا ..

لكنه اتهم مرة ، من جانب الراسماليين ، بانه شيوعى ، لان كل شخصياته من الطبقة الوسطى ، كما غضب منه الشيوعيون واتهموه بانه يكتب منطلقاً من نظرية الفن للفن ، وقال «جويس» لهم : لماذا تغضبون منى ؟ انتم بالذات لا ينبغى ان تغضبوا منى لان «اغلى» شخصية عندى لا تساوى اكثر من خمسين جنيهاً ..؟؟!!

جويس وبروست

وقد قابل الروائى «بروست» صدفة ودار بينهما الحوار التالى ، وكلانا يجلسان فى أحد المشارب .. قال جويس لبروست :

ــ هذه النافذة ياتى منها هواء بارد .. هل تسمح لي باغلاقها ؟

فقال له بروست : تفضل .. اغلقها .. !

وكان هذا هو محتوى الحوار بين الروائيين العملاقين .. !

● د. طه .. الى اى مدى تاثر الروائيون الاجانب والعرب بعالم «جويس» الروائى ؟

ــ الحقيقة ان الروائيين (اجانب كانوا ام عرباً) تاثروا بعالم «جويس» الروائى تاثراً كبيراً .

الروائى الانجليزى المعاصر «انتونى دورجس» كتب رواية Clock work orange وحاكى فيها رواية جويس «فينيجانز ويك» من زاوية توليد لغة جديدة ، فزاوج بين اللغة الانجليزية والروسية ، وفى نهاية الرواية وضع قائمة للكلمات والتعبيرات التى زاوج فيها بين الانجليزية والروسية .

وهذا يذكرنا بالهوامش والتذييلات التى وضعها إليوت لقصيدته الشهيرة «الأرض الخراب» ..

كما ان «جورج اورويل» فى روايته التى كتبها عام ١٩٤٨ وسماها (١٩٨٤) او «نينتين إيتى فور» ذيل روايته بقاموس صغير اطلق عليه اسم اللغة الجديدة .

سانت اكزوبيرى .. الفرنسى تاثر به ايضاً ..

والرسامون والسينمائيون تاثروا به كذلك ..

اما فى مجال اللغة ، واللعب باللغة ، والتوليد اللغوى والمزاوجة بين اللغات ، والتصرف فى الحبكة والشكل والمضمون الروائى ، فقد ترك جويس على كل هذا بصمات بارزة .

تكنيك النظام داخل الفوضى

● هل معنى ذلك أن لغة «جويس» لا تحمل قدراً من الترابط .. ولنقل الترابط الظاهرى توخياً للدقة ؟

ــ «جويس» كان يكتب بتكنيك النظام داخل الفوضى

وعليك ، عند قراءة «جويس» ان تمسك بمفاتيح «التيمات» وانسجامها الباطنى ، لانه يكرر وحدات منسجمة إذا دققت النظر فيها امسكت بمفاتيحها ..

وهذا التكنيك ينسجم مع روح العصر الحديث .. وينطبق على الفيزياء والادب والرسم والموسيقى .. وغير ذلك من الفنون البصرية والسمعية .

● نعود الى الروائيين العرب .. من منهم تاثر بـ «جويس» ، واستفاد بفنه ؟

ــ كل من استخدم تكنيك «تيار الوعى : فى الكتابة الروائية» .. مثل نجيب محفوظ ويوسف ادريس وغيرهما تاثر به ..

اقصد .. إن اى واحد من الروائيين العرب لم يتاثر بـ «جويس» نفسه .. وإنما سمع عن «تيار الوعي» .

● هناك شك ان نجيب محفوظ قرا «جويس» بدقة وشمولية ؟

ــ هذا صحيح ..

لا اظن ان «نجيب محفوظ» قرا «جويس» استيعاباً وتفصيلاً .. لكنه قرا فرجينيا وولف (تلميذة جويس) ، وقرا ما كتب عن تيار الوعي ..

● كلمة اخيرة .. عن جويس .. ؟

فى اعتقادى .. ان «جويس» بتمايزه وتفرده وشموليته سيظل يتحدى «المعاصرين» ، فى هذا الجيل ، والاجيال القادمة .

محمد يوسف ــ الكويت

د . طه محمود طه :

● أستاذ الأدب الانجليزي الحديث بكلية الآداب ــ جامعة الكويت .

● من مواليد مدينة طنطا (مصر) في ٢٣ سبتمبر ١٩٢٩ .

● حاصل على درجة الدكتوراه من كلية « ترينيتي » ــ جامعة دبلن (ايرلندا) في فبراير عام ١٩٦١ .

وكان موضوع رسالته : المفكر والأديب « الدوس هكسلي » .

● عمل بجامعة « عين شمس » (بمصر) من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٦ ، وبجامعة اسيوط من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٦٨ ، ثم بجامعة الكويت من عام ١٩٦٨ وإلى الآن .

● من إنجازاته الابداعية المشهورة ترجمته لرائعة « جيمس جويس » يوليسيس Ulysses والتي ترجمها تحت عنوان « عوليس » ، والمرجع الأكاديمي البيلوجرافي النقدي التوثيقي (موسوعة جيمس جويس) التي اصدرها في عام ١٩٧٥ .

النظام الاقتصادي في الإســـــلام

بقلم: الدكتور السيد محمد بدوي

وضع الاسلام المبادىء العامة والقواعد الشاملة لحياة اجتماعية سليمة . وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبروز الحاجات . وهو بهذا الشمول ، وهذه المرونة ، قد كفل لاحكامه التطبيقية النمو والتجدد ، ومسايرة ظروف الحياة المتغيرة .

وقد ظلت الانسانية دهوراً طويلة تفرق بين القوى الروحية والقوى المادية تنكر احداهما لتثبت الاخرى ، او تعترف بوجودهما فى حالة تعارض وخصام ، حتى جاء الاسلام فاذا هو يعرض فكرة جديدة كاملة ومتناسقة فجمع بين الدنيا والآخرة فى نظام الدين ، وبين الروح والجسد فى نظام الانسان ، وبين العبادة والعمل فى نظام الحياة . وعن تلك المواءمة الحكيمة بين العقيدة والسلوك ، وبين مايتصل بالروح وما يتصل بالمادة ، تصدر تشريعاته وفرائضه ، وتوجيهاته وحدوده ، واراؤه فى سياسة الحكم وسياسة المال . وهذه السياسة تنطوى على عدالة انسانية واجتماعية شاملة ، لاعدالة اقتصادية محدودة .

والعدالة فى نظر الاسلام مساواة انسانية ينظر فيها الى تعادل جميع القيم ، بما فيها القيمة الاقتصادية البحتة ، وهى على وجه الدقة تكافؤ فى الفرص ، وترك المواهب بعد ذلك تعمل فى الحدود التى لاتتعارض مع الاهداف العليا للمجتمع . قرر الاسلام مبدأ تكافؤ الفرص ، ومبدأ العدل بين الجميع ، ثم ترك الباب مفتوحا للتفاضل بالجهد والعمل ، واتاحة الفرص المتساوية للجميع معناها الا يقف امام اى فرد حسب ، ولانشاة ، ولااصل ، ولاجنس ، ولاقيد واحد من القيود التى تغل الجهود .

والتسوية بين الناس هى مظهر احد الاساسين اللذين قام عليهما الاسلام ، وهما التوحيد والعدل ، وقد سار النبى فى اصحابه بمكة ثم المدينة مسيرة قوامها العدل فى الجليل من امرهم والخطير ، حتى استقر فى نفوس المسلمين ان العدل ركن اساسى من اركان الاسلام ، وان الانحراف عنه انحراف عن الاسلام ، والاخلال به اخلال بالدين ، والذين قراوا سيرة النبى الكريم وسنته يعلمون انه لم يكن يؤثر نفسه بخير دون اصحابه ، إلا أن يؤثره الله بهذا الخير فى امر يوحيه اليه فى القران ، وانتقل الى جوار ربه وهو لايملك من الدنيا بيضاء ولا صفراء .

وسار ابو بكر الصديق سيرة النبى نفسه ، فتحرج ان يموت وعنده من أموال المسلمين شىء ، واوصى اهله ان يردوا على عمر هنات كانت عنده من أموال المسلمين .

امـــا عمر فقد ارانا من ذلك مالا تصدقه النفوس : لقد ابى حين راى الشدة التى نزلت بالمسلمين فى عام الرمادة ، الا ان يشارك الناس فى شدتهم . فعرف ان عامة الناس من حوله لايجدون السمن فحرم السمن على نفسه ، وصبرها على الخبز الجاف والزيت . وقد اثر ذلك فى صحته ، فتغير لونه ، وعرف المسلمون ذلك فلم يستطيعوا ان يردوه عنه ، لانه ابى ان يخصب حتى يخصب عامة الناس .

أسس العدالة الاجتماعية

واذا بحثنا عن الاسس العامة التى اقام عليها الاسلام بناء العدالة الاجتماعية ، وجدنا انه يمكن اجمالها فى ثلاثة :

- التحرر الوجدانى .
- المساواة الانسانية الكاملة .
- التكافل الاجتماعى .

وقد ذهبت المسيحية الى ان التحرر الوجدانى هو التحرر من لذائذ الحياة وشهواتها . والتوجه الى ملكوت الله فى السماء . وهذا حق ولكنه ليس الحق كله .

فدوافع الحياة لاتقهر فى جميع الأحوال . والتحرر الوجدانى الذى يدعو اليه الاسلام معناه الاعتزاز بالنفس والحرص على طلب الرزق « دون فقدان الكرامة » . وعدم الشعور بالخوف عند المطالبة بالحق .

واذا استشعر الضمير البشرى هذا التحرر الوجدانى ، فسيطلب حقه فى « المساواة » . وسيجاهد لتقرير هذا الحق ، ولن يقبل عنه بديلا . وقد قرر الاسلام مبدا المساواة فى الوقت الذى كان يباح فيه للسيد أن يقتل عبيده ويعذبهم لانهم من نوع اخر غير نوع السادة . فى هذا الوقت جاء الاسلام ليقرر المساواة أمام القانون وأمام الله . فى الدنيا وفى الآخرة ، لافضل إلا للعمل الصالح « لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى » .

اما التكافل الاجتماعى فيضع فى اعتباره ان للفرد ذاته مصلحة خاصة فى أن يقف عند حدود معينة فى استمتاعه بحريته ، وان للمجتمع مصلحة عليا لابد أن تنتهى عندها حرية الأفراد . ولذا يقرر الاسلام مبدا التكافل بين الفرد واسرته ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الجيل والاجيال المتعاقبة .

وقيمة التكافل فى محيط الأسرة انه قوامها الذى يمسكها ، لان الاسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع . ومن مظاهر التكافل العائلى فى الاسلام نظام الميراث .

أما التكافل بين الفرد والجماعة فانه يوجب على كل منهما تبعات ويرتب لكل منهما حقوقا . فكل فرد مكلف اولا أن يحسن عمله الخاص . لأن ثمرة العمل الخاص ملك للجماعة . وكل فرد مكلف ان يرعى مصالح الجماعة كانه حارس لها . والتعاون بين جميع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة فى حدود البر والمعروف . والامة مسئولة عن حماية الضعفاء فيها ، ورعاية مصالحهم . وعليها أن تحفظ لهم اموالهم حتى يرشدوا وهى مسئولة عن فقرائها ومعوزيها بان توفر الرزق بما فيه الكفاية . فتتقاضى اموال الزكاة ، وتنفقها فى مصارفها ، فاذا لم تكف فرضت على القادرين بقدر ما يسد عوز المحتاجين ، بلا قيد ولا شرط الا هذه الكفاية . فالامة الاسلامية كلها جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وهكذا نرى ان الاسلام حينما حاول أن يحقق العدالة الاجتماعية كاملة ارتفع بها عن أن تكون عدالة اقتصادية محدودة ، فجعلها عدالة إنسانية شاملة ، واقامها على ركنين قويين : الضمير البشرى من داخل النفس ، والتشريع القانونى فى محيط المجتمع .

ويسير الاسلام فى سياسة المال على هدى فلسفته العامة ، وفكرته الشاملة ، يلاحظ مصلحة الفرد ويحقق مصلحة الجماعة ، وهو يتبع فى تحقيق هذه السياسة وسيلتيه الاساسيتين : التوجيه والتشريع .

ويعتبر الاسلام المال ، فى ذاته ، فتنة خلقها الله ليمتحن بها البشر فينظر كيف يعملون . فقد يكون اداة يسخرها الانسان لخدمة الناس واسعاد حالهم ، وتعميم الخير بينهم . وقد يستخدمه ، بعكس ذلك لايذاء الناس والاضرار بهم والضيق عليهم وفى القران الكريم آيات تنظر الى المال على انه ابتلاء وفتنة : « واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ، وان الله عنده اجر عظيم » كما أن هناك ايات تعتبره نعمة وفضلا : « ويمددكم باموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم انهاراً » « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

بين هاتين الصفتين يقف المرء حائراً ماذا يصنع ؟ ولكنه يهتدى الى طريق الصواب حين يدرك ان الدين يدعو الى تهذيب الطبيعة ، وعدم ترك الحبل على الغارب . فالمال وسيلة ، واذن يجب الا يتخذ غاية . لذلك حرم الاسلام الربا حتى لايكون – كما قال الغزالى – وسيلة لاستجماع المال واكتنازه دون أن تعم الاستفادة منه فى الامة . وقد انذر القران من يكنزون الأموال ويحبسونها بقوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولاينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ويحرم الاسلام تكتيل الاموال الى أن تصبح فى يد اقلية تتداولها بينها ويحرم منها عموم الامة ويحث على ان يقسم الفيء بين جميع الافراد ، معللا ذلك بقوله تعالى : « كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم » ، أى حتى لايصبح المال المكتسب مقصوراً على ذوى الثراء يتداولونه فيما بينهم دون أن يشيع تداوله بين الجميع .

ذلك ان تضخم المال فى جانب ، وانحساره فى الجانب الآخر مثار مفسدة عظيمة ، فوق ما يثيره من احقاد . فالمحرومون الذين لايجدون ما يبغون ، إما ان يحقدوا على ذوى الثراء الفاحش ، وإما ان تتهاوى نفوسهم وتتهافت ، وتتضاءل قيمتهم الذاتية فى نظر انفسهم . فتهون عليهم كرامتهم امام سطوة المال .

ويبيح الاسلام لكل فرد ان يكتسب ، ويحثه على ذلك ، بل يريد منه ان يكون غنيا شاكرا ، لكنه لايسمح له باستعمال ما اكتسبه وفق ما تريده اهواؤه وطبيعته . ذلك المال فى نظر الاسلام « مال الامة كلها » وهو قوام المجتمع باسره فلا ينبغى ان يصرف فى غير الوجوه التى تعود على المجتمع بالمنفعة .

والفرد أشبه بالوكيل فى هذا المال عن الجماعة ، وحيازته له انما هى « وظيفة » أكثر منها « امتلاكاً » ، اذ أن المال فى عمومه انما هو حق للجماعة ، والجماعة مستخلفة فيه عن الله ، الذى لامالك لشيء سواه : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . (سورة الحديد ٧٠)

وشرط بقاء هذه الوظيفة ، هو الصلاحية للتصرف . ولذا كان لولي الامر او للجماعة استرداد حق التصرف من السفيه : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً ، وارزقوهم فيها واكسوهم» (النساء : ٥) فحق التصرف مرهون بالرشد ، واحسان القيام بالوظيفة . وما من شك فى ان شعور الفرد بانه مجرد موظف فى هذا المال ، الذى هو فى أصله ملك الجماعة ، يجعله يتقبل الواجبات التى يضعها التشريع الاسلامى على عاتقه ، والقيود التى يحد بها تصرفاته كما ان شعور الجماعة بحقها الاصيل فى هذا المال ، يجعلها أكثر جراة فى فرض الفروض ، وسن الحدود .

وقد ترتب على هذا المبدا تحريم الاسلام لكل نفقة تعود بالضرر على صاحبها او على أسرته ، أو على المجتمع فالقمار محرم وتبذير الثروة فى اللهو محظور ، والتحلى بالذهب والفضة والحرير لا يباح للرجال ،

النظام الاقتصادي في الإسلام

واتخاذ اواني الذهب والفضة لا يسمح به ، والتباهي في تزيين المساجد وتحلية جدرانها ، وتشييد الاضرحة وتانيقها كل ذلك مكروه .

وللانسان ان ينفق ما اكتسبه على حاجته وحاجة ذويه دون بخل ولا اسراف «قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق» . وله ان يستغل فضول ماله في الفلاحة او التجارة ، ولكن بشرط الا يتجاوز في ذلك حدود التوجيهات الشرعية التي تدور كلها على اعتبار المال وسيلة ،فاذا توفر من هذه المعاملات ربح كبير يتجاوز الذي يحتاجه اصحابه ، فان الاسلام يوجب الانفاق على الأهل والاقارب المحتاجين ، ثم يحث على الانفاق في سبيل الله .

ولكن من الناس من يفضلون ادخار القليل او الكثير مما في ايديهم ، ويعتبرون ذلك فضيلة اجتماعية مشكورة . وهنا يتدخل التشريع الاسلامي بحل اجتماعي عادل ، وهو الزكاة .

الزكاة

الزكاة هي حق المال ، وهي عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعي من ناحية اخرى . وكلمة الزكاة معناها الطهارة والنمـاء ، فهي طهارة للضمير والذمة باداء الحق المفروض ، وهي طهارة للنفس والقلب من فطرة الشح وحب الذات ، وهي طهارة للمال باداء حقه وصيرورته بعد ذلك حلالا .

والزكاة حق الجماعة في عنق الفرد ، لتكفل للمحتاجين الكفاية ، وشيئا من المتاع بعد الكفاف احيانا . وبذلك يحقق الاسلام جزءا من مبدئه العام : «كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم» . فالاسلام يوجب، أولا ، أن ينال كل فرد كفايته من جهده الخاص حين يستطيع ، ثم من مال الجماعة حين يعجز لسبب من الأسباب . ويكره الاسلام ان تكون فوارق الطبقات بين الامة بحيث تعيش منها جماعة في مستوى الترف ، وتعيش جماعة اخرى في مستوى الشظف ، ثم ان تتجاوز الشظف الى الحرمان والجوع والعرى . يكره الاسلام هذه الفوارق لما وراءها من احقاد تحطم أركان المجتمع ، ولما فيها من اضرار المحتاجين ، إما الى السرقة والغصب ، وإما الى الذل وبيع الشرف والكرامة ، وكلها منحدرات يتجافى الاسلام بالجماعة عنها .

ولهذه المعاني جميعها شرع الاسلام الزكاة ، وجعلها فريضة في المال ، وحقا لمستحقيها لا تفضلا من مخرجيها ، حقا تتقاضاه الدولة بحكم القانون . ولكنه راح يحفز الوجدان على اداء هذا الحق ، حتى يجعل اداءه رغبة ذاتية من القادرين على الأداء ــ فالزكاة ركن من اركان الاسلام ، وضرورة من ضرورات الايمان : «وقد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون» (سورة المؤمنون) . فاذا لم يحفز الضمير الى تادية هذا الفرض ، فللامام ان يقاتل الناس ليجبرهم عليه ، بل ان الاسلام جعل للامام الحق في ان ياخذ بعد الزكاة ما يمنع به الضرر ، ويرفع به الحرج ، ويصون به المصلحة لجماعة المسلمين . فليست الزكاة وحدها هي حق المال ، بل انها الحد الادنى المفروض حين لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلة الزكاة . فاما حين لا تفـي ، فان الاسلام لا يقف مكتوف اليدين ، بل يمنح ولي الأمر سلطات واسعة للاخذ من رؤوس الاموال بقدر معلوم في الحدود اللازمة للاصلاح . ويروى عن الخليفة عمر «أنه قال في عام الرمادة : «لقد هممت ان انزل على كل بيت مثل عددهم ، فان الرجل لا يهلك على نصف بطنه» . واستنبط الفقهاء من ذلك ان لولي الامر في ايام المسغبة أن يوزع الفقراء على أهل السعة بقدر لا يجحف بهم .

نظام الميراث

ويشرع الاسلام نظاما اخر من اجل اتمام التوزيع للثروة الفردية ، وعدم تكتيلها في ايد قليلة ، ونعني به نظام الميراث .

فبينما نجد عددا من التشريعات عند الامم الأخرى تجعل الميراث من اختصاص الابن الاكبر استحسانا منها للاحتفاظ بالثروة متجمعة ، وبينما اعتبرت استمرار الثروة في يد الابن الأكبر ضمانا لاستمرار العائلة ــ بينما نجد ذلك في الانظمة الوضعية ــ حتى الديمقراطية منها ــ ، نجد الاسلام يجعل تركة المتوفى ميراثا للورثة ، يقتسمونها بينهم . وهؤلاء الورثة معينون ، حسب نظام دقيق وردت تفاصيله في ايتي الميراث (سورة النساء) . وهذا النظام له حكمته وله مبرراته . كما اباح الشرع «الوصية» فيما لا يزيد عن ثلث التركة ، وذلك لتلافي بعض الحالات التي تحرم فيها من الارث اقرباء توجب صلتهم ان يكون لهم نصيب . ولكن درجتهم تجعل غيرهم من الورثة يحجبونهم عن الميراث ، وهي بهذا الاعتبار وجه من وجوه البر والصدقة . ولا يحق لواحد من الورثة ان يجمع بين مال الميراث ومال الوصية ، «فلا وصية لوارث» .

فاذا لم يخلف المتوفى وارثا قريبا او بعيدا فان بيت المال يرث ما يتركه . ولذلك ، فالثروة مهما عظم مقدارها فانها بنظام الميراث هذا تتوزع بعد ثلاثة مواريث وتصبح فتة ، مقسمة كما كانت قبل اكتسابها . وبذلك يتحقق المبدأ العام الذي يسيطر على سياسة المال ، ونعني به الحيلولة دون تكدس الثروات ، ويكون نظام الميراث الاسلامي على هذا النحو ، اداة لتفتيت الثروات المتضخمة على توالي الأجيال ، فالملكية الواحدة تنتقل الى العديد من الذرية والأقارب بمجرد وفاة المالك ، فتستحيل الى ثروات متوسطة او صغيرة .

هذا بالاضافة الى ما يحققه نظام الميراث من التكافل العائلي ، ومن مراعاة التكافؤ بين الجهد والجزاء . فالوالد الذي يعمل ، وفي شعوره أن ثمرة جهوده لن تقف عند حياته القصيرة المحدودة ، بل ستمتد لينتفع بها أبناؤه ــ هذا الوالد يبذل اقصى جهده ، في العمل والانتاج ، وفي هذا مصلحة له ، وللدولة وللانسانية . كما ان فيه تعادلا بين الجهد الذي يبذله والجزاء الذي يلقاه ، فابناؤه جزء منه يشعر فيهم بالامتداد والحياة .

نظام الملكية

يقر الاسلام الملكية ، ولكنه مع ذلك يسعى لتضييق نطاقها خشية أن تصرف صاحبها عن الرشد ، فيحيد عن طريق الصواب . وهي ميزة امتاز بها الاسلام عن كثير من الأديان الأخرى ــ فالبرهمية بالهند مثلا تعتبر أن السعي لامتلاك الثروة إثم . والبوذية تعد حياة عامة الناس من اتباعها الذين يملكون ويباشرون المهن احط منزلة من حياة الرهبان الذين يحرم عليهم ملك شيء أو مباشرة مهنة . واذا كانت اليهودية لم تغل في هذا الأمر غلو البرهمية والبوذية ، إلا انها ايضا لم تكن تنظر الى اقتناء الثروة أو مهنة التجارة بعين الرضا واكتفت فقط بتحبيذ الزراعة . لذلك كان اليهود ينظرون الى التاجر نظرة احتقار الى

● قيمة التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يمسكها . لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع . ومن مظاهر التكافل العائلي في الإسلام : نظام الميراث .

● الزكاة هي حق المال . وهي عبادة من ناحية . وواجب اجتماعي من ناحية أخرى .. وكلمة الزكاة معناها طهارة الضمير والذمة بأداء الحق المفروض

درجة كبيرة ويسمونه «كنعانى» . وفى «سفر المكابين» ذكرت الزراعة ولم تذكر التجارة . كذلك كانت المسيحية الأولى ترى فى ملك الأرض والرقيق عقاب الله النازل على المالك لمعاصيه . وحرمت على الرهبان وعامة الناس من النصارى ، التجارة والربا وملك الثروة .

والحق أن تحريم الملكية لا يلائم طبع الانسان ، لأن التفكير فى مستقبله ومستقبل ذريته من صفاته الطبيعية . وان ما وصل اليه علماء الاقتصاد فى الغرب ، وفى العصر الحاضر ، بعد نقاش طويل ، ورد وقدح بين الآراء والافكار والنظريات حول تحديد الملكية . كل هذا قد عالجه التشريع الاسلامى ووضع مبادئه قبلهم بقرون .

فالاسلام لا يحول بين الناس وبين الملكية الفردية بوسائل التملك المشروعة . فهو يعطى المالك حق التصرف فى ملكه بالبيع والاجارة والرهن والهبة والوصية .. الى اخر حقوق التصرف الحلال ، وفى نطاق الحدود التى سنها للتصرفات .

وتقرير حق الملكية الفردية يحقق العدالة بين الجهد والجزاء ، فوق مسايرته للفطرة ، واتفاقه مع الميول الاصيلة فى النفس البشرية ، تلك الميول التى يحسب الاسلام حسابها فى اقامة نظام المجتمع .

ولكن الاسلام لا يدع حق الملكية مطلقا بلا قيود ولا حدود . فهو يقرره ويقرر بجواره مبادىء اخرى ، تكاد تحيله حقا نظرياً لا عملياً . ومصلحة الجماعة كامنة من وراء هذا كله .

ويرى الأستاذ « شارل جيد » وغيره من علماء الاقتصاد ان منشا حق الملكية هو الاستيلاء ولكن الشرع الاسلامى لا يقول بالاستيلاء المطلق ، ويرى ان استيلاء الغاصب على المغصوب لا يثبت حق الملكية ، كذلك لا يوجد ذكر للعمل كأساس للملكية ، لا فى نصوص القانون الرومانى ، ولا فى مواد القانون الفرنسى المدنى . ولكن الشريعة الاسلامية لم تقتصر على ذكر العمل كمصدر للملكية فحسب ، بل رجحته على جميع المصادر الأخرى ؛ ففى الحديث الشريف «ما اكل احدكم طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده» .

مصادر الملكية

وبينما يرى معظم رجال الاقتصاد فى الغرب ان اهم مصادر الملكية المعترف بها لدى القانون ثلاثة : الاشتراء ، والهبة ، والارث (سواء بوصية او بغير وصية) . نجد ان هذه المصادر لدى الشريعة الاسلامية كثيرة ، فمنها : الكسب ، والاشتراء ، والمعاوضات المالية (مثل اجور الخدمة ، وضمان التلف وغيرها) ، والمهور والخلع (وهو ما يدفعه الزوج عند التطليق) والميراث ، والهبات ، والصدقات ، والوصايا والوقف ، والغنيمة ، والاحياء (اى احياء الأرض الموات) ، والاقطاع (اى اقطاع الأرض لاحد من قبل الامام) ، ودية القتيل وغيرها . ولا يدخل عن طريق تلك المصادر شيء فى ملك الانسان إلا باختياره ، ما عدا بعض الاشياء فانها تدخل ملكه دون اختياره ، قبلها او لم يقبلها ، مثل الارث ، وغلة الوقف يملكها الموقوف عليه وان لم يقبل . وكثرة تلك المصادر تدل على حرص الشريعة الاسلامية على تعدد المسالك لادالـــة الثروة بين طبقات الامة المختلفة ذكوراً وإناثا .

والاسلام يرى ان التفاوت فى قسمة الثروة بين افراد الشعب راجع الى التفاوت الخلقى الموجود فى قوى الافراد المختلفة ، ومصدر مشيئة الله ، وليست الملكية الخاصة . ففى القران الكريم : «والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق» (سورة النحل : ٧١) وقد اعترف بهذا التفاوت الخلقى ، بعض كبار رجال الاقتصاد فى العصر الحاضر ، ومنهم الاقتصاديان الانجليزيان الفرد مارشال ، واللورد كينز . فقد اعترف الأول أن التفاوت بين الناس فطرى لا يمكن اقصاؤه كاملا . وهو يرى ان الفقر يرجع الى ضعف ، إما فى جسم الانسان او فى عقله او اخلاقه . اما الثانى ، وهو الذى كان لآرائه وافكاره اثر بليغ فى النظم الاقتصادية فى اوروبا وامريكا فى العصر الحاضر ، فقد عد هذا التفاوت مصدراً لاختلاف احكام الناس بشان توفير المال واستثماره في المشروعات الخاصة .

وسائل التملك الفردي :

ولما كان العمل ــ كما قدمنا ــ هو الوسيلة الوحيدة لنيل حق التملك في الاسلام ، فقد عدد الشرع عدداً من انواع العمل المشروع التي تعطي هذا الحق ، نذكر منها :

● الصيد : وهو الوسيلة البدائية الاولى في حياة البشرية .

● احياء الموات من الارض التي لا مالك لها : باية وسيلة من وسائل الاحياء ، ولابد من أن يقوم الفرد باحيائها في ظرف ثلاث سنوات من وضع يده عليها ، والا سقط حق ملكيته لها .

● استخراج ما في باطن الأرض من المعادن : وهذا العمل يجعل اربعة اخماس ما يستخرج من معدن ملكاً لمن استخرجه . والخمس للزكاة .

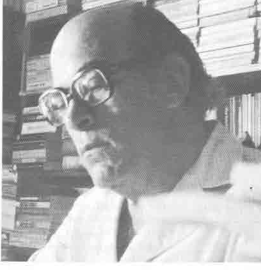
● الغزو : وينشا عنه ملكية السلب ، وهو كل ما مع القتيل الذي يقتله مسلم . كما تنشا عنه ملكية الغنيمة ، واربعة اخماسها للمحـــاربين وخمســـها لله وللرسـول : « واعلموا انما غنمتم من شيء ، فان لله خمسه وللرسول ، ولذي القربى واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل » (الانفال : ٤١)

● العمل باجر للآخرين : فالاسلام يحترم هذا العمل ويعظمه . ويروى ان الرسول قبل يداً ورمت من كثرة العمل وهو يقول ــ « تلك يد يحبها الله ورسـوله » . كما يدعو الى توفية العامل اجره معجلا كاملا غير منقوص ، وفي الحديث الشريف : « اعطوا الاجير حقه قبل أن يجف عرقه » ولقد طلب الاسلام الى العامل ، في مقابل هذه العناية بحقه أن يقوم هو من جانبه بتجويد العمل واتقانه « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » .

وما دام العمل هو أساس التملك ، فتقرير حق الملكية الفردية في الحدود التي بينها لا يضار به احد ، بل يصبح مجالا لحث الفرد على بذل اقصى الجهد ليرضي رغبته في التملك ، ما دام يعمل في الحدود المشروعة .

بقيـــة الدراســـة
في العدد القادم

ماجـــد يوســـف


ادوار الخـــراط

حوار مع القـــاص والروائي إدوار الخـــراط

حول أزمة العقل العربي

تتمثل فى الحوار مع الفنان الرائد والمثقف العربى المعروف إدوار الخراط ـ ولو كان حواراً جافاً حول «ازمة العقل العربى» ـ تلك الخصائص والسمات التى يستشفها المرء من حواره الحميم والخاص مع اعماله الابداعية فى القصة والرواية . فهو من هذا النوع النادر من المثقفين والفنانين والمفكرين الذين تتبلور فى كافة ما يصدر عنهم من ابداعات وتصريحات وحوارات وكتابات نقدية .. وحدة موقفية شديدة الاتساق تنجم بدورها عن رؤية واضحة ومحددة ولا لبس فيها من اى نوع . وهذه الرؤية المحددة لا تعكس جموداً ما ـ كما قد يبدو لوهلة ـ بقدر ما تشى بقدرة هائلة على الاحاطة الواسعة بافاق هذه الرؤية حتى اخر نقاطهـــا البعيدة . ولذلك فانت حين تقرا له قصة او رواية تحاوره حوارا اكتشافيا يمتلىء بالجدة والخصوبة والامتاع ، وحينما تحاوره فعلا حول اى موضوع يعن لك .. حواراً حياً مباشراً .. فانت تدخل ـ وبدون ان تدرك ذلك تماماً ـ فى مناخ إبداعى لاشك فيه ! .

وهنا لابد لك ان تتساءل .. هل ثمة علاقة بين «ابداع الحوار» فى لقائك الشخصى به وبين «حوار الابداع» فى لقائك بعمله الفنى واظن ان الاجابة تتلخص فى ان ادوار الخراط ذو قوام فكرى شديد الانضباط مع نفسه اولا ، ومع الاخرين بالضرورة . هذا القوام يعتمد الدقة فى العبارة ، والاناة فى اختيار اللفظة ، والتكثيف الذى ينأى عن خبث التزيد ، والتحديد الصارم المبتعد عن ميوعة ترهل العبارة ، والخلق الدؤوب للغة جديدة .. لا للفن فقط ، وإنما للفكر ايضا .. ولذلك فادوار الخراط يبدع محاورا (حينما يتكلم) ويحاور مبدعاً (حينما يكتب) . هى حالات متنوعة لحضور واحد . وربما يكون السبب الثانى لهذا الحضور المتسق والشديد التناغم عند ادوار الخراط ـ محاورا ومبدعا وناقدا .. الخ ـ حضور «الآخر» دائما فى مقدمة وعيه .. وهو يعطى هذا «الآخر» (كموضوع اساسى لتجليات «الذات») ـ فناً وفكراً ـ مكان الصدارة فى ابداعاته جميعها . ومع انه من المستحيل فى هذه العجالة الاحاطة بعالم فنان كبير ومثقف ضخم كادوار الخراط ، فهذا كتاب وحده ، ومهمة صعبة ليس من السهل ان ينبرى لها ناقد واحد ، بالاضافة الى انه ليس موضوع حوارنا معه ، إلا انه يبقى من الاهمية بمكان الاشارة ـ مجرد الاشارة ـ الى بعض الخصائص والسمات التى ألمحنا الى وجودها فى بدء هذه المقدمة ، كمقومات ومحاور تحكم رؤيته الفكرية والفنية فى اعماله الابداعية ، وكتاباته النقدية ، وحواراته الفكرية جميعاً .

واهمية هذه الاشارة تنبع من مسالتين :

اولاهما انها تؤكد على عامل الوحدة فى الرؤية والنظر فى كل ما يصدر عنه من فن وفكر ، وثانيتهما انها تحدد لنا افاقا مبدئية لحوارنا معه .

فادوار الخراط ـ فنا وفكرا ـ حالة مستمرة من التوق المحموم الى «الاقتراب من روح العصر» .. «الاقتراب من خصائص المكان والزمان الذى نعيش فيه» .. ونشدان لاينى للحرية ، الحرية المتحققة والمحبطة معا ، وسعى لاعج دائب لا يتوقف ابدا نحو

«الحقيقة» . وهذا السعى هو مناط الصدق الفنى عنده . كما يرتبط الخراط ارتباطا حميما .. «بما هو مقوم للانسان .. حريته التى لا يمكن أن تهدر .. توقه الى العدالة والى الجمال .. ماساته الكونية المحتومة كانسان .. وقدره المجيد فى مجابهتها» .

ولادوار الخراط علاقة خاصة ومتميزة وشديدة الخصوصية والفرادة باللغة العربية .. فهو عميق الايمان بها ، وعميق العشق أيضا ، يوقن انها شديدة الغنى ، وصارمة الدقة ، وبارعة المدخل الى النفس ويرى انها الاداة والخامة التى يصوغ منها الكاتب وبها عمله ، إن لها اهمية قصوى عنده . وليس مناط هذه الاهمية مناطا شكليا خارجيا ، فلا فكر ولا حس بدون لغة ومسعاه الدائم هو فى ان ينطق هذه اللغة بحساسيته وفكره فى سياق العصر بل وسياق المستقبل أيضا . ولا يمكن أن تحمل هذا الوعد لغة مكرورة ومعادة ومستهلكة ، ولذلك فهو يدمر وينسف القوالب اللغوية المصطلح عليها . إنه يمارس نوعا من التفجير للابنية التى يتقلص تحتها الفكر والحس ، محاولا ان يجد بين انقاض هذه الركامات الجوهر الثمين الحي . وليس الامر مجرد تفتيت وانفلات بقدر ما هو «فتح لابواب موصدة تضرب وراءها سيول عارمة تريد ان تندفق» .. ويريد لها الخراط ان تندفق «وفقا لقانونها الخاص وحريتها الخاصة» .

إدوار الخراط .. أب من اباء القصة والرواية العربية الحديثة ، ولا يسع أى تاريخ ادبى منصف وذو قيمة للحداثة او للحساسية الجديدة فى الادب العربى بعامة ، وفى القصة والرواية بشكل خاص ، إلا ان يبوئه مكان الصدر والصدارة فيه ! . هذا الرائد الكبير حملت اعماله الاولى فى اوائل الاربعينات بذور الحداثة والتجديد التى لم تؤت أكلها إلا بعد ما يزيد على العشرين عاما على الاقل بعد ذلك !!

والآن ، هل نتسلل معا الى عالم هذا العاكف المتبتل فى محراب الفن والحقيقة ، لنخوض حوارا معه حول : «ازمة العقل العربى» .

عزلة المفكر العربى .. لماذا ؟

● هناك تساؤل مبدئى يلح علي فى بداية حوارى معك ، وربما ترسبت طبقات هذا السؤال من مجموعة الحوارات السابقة التى خضتها مع مفكرين آخرين حول هذا الموضوع . وهو سؤال حول «الجدوى» من امثال هذه الحوارات . هل تعتقد ــ مع الوضع المعزول للمفكر فى عالمنا العربى نتيجة لعدة عوامل نعرفها جيداً ــ أن افرازات هذا المفكر او ذاك ، وتشخيصه لأزمات الواقع وتحليله لامراض مجتمعنا ، سيكون له صدى ما ــ ناهيك عن التاثير ــ فى تغيير هذا الواقع المتردى ، نحو الافضل والاحسن ؟!

السؤال بصيغة اخرى :

هل نطمح انا وانت ونحن جميعا ، أن يتمخض جهدنا المزمع هذا ، وامثاله عن نتيجة ما ، وفعالية ما ، ودور ما ، اكثر من مجرد نشر هذا الكلام على الملا وانتهاء الامر عند هذا الحد ؟!

هل مثل هذا الجهد ــ فى مثل هذا الواقع ــ من الممكن ان تكون له ثمرة حقيقية ، ام انه محكوم عليه بان يظل مونولوجا احاديا مع النفس ــ او مع النخبـــــة المثقفــــة ــ لا يتعداها ؟!

لماذا ــ فى مجتمعاتنا ــ دائما ما تجهض العلاقة التبادلية «للجدل» بين المفكر وهو يحلل ويشخص واقعه ويصل الى اطروحة فكرية ما لحله وحل تناقضاته من ناحية ، وبين المجتمع الذى من المفروض ان يصب فيه هذا السعى أساسا . ولكنه على العكس يقف منه موقفا شديد التعنت باستمرار . هناك حلقة مفقودة بين جهد المفكر عندنا ، وبين قدرة المجتمع ــ او رغبته فى تتويج هذا الجهد ، حتى ليبدوان فى حقيقة الامر على طرفى نقيض . فالمفكر تستولده احتياجات واقعه ، وهو حينما يولد ويتبلور يود لو يحل اشكاليات هذا الواقع ، فاذا به يلفظه بقسوة ، ويابى على الدائرة ان تكتمل اكتمالها الطبيعى .. لماذا ؟ .

الدور المنوط بالمثقف إزاء الواقع

يقول ادوار الخراط : انت فى هذا السؤال تمس القضية او المشكلة التى مــا فتئت تراودني ، وتلح على اذهـــان ــ لا اقول المفكرين فقط بل اقول ــ المثقفين بصفة عامة منذ فترة طويلة وربما عبر التاريخ ، اى تاريخ الوعى الانسانى كله ، ومازال قضية ملحة بل شديدة الالحاح فى العصر الذى نعيشه ، سواء كان ذلك فى الغرب أو بصفة خاصة فى الشرق ، والقضية : ما هو دور المفكر ، او بعبارة اوسع ، دور المثقف فى المجتمع ، ما هى مهمته ؟ ما هى فاعليته ؟ .

هى قضية بلا شك تؤرق ضمائر قطاعات كبيرة جداً من المثقفين والمفكرين فى مصر وفى العالم العربى والعالم الغربى على السواء ، لست أزعم أن عندى إجابة جاهزة حتى لما تحدثنا فيه من قبل فى هذا الموضوع . كنت اميل للتكلم بلسان القصاص والروائى ، وبلسان المهموم بالوسائل الفنية ، عندما قلت لك إنه يخامرنى شك كبير فى ان الفنان الحق ، الفنان الأصيل ، يستطيع ان يصل الى جمهور عريض ، دعك من استطاعته ان يؤثر فيه ، على الأقل فى المرحلة الراهنة التى تعيش فيها جماهيرنا العريضة فى مصر ، او فى سائر البلاد العربية .. وان دور الاعلام والصحافة ، والسياسة ، وفنون «بيع» المنتجات «الفنية» التى تتخذ ــ زوراً وبهتانا ــ شكل الفن ، هذه كلها تلعب الدور الاساسي ، أما الخبرة الفنية الاصيلة ، فما زالت على هامش حياتنا الاجتماعية ، جداً . لكن هذا لايعنى انه من المقبول او حتى من الممكن ان تنفى من البداية دور المثقف ، لاشك ان خبرتنا فى التاريخ تشير الى نوع من الدور الفعال يقوم به ذلك الذى اصطلحنا على تسميته بالمثقف بصفة عامة كانت هناك حقب تاريخية او مراحل اجتماعية كاملة وجد فيها هذا التكامل بين المثقف والمجتمع ، وكان المثقف او الفنان يقوم بدور عضوى فى المجتمع ، اننى اشير بالطبــع الى الفترات التى ازدهرت فيها انواع من «الميثولوجيا» الكاملة ، تكامل فيها دور الفنان والمجتمع ، اشير الى فترة مرت بها المجتمعات البدائية كان للفنان او «للكاهن» او «للساحر» فيها دور عضوى ، اشير الى الفترة التى كان فيها المثال او النحات او الفنان .. مجهول الاسم ، نحن لانعرف من هم أصحاب التماثيل الرائعة فى مصر القديمـــــــة ، من هم بنــــاه الكاتدرائيات الشامخة ، من هم أصحاب الموسيقات والتمثيليات الدينية الوسطية .

لم يكن للفرد فى تلك المراحل الدور الذى أصبح له فيما بعد . وهو موضوع طويل لا أريد ان استطرد فيه بحيث أبعد عن القضية الآن . المهم انه عقب نمو النهضة الصناعية ، عقب عصر الاستكشــافات الجغرافية ، عقب ظهور ما يسمى « بالعصر البرجوازى » عقب تاكد الفرد بشكل حاسم بعد النهضة الاوربية ، ظهر وتاكد نوع من الانشقاق بين الفرد والمجتمع ، وبالتالى تضاعفت وتفاقمت الأزمة الى ان وصلت الى مرحلتها الحالية التى يحس فيها المثقف الفرد والمفكر الفرد انه معزول عن المجتمع ، وانه كم مهمل ، وانه ليست له فاعلية ، وليست له سلطة ، او ليست له فرصة المشاركة فى اتخاذ القرار الذى يهمه كما يهم مجتمعه . صورة تبدو قاتمة حقا . ولكن يجب أن نفكر قليلا : هل حقيقة اختفى دور المثقف فى المجتمع ؟ . الا يمكن للمفكر أو المثقف ان يجد لنفسه دوراً فى

حول أزمة العقل العربي

وسط اجهزة الثقافة او اجهزة الاعلام .. مع ما يبدو من تناقض اساسى بين كلمـــة « اجهزة » وكلمة « ثقافة » .

هل أصبحت المؤسسات والأجهزة من القوة بحيث لا يملك الفرد الا ان يـكون مجرد ترس دوار فيها .. اظن لا .. اظن ان استقراء الواقع يشير الى الاجابة فى ناحية الامل لا فى ناحية اليأس ، ولكن هذا يتوقف على عوامل كثيرة جداً . من البداية لست اقطع بانه لن يكون للمفكر دور ــ دور حاسم واجتماعى على الاقل ــ كما اننى لست اقطع بانه لن يكون له دور .

الاحتمالان مطروحان ، والاجابة تتوقف على عديد من العوامل ، هناك ايمان ما عند المثقفين والفنانين بصفة عامة يتجاوز معطيات الواقع ، يستمد من الواقع عناصر ولكنه لا يسلم لها بكل الحتمية التى تبدو انها تومىء اليها بمعنى ما . يبدو لى من مجرد إثارة المشكلة والالحاح عليها وتقليب اوجهها وتحولها الى هم مقيم ومضن ، انها تعكس عاملا واقعيا . لو ان المشكلة كانت مجرد مشكلة تدور بين المفكر ونفسه ، لو كانت مشكلة فيما يصح ان نسميه « ذاتية بحتة » لما كان لها هذا التردد ، وهذا الصوت ، وهذا الالحاح . إذن فهذا كله يشير الى وجود احتياج ، احتياج يعبر عن ذاته ، احتياج يبحث عن المنطلق . هناك تمرد اساسى ما فى الانســان يستمده من الاستبصار الداخلى كما يستمده من الاستقراء الواقعى للتاريخ ، التمرد على قمع الاجهزة ، وعلى قمع المؤسسات ، بل اضيف الى هذا انه التمرد على قمع الواقع نفسه ، سواء كان هذا الواقع اجتماعيا او حتى كونيا . هذه الحاجة الانسانيـــــة الأساسية تكاد تبدو ثابتة كانها خالدة فى وسط الظاهرة العرضية اساسا ، ظاهرة الانسان . هذا كله يشير الى انه يمكن ان يكون للمثقف دور . هذا كله يشير الى منطق هذه الحاجة الانسانية ، منطق هذا المتطلب الانسانى الذى يبدو مستعصيا على الزمن وعلى التقلبات والتطورات الاجتماعية ، خالدا : انه يجب ان يكون للمثقف دور ، وللمفكر دور .

حرية المفكر العربي .. بين المنح والمنع

قلت له : قد أسلم مع سيادتكم بان هذه المشكلة قد توجد فى الغرب كما هى موجودة فى الشرق . اقصد مشكلة « إبعاد المثقف او المفكر عن لعب دوره المفترض الذى تؤهله له قدراته الطبيعية ووعيه المكتسب » . ولكن ثمة فارق هام بين المفكر فى اوروبا والمفكر فى عالمنا العربى ــ أو فى العالم الثالث برمته ــ هو ما يعنينى رصده هنا ، وهو ما عنيته بسؤالى او على الأقل فى بعد من ابعاد هذا السؤال . فالمفكر فى اوربا او المثقف قد « يغترب » احيانا نتيجة لظروف معينة ، ولكن المفكر او المثقف عندنـــا « معزول » من البداية وفى كل الاحوال .

بصيغة اخرى ؟

قد يعانى المفكر فى الغرب معاناة مترتبة على عوامل ليست احدها « الحرية » .. حرية الفكر والتفكير والابداع الفكرى . اما المعوق لدى مفكرنا فهو يتمثل اساسا فى حرمانه من هذا الحق المبدئى . ولازالت ماثلة فى الاذهان امثلة كثيرة من عصر نهضتنا ــ او ما نسميه كذلك ــ طه حسين وعلى عبد الرازق وقاسم امين .. الخ ، هذا هو الشق الأول من السؤال ، الشق الثانى : اننا نعرف من حركة النهضة الاوروبية انه كان ثمة سعى فكرى للتحرر من ربقة الكنيسة ، وان هذا السعى لم يكن يتم فى فراغ ، وانما كان له ثمراته باستمرار . كان هناك هذا التوازى المتنامى بين المعاناة الفكرية والابداعية الأوروبية فى طور نهضتها وبين حركة المجتمع ككل الى الامام .

فى عالمنا العربى ، وبدون مبالغة كبيرة نستطيع ان نقول إننا نرتد وبخطى واسعة حتى عن إرهاصات رفاعة ، وعبده ، والأفغانى . فهذه الروح التى اسميناها بالنهضة والتى املنا فيها كثيرا ترى مظاهر انتكاستها وتبديات ارتكاستها ماثلة امامنا فى كل يوم وعلى كل صعيد ، وكما لم يحدث فى طور النهضة الاول . والسؤال هنا : هل ذلك لانه ازداد احكام الحصار المضروب حول الفكر والمفكرين لنفيهم عن لعب دورهم الطبيعى (والذى الح من حديثك انك لازلت مؤملا فيه برغم كل شىء) أم لعل السبب يكمن فى ان المفكرين انفسهم اصيبوا بما اسميه التقوقع والانعزاليــــة و « البرج عاجية » ــ اذا جاز الاشتقاق ــ إن إيثارا للامان والسلامة ، وإن يأسا ، وإن ركونا الى حل فردى ما .. الخ ؟

عقل عربي .. أم .. عقل انساني ؟!

ادوار الخراط يجيب : لا .. تعال ، تعال نرتب افكارنا ونتحدث فى محاولة التلمس للاحاطة بموضوع معقد كل التعقيد وشامل وواسع جداً ، ولا حوار واحد ولا عشرة تكفى للاحاطة به . لكن نحاول أن نضع ايدينا على المحاور الرئيسية . دعك من مسالة الرصد والتوصيف فقد شبعنا واتخمنا من الرصد والتوصيف ، ونكاد نتفق جميعاً على المظاهر الملموسة الآن .. تمزق المثقف وغربته وعزلته ، وانعدام الحرية ، سيادة القيم الاستهلاكيـــــة ، ومشكلة الأمية ، وقصور التعليم ، وهجرة العقول ، ونزيف دم الحياة للمثقفين والفنانين فى مجارى العمل الادارى والمكتبى ، وطغيان التسلية السهلة التى تحمل تدميراً خفياً للقيم الثقافية وسيطرة اجهزة الدولة ، وتسخير مؤسسات الثقافة لخدمة المؤسسات غير الثقافية ، واكثر .. واكثر ..

افاض الكثير من مثقفينا فى رصد هذه الظاهرة بما يكفى وزيادة .

هل جرؤنا على أن نرجع هذه الظاهرة الى اسبابها ؟

يمكن ان تكون الأسباب اجتماعية اذا اخذنا بالتفسير الاجتماعى ، ويمكن ان تكون تاريخية ، بل هى قطعا كذلك ، إلى حد معين ، وبمعايير معينة ، وحتى لو اخذنا بالأسـباب « الثقافية ــ الحضارية » فيمكن ان يندرج هذا الفهم فى سياق التفسير « الاجتماعى ــ التاريخى » ، ويمكن أن تكون الأسباب خلقيــــــة او ميتافيزيقية اذا شئت . علينا ان نطرح من البداية سؤالا : هل نحن فى « العـــالم الثالث » كما قلت بصفة عامة ، او فى « العالم العربى » اى فى مصر ، او فى العراق ، او سوريا ، او الخليج او المغرب ، أو الجزائر .. الخ ، هل هناك خصائص متميزة « للعقل » فى هذه المنطقة من العالم لا توجد فى غيرها من المناطق ؟ هل هناك

عناصر خلقية ـ بكسر الخاء ؟ .

هل هناك اسباب جبلت عليها هذه الشعوب ؟ وما يسمى « العقل العربى » او « العقل الأفريقى » او « العقل الصينى » هل له خصائص تختلف جذريا ، خلقيا ، تكوينيا ، عرقيا .. عن غيره من العقول ؟ اظن اننا من البداية نستطيع ان نتفق على نفى هذا التصور ، نستطيع ان نتفق على انه ليس هناك ما يمكن أن نسميه « العقل العربى » ، كما لو كان هناك شىء عرقى خاص . هو « العقل الانسانى » فى كل مكان وفى كل زمان . ولا ينفى هذا وجود خصائص ومقومات للثقافة ، لكل ثقافة على حدة ، ترجع بوضوح إلى تراثها وعناصرها التاريخية والحضارية . اريد ان اهدف بهذا إلى ما يمكن ان يسمى « التعدد داخل الوحدة » . هل يمكن أن نضع ايدينا لنتلمس العلل والاسباب فى هذه الموروثات التى أصبحت مقوما للثقافة العربية ؟ اريد ان ننفى اولا حتى الاصطلاح الذى يسمى « العقل العربى » الذى لا أستريح اليه كثيراً لانه يكاد يوحى من بعيد أن فيه تفرقة عنصرية مـا .

قلت : قصدت باستخدامى لمصطلح « العقل العربى » الاشارة الى « ثقافة » معينة ، وطريقة تفكير ، وطبيعة رؤية ، وتراث له ملامح وسمات بعينها ، وانماط سلوكية ، وعادات اجتماعية ، وخبرة خاصة بالحياة ، واقنوم قيمى متميز ، ومجموعة من العقائد والاديان والقناعات .. الخ ، ولم اقصد اى امتياز خلقي ـ بكسر الخاء ـ او عضوى او بيولجى .. الخ ! .

قال : اذا تحدثنا اذن عن الثقافة العربية فسوف ندخل على الفور الى ظاهرة عريقة ، ولها مقومات غنية وطويلة المدى ، ولها اثرها او عواملها الفاعلة الآن .. اقصد عوامل فاعلة ناتجة عن التراث .

قلت : إن سلبا او ايجابـا !

ثقافة عربية .. أم .. ثقافات عربية ؟

قال ادوار الخراط : نعم .. فاعلة فى الاتجاهين . اولا : اريد أن أخلص من وهم الوحدة المصمتة التى تريد ان تصب كل روافد ومكونات الثقافة فى هـــذا « العالم » العربى العريض فى قالب واحد ! لست اظن ان هناك ما يسمى بالوحدة الواحدة المغلقة للثقافة العربية بمعناها المصمت القالبى الحجرى الذى يكون قالبا واحداً ليس فيه اختلاف . اريد ان أؤكد على فكرة الاختلاف فى داخل الثقافة العربية . واريد ان أؤكد ان هذا الاختلاف عنصر إثراء وغنى وليس عنصر تفرقة وتشتيت ، وبالعكس هناك اشياء عامة توحد بين الثقافات العربية . وها انت تلاحظ اننى استخدمت ، كما ينبغى لى ـ اذا صح لى منطقى ـ عبارة « الثقافات » العربية بدلا من « الثقافــة » العربية ، ولكنى لم اتخل عن وصفها جميعا بانها عربية فى النهاية ، وان كانت تصدر عن منابع لها قوامها وتكوينها وتراثها الخاص بكل منها . هناك عوامل عامة توحد بين الثقافات العربية بعضها البعض ، وتوحد بينها وبين الثقافة الانسانية العامة كلها ، لاخلاف فى هذا .

لست أدعو الى انفصالية مصطنعة ، ولكن ادعو الى تاكيد او اريد ان نتنبه الى تاكيد الاختلافات ، لكى تثرى وتستفيد هذه الثقافات المتعددة التى توحد بينها قنوات اتصال عريضة ومشتركة وتاريخية ، لكى تثرى وتستفيد من تلاقح بعضها البعض ومن ترافد بعضها إلى البعض . نتجاوز اذن مسالة الرصد والتوصيف الاولى الى الاسباب .

أظن أن هناك ثلاث او اربع نقاط احب ان اركز عليها . النقطة الاولى ، ليست مسالة اختلاف الثقافات بين شعوب المنطقة العربية مع اشتراكها العريض الذى اشرت اليه ، بل ازدواجية او تعدد الثقافة داخل الشعب الواحد . عندما نتحدث عن هموم المثقفين ودورهم ، وازمة الثقافة التى يعانونها ، نريد ان نتلمس حقا ما هى صلة المثقف او المفكر المصرى او العراقى أو المغربى بالطبقة العريضة التحتية التى تمنحه ماء الحياة نفسه ؟ ما هى الصلة التى تربط الآن حقيقة بين المثقف فى مصر او فى المغرب وبين شعبه ؟ سنلاحظ على الفور من مجرد إثارة السؤال ان هناك اكثر من حضارة ، او اكثر من ثقافة على الاقل فى داخل كل شعب ، وأن القنوات بينهما ليست موصولة كما ينبغى أن تكون ، ولا وسائل التفاعل متوفرة كما يجب ان تكون ، بين القاعدة العريضة من الثقافة الشعبية التى نعيشها فى مصر مثلا ، وهى ثقافة ارفض أن اسميها متخلفة . اننى ارفض فكرة « التخلف » الثقافى فى هذا السياق ، وازعم أن الشعب او الفلاحين أو الجماهير العريضة ليست متخلفة ثقافيا ، قد تكون متخلفة ـ هنا ـ بمعنى من المعانى ، بمقياس انها لا تملك ثقافة كاملة متفاعلة مع العصر الذى نعيش فيه ، هل هذه الثقافة ـ او الثقافات التى يعيشها الشعب ـ هى الثقافة الصحيحة او السليمة أو الايجابية او ما شئت من الأوصاف ؟ يبدو ان هذه المنطقة لم يتطرق اليها كثيراً !

ما هى الثقــافة التى يعيش بها ولها الناس فى بلادنا ؟

اليس هذا من اسرار او أسباب التمزق الذى يعيشه المثقف فى العالم الثالث بصفة عامة ؟ احساسه بالاغتراب عن ثقافة شعبه ؟ احساسه بانتمائه الى ثقافـــة لا يعرفها هذا الشعب ؟ . فى ثقافة الشعب بلاشك هناك الثقافة التحتية العريضـــة والسليمة ، رواسب تاريخية ما تزال تعيش فى وجدان الناس وهى مؤثرة سلبا او ايجابـا . وصحيح أيضا ان التراث القديم وبالتحديد التراث المحكى ، والتراث الموسيقى ، وما اصطلحنا على تسميته بالفنون الشعبية ، قد اضاف اليه الشعب ، أو الفنان الذى لا اسم له من بين صفوف الناس ، كما كان دابه فى المراحل التى تكامل فيها الفنان مع المجتمع ، مما جعل هذا التراث حيا ومرنا الى فترة قليلة خلت ولكن من الصحيح كذلك ان هذا كله يندثر بسرعة ويسير بشكل يكاد يكون حتميا الى الانقراض ازاء التقنية الكاسحة ، ونحن نشرف على نهاية القرن العشرين ، وندخل بلاشك الى عالم التقنية الجارفة التى لا يقف فى سبيلها شىء والتى تتسلل الى ابعد الكفور ، واصغر القرى ، واظلم الغابات ، وافسح السهوب .. تتسلل بدون عائق ، وتؤدى إلى التسطح ، وتؤدى الى نوع من التوحيد فى حدود القاسم المشترك الاصغر ، وتؤدى الى تغريب الانسان عن نفسه وعن ثقافته . كل هذا يحدث بسرعة . اظن ان هنا ازمة حقيقية ، وان هذه الغربة بين المثقف او المفكر و « ذاته الاخرى » التى هى شعبه يجب أن تنمحى ، مما يعود بنا الى فكرة المثقف ، كمكون عضوى فى المجتمع ، التى بدات بها الحديث .

المثقف عندما يكون متكاملا مع المجتمع وعنصرا عضويا فيه يؤدى وظيفة ليست اجتماعية فقط ، بل اجتماعية وحضارية وتؤدى الى تحقيق ذاتى ايضا للمثقف . وهنا تنتهى الازمة .

كيف يمكن ان ننفى هذه الازدواجية بين المفكر والناس ، او بين ثقافة النخبة اذا شئت وثقافة الشعب ، هذه هى القضية الاجتماعية ، قضية إثارتها مهمة . والوعى بها مهم جداً .

دور المفكر هو ان يحاول أن يرى صورة واضحة وان يريها للناس . مجرد اثارة الوعى هو البدء بالتحرك ، البدء بالحركة هنا دور المثقف ، على الاقل فى المرحلة الحالية ، ودوره هو اثارة الوعى ، لانه البدء بالحركة .

ماجد يوسف

معركتنا واحدة:
استعادة المبادرة الحضارية

بقلم: إلياس سحاب

منذ ان بدات الأمة العربية تستيقظ على العصر الحديث ، وحركتها تدور اصلا بين محورين : الاصالة والحداثة ، في وتيرة تتسم بالتوازن بين المحورين احيانا ، وبالانجذاب المتطرف تارة الى هذا المحور ، وطورا الى المحور الآخر ، كل ذلك وفقا للحاجة المحسوسة في ظرف من الظروف .

ولو راجعنا حركة الفكر العربي الحديث ، منذ رفاعة الطهطاوي ، بل حتى منذ الجبرتي ، الذي سجل بدقة هائلة يوميات صدمة المجتمع العربي المملوكي في مصر ، بحملة نابليون العسكرية ــ العلمية ، اكتشفنا ان موجات الريادة الفكرية تنشد دائما الى موقع الخطر الداهم وتركز عليه .

فحين يكون الخطر هو التخلف ، اي حين تصل تجليات التخلف وانعكاساته في ظروف معينة الى سقوط كبير في تحد ما ، فان الدعوة الى التقدم والى ضرورة الاخذ بكل اسباب العصر الحديث تصبح الفكرة الاساسية ، بل الفكرة المسيطرة على دعوات رواد الفكر ، اما عندما يتجلى الخطر ، في ظروف اخرى ، في الخوف على الشخصية القومية المميزة ، فان الدعوة الى الاصالة تصبح هي الفكرة المسيطرة بصاحبها حنين جارف الى التراث بكل تجلياته .

وقليلة هي الفترات والدعوات التي كان التوازن فيها واضحا بين ضرورتي الاصالة والحداثة ، واقل منها واندر هي المنجزات التي تجلى فيها هذا التوازن ، بوعي من صاحبها او بلا وعي احيانا .

لقد اخذ مفكر عربي ، لعله عبد الله العروي ، اخذ على الشباب العربي الجامعي انه يذهب الى اوروبا للتخصص ، فاذا به ينكب على دراسة ابن تيمية او القرن الهجري الاول ، بينما لا نرى الشباب الفرنسي الجامعي ــ مثلا ــ محصور الاهتمام بمفكريه في القرن السادس عشر ، بل هو يخوض دراساته الفكرية مع عصره الحديث في الغالب .

الاتصال الوثيق بالتراث

ومع الصحة النظرية لهذا الماخذ ، فانه لا يلتفت ابدا الى الاسباب العملية لهذا الواقع ، وهي الاهم في هذه المشكلة بالذات فالشعوب التي تقود الحضارة العالمية المعاصرة ، هي بالذات شعوب اوروبا وامريكا الشمالية ، هي شعوب مكتملة الاتصال بتراثها ، عبر خطين متوازيين :

ــ خط الاتصال الاكاديمي الذي لم ينقطع ، والذي اكتمل منذ اجيال طويلة بتصنيفات علمية اكاديمية شاملة ودقيقة ، اصبحت في متناول اصغر الباحثين واقلهم شانا .

ــ وخط الاتصال الحياتي الذي لم ينقطع ، فاذا كان التراث هو في النهاية المحصلة العامة لمزاج شعب ما ، وفلسفته ، واسلوبه في الحياة ، فان ذلك كله متجسد في الحياة اليومية للمواطن الفرنسي ــ مثلا ابتداء بالمواطن العادي ، وصولا الى كبار المثقفين ، وابتداء بتقاليد الحياة اليومية وصولا الى التقاليد الاكاديمية العريقة .

وبما ان العلاقة مع التراث طبيعية على جميع الاصعدة في الغرب (وهذا هو المطلوب) فان الانطلاق الى التجديد العصري ينطلق في جميع المجالات حرا قويا . وهذا عنصر اساسي من عناصر قوة الابداع المتجلية في العصر الحديث في ما

يسمى بالدول المتقدمة . ولا حاجة لاي فرنسي او بريطاني او بولوني ، ان يجدد الحديث عن التراث ، وضرورة الاتصال به ، بمناسبة وغير مناسبة ، طالما ان ضرورات تجلي التراث القومي مؤمنة بشكل طبيعي ، ابتداء من المجال الاكاديمي ، وصولا الى اسلوب ومزاج الحياة اليومية . ومع ذلك فان دعوات الصمود في وجه مسخ الاسلوب المميز للحياة تتصاعد اليوم في بلاد اوروبية مثل اليونان واسبانيا ، في وجه غزو اسلوب الحياة الامريكي (غير المسلسلات التلفزيونية ، وملابس الجينز والهامبرغر والكولا وموسيقى الديسكو الخ ....) ولكن هذا حديث جانبي ، نشير اليه اشارة عابرة فقط .

هذا هو الموقف في اوروبا والدول المتقدمة ، فما هو الموقف لدينا ؟

تيه معطل للابداع

لقد بقيت البيئة الشعبية ، في الريف والمدن ، هي الخزان الوحيد لتفاصيل الشخصية الحضارية العربية المتوارثة والمتطورة عبر الاجيال (كما اشرنا في المقال الاول) ، ولكن شرائح المثقفين واهل المدينة بشكل عام ، اصبحت تمثل يوما بعد يوم جزيرة غريبة هجينة ، تابعة للغرب في اسوأ حالاتها ، تائهة بينه وبين بيئتها الاصلية ، في احسن حالاتها . وهو تيه لا نراه فقط في الكتلة العامة للمثقفين ، بل داخل الفرد المثقف نفسه ، في ازدواجية قاتلة ، معطلة لاي ابداع حقيقي .

ان انحصار السعي الى التقدم في هذه الشريحة التائهة ، المهزوزة الشخصية ، قد خلق خصاما او سوء تفاهم تاريخيا بين الشرائح الاصيلة في المجتمع العربي وبين التقدم ، لان هذا التقدم كان في معظم الاحيان لا ينجلي الا كانسلاخ حتمي عن البيئة الاصلية ، والتحاق قسري بالغرب . وهذا ما يفسر لنا كيف ان كل انجازات «التقدم» العربية لم تنجح لا في اضافة شيء اصيل ومتميز الى الحضارة الانسانية المعاصرة ، ولا في اجراء تحول عصري حقيقي وجذري في اعماق البيئة العربية المحلية .

وهكذا ، ولد الحاجز الذي يكبر يوما بعد يوم ، بين ما هو نظري وما هو عملي في هذا المجال ، وهنا تكمن الازمة الحقيقية ، التي ستظل مستمرة بل ومتفاقمة ، طالما بقي هذا الحاجز الكبير قائما .

فعلى الصعيد النظرى ، نرى تيار الاصالة المتجلى بالتمسك بحذافير التراث ، وهو يضم اكثر من رافد ، ولكنها تصب في النهاية في تيار واحد ينقسم الى خطين اساسيين : خط عملي يحلم باستعادة حياة السلف استعادة كاملة في القرن العشرين ، وخط يقف عند حدود التمسك المطلق بالذات ، من غير قدرة على تجاوز هذا الى اقتراحات عملية ونرى من جهة اخرى روافد فكرية عديدة تدعو الى الحداثة ، ولكنها تصب كلها في النهاية في موقف المعتبر للغرب نموذجا اوحد للتقدم الممكن في هذا العصر ، باعتباره نموذج التقدم الوحيد القائم عمليا ويوميا امام عيوننا والمتجلي في كل فروع الحياة المعاصرة .









رفاعة رافع الطهطاوي — نابليون — الجبرتي

قصور تيار المصالحة

ومن تناحر هذين التيارين ولد تيار ثالث يحاول المصالحة بين الاصالة والحداثة كضرورتين متلازمتين ، متكاملتين لا متعارضتين ، ولكن هذا التيار بقى عند حدود المصالحة النظرية بين الاصالة والحداثة ، ولم يجرؤ بعد على مقارعة انصار التيارين الاخرين في الميدان الحقيقي للمقارعة وهو الميدان العملي الذي ينسحب على نواحي الحياة ، ابتداء بالحياة الاكاديمية وانتهاء بالحياة اليومية العادية التي تشمل شؤون المآكل والملبس والمشرب والمسكن والمواصلات وما شابه ذلك .

طغيان التلقي الهامشي

كل هذا على الصعيد النظري ، اما على الصعيد العملي ، فنحن امام حالة قطيعة من الفوضى لا ندري هل هي فوضى البلبلة الكاملة ام فوضى مرحلة المخاض ، فنحن من جهة امام طغيان كامل للحضارة الاوروبية ـ الامريكية ، لم يعد يقف عند حدود التاثير الثقافي ، بل تعداه الى صياغة الحياة اليومية العربية بادق واصغر وابسط تفاصيلها وفي مناطق ريفية وداخلية واسعة (وليس في المدن فقط) وفقا للنموذج الاوروبي الامريكي ، يدعم ذلك تطور في وسائل الاتصالات لم يسبق له نظير في التاريخ ، يجعل تفاصيل الاحداث والحياة اليومية للدول المتقدمة ، تفاصيل واحداثا مشتركة بين جميع شعوب الارض دون ان يكون لشعوب العالم الثالث اي ضلع في صناعة هذه التفاصيل والاحداث او حتى في وضع اللمسات الخاصة عليها الامر الذي يعطي الغرب اقصى قدرة تمتعت بها مجموعة بشرية على مر التاريخ لصناعة المزاج البشري العام على صورة مزاجها الخاص ، يقابل ذلك في الطرف الآخر وخاصة عند العرب ، ذروة سياسية من التشرذم الاقليمي الذي لم يسبق له مثيل حتى في اسوأ ايام الانحطاط العربي في القرون الخمسة او الست الاخيرة ، الامر الذي يسحب من يد العرب (في الوقت الحاضر على الاقل) اية قدرة على المبادرة والابداع ، ويضعهم في موقع المتلقي الهامشي العاجز حتى عن التقليد المتقن ، المحروم الا من القدرة على الاستيراد الاستهلاكي ، وحتى هذه القدرة تبدو ذات

معركتنا واحدة: استفادة المبادرة الحضارية

افق تاريخي محدود باستمرار المستوى الحالي من تدفق فوائض الثروة النفطية .

حلول سطحية خلابة

لقد اصبح من المعالم الجديدة المميزة لمرحلة الفوضى الفظيعة الحالية ، محاولات الحلول السطحية ذات الشكل الباهر ، والتى تتجلى فى مؤسسات اقتصادية او ثقافية ، ليس لها من شروط الابداع والخلق والتجديد سوى الأرقام المذهلة فى رؤوس الأموال ، والقدرة على استيراد كميات من الحاسبات الالكترونية (التى نسميها بعقد نقصنا الادمغة او العقول الالكترونية) ، وهى مؤسسات تثبت يوما بعد يوم عجزها عن تفجير ينبوع ابداع حقيقى واحد فى الحياة العربية المعاصرة ، او وضع ملمح خاص واحد على سطح هذه الحياة ، فى مقابل الملامح التى يضعها الغرب على سطح هذه الحياة وفى اعماقها .

هذا على جبهة التقدم والمعاصرة ، اما على جبهة الاصالة ، فان الأمور ما زالت فى حياتنا العامة والخاصة متوقفة عند حدود العموميات الوجدانية ، بحيث يتحول النزوع الى الاصالة ، عمليا ، الى مجرد هامش تزييني خارجى لحياة فكرية وثقافية واقتصادية ذات قواعد واعمدة اساسية منقولة ، فكيف الخروج من المازق ؟

الخروج من المازق

فى السياق السياسى ، كان جمال عبد الناصر يقول (فى فلسفة الثورة) ان كل الامم الحية قد سمحت لها ظروفها ان تخوض معركة استقلالها السياسى التى تستدعى عادة اعلى درجات الوحدة الوطنية ، ثم تخوض بعد ذلك (واحيانا بفاصل زمني كبير) معركة تحررها الاجتماعى التى تتلازم بالضرورة مع صراع اجتماعى داخل المجتمع الواحد . اما العرب ، فقد شاءت ظروفهم فى العصر الحديث ان يخوضوا المعركتين فى آن واحد ، مع كل ما هناك من تناقض بين شروط كل من المعركتين ، الامر الذى يضخم كثيراً اعباء التحدى المطروح على الاجيال العربية المعاصرة .

اما فى السياق الحضاري ، فيمكننا التحدث عن وجود صعوبات موازية تماما . فالعرب امام معركتين مختلفتي الشروط الى حد التناقض :

– فهم امة فقدت الاتصال الحياتى المباشر بمعظم ينابيع شخصيتها التاريخية والحضارية المميزة . لذلك فهم امام معركة اعادة الارتباط الحيوى والخلاق بالتراث .

– وهم امة تكاد تدخل القرن الحادى والعشرين وهى ترى مسافة التقدم المعاصر بينها وبين الامم الاخرى تزداد وتتسع يوما بعد يوم . لذلك فهم محكومون بالسير باقصى سرعة لامتلاك وسائل العصر الحديث .

فهل هناك تناقض حقيقي بين شروط المعركتين ، يوازى التناقض الظاهرى بينهما ؟ وهل نحن مضطرون الى اغلاق الابواب والاسوار من حولنا والانكفاء على ماضينا نعيش فى رحابه جيلا او جيلين حتى نستعيد الاتصال بينابيع شخصيتنا الحضارية ؟ ام هل نحن مضطرون الى دخول العصر عن طريق الالتحاق التبعى الكامل بالغرب والاكتفاء بحلم تقليده باتقان ، لان الوقت لم يعد يسمح باكثر من ذلك ؟

التفاعل الخلاق والمعاصرة

الحقيقة هى ان مشكلتنا واحدة ، سواء امام تراثنا الحضارى ، او امام طغيان الحضارة الاوروبية المعاصرة ، وهى مشكلة الافتقار الى روح المبادرة .

فالحضارة العربية ، التى ترتبط فى ذهننا دائما بمفهوم الاصالة ، لم يكن لديها فى قرون ازدهارها السبعة (بين القرنين السابع والرابع عشر) لا مشكلة حداثة ولا مشكلة تفاعل مع ما يحيط بها او ما سبقها من حضارات . ومن هذه الزاوية فليس هناك اى معنى لدعوة الاصالة اذا لم تكن ، فى اساسها ، استحضارا لقدرة الابداع والتفاعل الخلاق والمعاصرة الكاملة ، التى اعطت الحضارة العربية تلك الزخم الذى وضعها فى صدارة الحضارات الانسانية لحقبة طويلة ، لم تتح لاية حضارة اخرى ، بما فى ذلك الحضارة الاوروبية المعاصرة ، الحديثة العهد ، المتوسطة العمر تاريخيا ، ان لم تكن قصيرته ، على حد تعبير المفكر الفرنسي رجاء جارودى .

اما على صعيد المعاصرة ، فيمكننا القول ايضا ، اننا منذ انهيار الامبراطورية العثمانية ، اندفعنا بكل قوتنا نحو امتلاك التقدم عن طريق الالتحاق باوروبا او استلهام نموذجها الحضاري استلهاما تبعيا غير خلاق ، وكان بعضنا قد بدا السير فى هذا الطريق قبل انهيار الامبراطورية العثمانية بفترة طويلة ، ومثلنا فعلت تركيا ايضا منذ العشرينيات ، فاى موقع استطعنا ، نحن او تركيا ، ان نحتل ، بل اى خطوة حقيقية استطعنا ان نخطو باتجاه ان نصبح شركاء اساسيين فى تحديد معالم الحضارة الانسانية المعاصرة ؟ لقد كنا دائما قادرين على استيراد كل او بعض اشكال الحضارة المعاصرة ، ولكننا كنا بعيدين عن امتلاك روح المبادرة ولو فى مجال ضيق من مجالات هذه الحضارة .

مبادرات عملية ممكنة

نحن اذن محكومون باستعادة روح المبادرة سواء ازاء تراثنا الحضارى ، او ازاء الحضارة الاوروبية المعاصرة ، ببعض الامثلة العملية .

ففى مجال العمارة مثلا ، نجد انفسنا منقسمين الى فريقين : الفريق الاكبر منغمس حتى اذنيه فى هندسة الشوارع والاحياء والبيوت الجديدة وفقا لاخر صيحات الهندسة المعمارية فى المدن الاوروبية ، فى الوقت الذى يبدو فيه هذا

الموضوع بالنسبة لكثير من العلماء الأوروبيين كابوساً عصرياً وضعوا المؤلفات الكاملة لنقده وتشريحه والتحذير من اخطاره ، مع ان النماذج الهندسية مستمدة كلياً من المزاج الاوروبي وأسلوب الحياة المعاصرة فى اوروبا ، بل ان هؤلاء العلماء يعتبرون هذه النماذج دليل وصول الحضارة الأوروبية الى حائط مسدود فى مجال الحياة العائلية والعلاقات الاجتماعية والصحة النفسية للفرد والمجتمع .

اما الفريق الاصفر ، فانه واع لهذه المشكلة ، ولكنه لا يملك اكثر من النقد النظري العابر . فاذا ما اندفع احد المهندسين الخلاقين الى محاولة ابتكار نماذج معمارية نابعة من البيئة العربية والمزاج العربي وأسلوب الحياة العربي ، فان هذه النماذج تاتي (حتى الآن على الاقل) فاشلة من الناحية العملية ، لها جمال الحلم ، ولكن ليس لها الفاعلية التي يمكنها ان تواجه الحياة اليومية التي لا تتوقف .

ليس معنى هذا طبعاً ان نقع في الفخ الانعزالي ، فننساق الى رفض كل ما ياتينا من الغرب في هذا المجال ، لمجرد التمايز بل المطلوب ان يقف على المبادرة في هذا المجال ، فنبدا ونحن نفكر بتصميم بيوتنا وشوارعنا ومدننا ، باستلهام حاجاتنا الخاصة ومزاجنا الخاص ، فاذا اتت النماذج الفعلية بعد ذلك بقواسم مشتركة مع النماذج الاوروبية فلا باس من ذلك ، شرط ان يكون ذلك نتيجة اختيار حر ، لا نتيجة تبعية الية كما هو الحال الآن .

في مجال العمارة

ولكن هذا الكلام النظري الجميل غير ممكن التطبيق عملياً الا اذا توفرت عدة عناصر عملية متكاملة في التمهيد لمبادرة عربية حقيقية في مجال فن العمارة الحديثة كمثال على كل المجالات الأخرى :

١ ـ إجراء دراسة عربية شاملة لتطور فن العمارة العربية في جميع العصور ، من حيث المؤثرات الخارجية فيه والعناصر الأصلية وتطور ملاءمته لتطور البيئة العربية من الجزيرة الى العراق الى سورية الى مصر الى المغرب الى الاندلس ومن القرون الاولى حتى القرون الوسطى ، ومن الخيمة فى



عبد الله العروي

الصحراء ، حتى غرناطة ، وجعل هذه الدراسة التي تشمل كل النواحي الرياضية والجمالية والبيئية والحياتية ، المادة الدراسية في كل الصفوف في جميع كليات الهندسة في الدول العربية . وفي هذا مثال على العلاقة الخلاقة بالتراث .

فمثل هذه المواد لن تكون مثالاً قديماً يعاد تكراره فى القرن الحادي والعشرين ، بل تكون اطلاعاً عميقاً من عرب القرن العشرين ، على انعكاسات المزاج العربي العام فى فن العمارة عبر العصور . وهذا الاطلاع هو الاساس الوحيد الذي يمكن ان يولد منه الابداع العربي المعاصر في فن العمارة ، اذ ليس من المعقول ان يدرس المهندس العربي كل فنون الهندسة فى العالم ، ولايطلع على فن العمارة العربي من باب شمولية الاطلاع ، على الاقل .

٢ ـ اجراء دراسات معمقة ومتصلة تشمل جميع نواحي الحياة العربية اليومية المعاصرة ، في المشرق والمغرب ، في المدن والارياف ، واستخلاص انماط المزاج الحياتي العربي المعاصر وفرز الطبيعي منه عن المفتعل بحكم الركض الاعمى وراء كل ما ياتي من الخارج ، والخروج من ذلك بحلول عملية ، ستكون حتماً ـ في حال تطبيق البند الاول لفترة طويلة ـ مستندة الى تراكم تطورات المزاج العربي في الهندسة المعمارية ومغموسة في الواقع المعاصر للحياة العربية ، بكل ما فيها من تعقيدات جديدة ، ليس اقلها الانفجار السكاني الهائل في المراكز المدينية

ان مثل هذا الكلام الذي يكتفي بمجرد اشارات اولية ، لو طبق في سائر نواحي الاهتمامات العلمية والثقافية ، لكان كفيلاً بتامين نقطة الانطلاق التي ما زلنا نجري وراءها عبثاً منذ قرن من الزمن على الاقل وهي نقطة التوقف عن الاندفاع الآلي وراء التقليد السطحي ، والدخول في مرحلة الابداع المستند الى كل النواحي التفصيلية الفنية للشخصية العربية الخاصة .

ضرورة تاصيل علومنا

ولكن هذا مستحيل فى الموسيقى اذا ظل طالب الموسيقى العربي يعتبر ان العلم هو فقط في الاطلاع على اصول وقواعد وتاريخ الموسيقى الاوروبية . وهذا مستحيل في الرسم ،اذا كان طالب الرسم العربي يعتبر ان العلم هو فقط في الاطلاع على اصول وقواعد وتاريخ الرسم في اوروبا . وهذا مستحيل فى كل المجالات الأخرى (الفلسفية والاقتصاديه والاجتماعية والعلمية) اذا بقينا مصرين على ان نبني على غير أساس، منا من يرتاح الى مجرد استذكار امجاد الحضارة العربية الغابرة ، ومنا من يرتاح الى وهم تحقيق التقدم العربي ، بالحاق العرب بركب الحضارة الاوروبية الحاقاً تبعياً بليداً ، وكلنا (فى الحالتين) عاجزون عن تحقيق الخطوة الاولى في طريق المبادرة الخلاقة في الحضارة المعاصرة ، مبادرة تحمل كل سمات الشخصية العربية المميزة ، نحن بحاجة ماسة الى اعادة واكتشاف العروبة ، وليس لننفصل عن ركب الحضارة الانسانية او ننعزل عنها ، ولكن لنكون عنصراً فعالاً فيها كما كان اجدادنا ، لا مجرد عالة عليها ، كما نحن اليوم .

غير ان كل هذا سيظل كلاماً نظرياً بانتظار القرار السياسي بالعيش على مزاجنا (بمعنى المزاج التاريخي العام للأمة) لا على مزاج غيرنا ، فهذا هو الاستقلال بكل بساطة ، عندئذ سنعرف كيف نتعرف الى ملامح هذا المزاج ، ونحترمه نحن اولاً ثم نفرض احترامه على الآخرين ، وهذه هي الاصالة بكل بساطة ، ثم كيف نجسد هذا المزاج في الفلسفة والاقتصاد والعلوم والفنون ، وهذه هي الحداثة بكل بساطة .

الياس سحاب



حكايات صغيرة

بقلم: عبدالله الشيتي



● آلـــــو..

هاتف المكتب يرن رنيناً متواصلاً ، بلا رحمة ، وسط زحمة العمل ، والمطبعة فاتحة شدقيها لا تعذر : هل من مزيد .. وامسك بسماعة الهاتف :

ـ نعم .. ؟

ـ الله ينعم عليك ..

ـ وعليك وعلى والديك .. مين الاخ . ؟

ـ والله زمان .. سلامات ..

ـ اهلا . لم اتشرف بالمعرفة ؟

ـ ولو ما عرفتنى .. ؟

ـ (الله يجيبك يا طولة الروح) معليش . ذاكرتى ضعيفة . مع ان صوتى مشهور ..

ـ يعنى مطرب ، الاخ . ؟

ـ اعنى اننى دائما اكلمك ..

ـ ما تؤاخذني . إنه النسيان .. مشغول شوى ..

ـ كيف الحال والعيال و ـ (و .. ؟) .

ـ (مقاطعاً) كلهم بخير . بيقبلوا إيدك . ممكن اخدمك .. ؟

ـ صحيح انك عصبى .. ما هكذا عهدتك .

ـ اوه . ارجوك . عندى شغل لفوق راسي .

ـ وانا عندى شغل اكثر .

ـ يا سيدى امرك . امرك يا سيدى ..

ـ الله يرحم عبد الحليم حافظ .

ـ ويرحمني كمان ..

ـ وين بدك تسهر .. ؟

ـ « صائحاً » ارجوك . خلصني حل عني . ارحمني . اعتقني لوجه الله ..

ـ صحيح انك قليل حياء يا سيد فوزى ..

ـ وهنا فقط ادركت ان صاحبنا غلطان بالنمرة . فوضعت السماعة قبل ان اعتقد انه يريد مكالمـــــة المرحـــوم فوزى . القاوقجي ! !

● الآنســة أجـاثـا

قليلون وقليلات اولئك الذين يعرفون من هي « الآنسة اجاثا بربارة » انها مواطنة مالطية ، فى عقدها الخامس إلا قليلا . بسيطة المظهر ، بالغة الرقة والتواضع . تبتسم للصغير والكبير . وهي تذهب الى السوق تشترى حاجياتها بنفسها . لم تتزوج . وتقوم بشؤون بيتها دون الاستعانة بخدم . تزار وتزور كاى « ست بيت » وقد تصادفها على مراى العين فى هذا السوق او ذاك الشارع ، فى سيارة متواضعة . او تجدها فى احتفال شعبى او مناسبة فى فندق ، او حفلة خاصة او سهرة عائلية . فاذا مددت يدك لمصافحتها وقدمت إليها نفسك « فلان ابن فلان » فسوف تكتفى هى بالقول : اجاثا بربارة ، من خلال بسمة رقيقة ووداعة ظاهرة ..

وإذا كنت فضوليا فسوف تعرف عندها ان الآنسة اجاثا هى نفسها وزيرة العمل فى حكومة « مونتوف » سابقاً ، ورئيسة الجمهورية المالطية الآن ..

ويانســاءنا نحن : المزيد من التواضع .. !



● ذهب.. وعاد



كثيراً ما نقرأ فى الصحف اعلانات عن خادم (ذهب ولم يعد) الى بيت مخدومه وكثيراً ما نرى اذا ما فتحت قفص عصفور حبيس انطلق «السجين» الجميل الى اجواء الحرية بلا عودة ولسان حاله ـ يغرد ـ مع عبد الوهاب : ما احلاها عيشة الحرية ..

ومنذ ايام كنت ازور صديقاً فى بيته وسمعت زقزقة موسقة شنفت سمعى . وعلمت بالطبع انه صوت عصفور حبيس . وتذكرت حكاية ابى فراس مع جارته الحمامة وتخيلت ان جارى الصغير ـ العصفور هو جارى يسائلني :

ـ اه يا ابن ادم لو تشعر بحالى ..

ولما رآني مغتما سالنى : ايه الحكاية يا اخ .. ؟

قلت : لا احب العصافير السجينة . لا تقتلوا العصافير . لا تقتلوا الحرية ..

قال : ولكنه يعشق عبودية القفص .

صحت : مش معقول . هل هناك من يكره الحرية .. ؟

قال : صدقني . اطلقت سراحه خمس مرات وكل مرة اراه يعود ينقر نافذتى ..

قلت : لا اصدق الا اذا جربت بنفسي . !

قال : جرب .. حتى يطمئن (ضميرك) ..

قمت الى القفص واطلقت سبيل العصفور الجميل .. فطار قليلا

ثم التفت الى صاحبى اقول له : ارايت . لقد منحناه الحرية ..

قال : ولكنى اشفق عليه . انه معتاد على القفص ههنا ، فقد وفرت له كل سبل الراحة والغذاء والماء ..

وما ان انتهى من كلامه حتى سمعنا نقرا على النافذة . انه هو نفسه ومعه عصفور آخر مهاجر يزقزقان .. !

وهذه المرة اتيت لصديقى بقفص جديد هدية ، وانا اردد مع عبد الوهاب أيضاً : مطرح ما ييجي لعيني النوم . انام وانا مرتاح البال . ما دام حبايبى حوالي . كل البلاد عندى اوطان ... ! !

● هـــذا في باريس

زرت مؤخراً باريس ، زيارة عمل خاطفة . وحللت فى فندق قريب من شارع يعج بالحوانيت والمحال التجارية ، المشتهرة باسعارها النارية . وفى اليوم التالى لوصولى ، اضطررت لشراء بعض الحاجيات الشخصية ، اذ كانت حقيبة سفرى قد تخلفت وذهبت فى اتجاه غير اتجاهى . ودخلت حانوتاً كبيراً تبضعت منه بعض ما يلزمني من أدوات الحلاقة ، وتصفيف الشعر ، وكان البائع رجلا عجوزاً فى السبعين من عمره ونزقاً ، لا يعرف الانكليزية ولا أعرف الفرنسية ، فكان لابد من اللجوء الى « الانترناشـــيونال لانجويتش » ـ اللغة العالمية ـ وهى التحدث بالاشارة التى تغنى عن العبارة . حتى اذا حرر لى الفاتورة ، بلغت ما يقرب من مائتى فرنك ، لم يكن معي منها الا مائة وتسعين فرنكاً . ورفض بالطبع ان يتناول المبلغ الا كاملا غير منقوص ولا سحتوت . وعرضت عليه ان « يصرف » لي عشرة دولارات او اكثر فقال : هذه ليست مهمتى بل مهمتك . انا لا افهم باسعار العملات ، وازداد نرفزة وحماقة ، وانصرف عني بعد ان استعاد الأغراض مغضباً يتمتم تمتمات خافتة لعلها كانت شتائم من العيار الخفيف ..

ذهبت الى أحد البنوك القريبة فى الشانزلزيه الشهير ، وعدت ومعى عملة بنى فرنسيس . ونقدت صاحبنا العجوز ، العصبى ، المبلغ كاملا . واستعدت منه حاجياتى وكان قد اعادها الى مواضعها . ومضيت عنه وانا اعجب لهذه العقلية المتزمتة فى المعاملة والعصبية الظاهرة عند رجل على حافة قبره .. وما ان قاربت فندقى حتى سمعت صوتا يهتف بى او بغيرى : أوه مسيو .. أوه مسيو .. !

تلفت خلفى فاذا البائع العجوز يجرى خلفى بكل ما وسعه الجرى يلهث ويشير الي ان اقف . فوقفت وانا اخمن انه سوف يستعيد ما اشتريته لان الثمن ناقص .. وكم كانت المفاجاة مذهلة لي حتى كدت اقبل يديه ، حين مد نحوى بمحفظتى وقد نسيتها على طرف طاولته وفيها كل مؤونة الرحلة من العملات الصعبة وقال لي ما معناه بعصبية : يجب ان تاخذ بالك فى المرة القادمة ، فليس كل من فى باريس «مضطراً» ان يكون اميناً .. وقلت لـه ما معناه : ولكنك ـ يا سيدى ـ هلكتنى بفرنكاتك العشرة . فقال : هذا شيء وذاك شيء اخر .. وحينئذ احببت فيه كل صفاته التى انكرتها وعلى راسها العصبية .. ما دامت مغلفة بالامانة لا بورق السولفان ..





عبد العزيز البشري الأديب المرح الساخر

بقلم: حارث طـه الراوي

عبد العزيز البشري اديب فذ من ادباء مدرسة المرح والسخرية فى ادبنا العربى ـ المدرسة العريقة التى اسسها الجاحظ، وجددها احمد فارس الشدياق، وطورها امين الريحاني ومارون عبود وخليل السكاكيني ومن نهج نهجهم فى المرح والسخرية من الكتاب المرحين الساخرين .

ولد عبد العزيز البشري فى حي البغالة بالقاهرة سنة ١٨٨٦ ونشا فى بيت عريق بالعلم والدين . وحسبنا ان نعرف ان اباه الشيخ سليم البشري ولي مشيخة الأزهر مرتين .. فكان من الطبيعى ان يُدخل ابنه عبد العزيز فى الازهر حيث استهوى الادب عبد العزيز فاكب على امهات الكتب الادبية العربية يقرا ويعيد ويتامل ، وما كاد يتخرج فى الازهر سنة ١٩١١ حتى ابتلعه غول الوظيفة حيث عين سكرتيراً بوزارة الأوقاف حتى سنة ١٩١٤ ثم عينه احمد حشمت (باشا) محرراً فنيا بوزارة المعارف وندبه سكرتيرا عاماً للجنـــة الاصطلاحات العربية التى كان من اعضائها حفني ناصف (بك) واحمد زكي (باشا) . ولما تحول حشمت الى الاوقاف ضاق البشري ذرعا بوزارة المعارف وتاق الى القضاء الشرعي وكان له ما اراد حيث عين قاضيا بالمحاكم الشرعية حتى سنة ١٩٢٢ . ثم ضاق اديبنا بوظيفته هذه فنقل



الشيخ عبد العزيز البشري

مفتشا بالمجالس الحسبية ، وبعد مدة قليلة ندبه عبد الخالق ثروت (باشــــا) رئيس الوزراء فى حينه ليكون سكرتيراً للجنة وضع الدستور مع بعض رجال القانون . ثم عين مفتشا بوزارة الحقانية سنة ١٩٢٣ ثم عضواً بمجلس حسبي اسيوط فقاضيا بالمحاكم الشرعية فعضواً فى المكتب الفني بوزارة المعارف فسكرتيراً برلمانيا فوكيلا لادارة المطبوعات . واحيل على التقاعد فى الثلاثين من ابريل (نيسان) ١٩٣٠ . ثم اعيد الى المعارف ، ولما انشىء مجمع فؤاد الأول للغة العربية عين فيه فبقى فى منصبه هذا حتى توفاه الله فى الرابع والعشرين من شهر مارس (آذار) ١٩٤٣ وهو يشغل وظيفة المراقب العــام لمجمع اللغة العربية .

وبالرغم من ان البشرى انفق فى القضاء مدة ليست بالقصيرة الا انه لم يصور تلك الحياة وما يكتنفها من مشكلات ومضحكات ومبكيات كما صورها توفيق الحكيم مثلا ،





حفني ناصف — عبد الخالق ثروت — حافظ ابراهيم

الا انه بعد ان تسنم وظائف عديدة وخبر مناخ الموظفين ، وصف (الوظيفة) وصفا بارعاً لا يخلو من السخرية اللاذعة حيث قال :

« فن الوظيفة هذا ، شرح الله صدرك ، واطال عمرك ، ورفع فى المناصب قدرك ، فن واسع الاطراف ، رحب الاكتاف ، موصول الاصول ، مفصل الفصول ، معقد القواعد ، مبسط الامثلة والشواهد ، لا يحذقه الفتى الا بعد الجهد وشدة المطاولة وسهر الليالى فى التفكير والتدبير وتمرين الاعضاء فى كيفية القعود والقيام والسكوت والكلام ، والدخول والخروج ، والهبوط والعروج ، والتشييع والاستقبال ، والخشـــــوع والاستبسال ، والانقباض والتبسط ، والرضى والتسخط او ارهاف الانف حتى يشم الريح على اميال ويدرك مدى تحول الجو من حال الى حال » (١) .

كان البشري وفيا فى صداقته ، بارعا فى حديثه ، مرهفا فى احساسه ، عصبيا فى مزاجه ، سريعا فى بديهته ، خفيف الروح ، جميل الفكاهة ، رائع الدعابة ، وانك لتلمس هذه الخلال البشرية منبثة فى ادبه ، فاذا ترجم (٢) لصديق عزيز عليه لمست اكثر هذه الخلال الحسنة مجتمعة فى ترجمته ، اما انفعاله وغضبه فيدخره لمن يستحقه من خصومه ومزعجيه .. فاين الموضوعية فى هذا واين الظلال الواجبة الوجود فى كل صورة لتسمى صورة ؟ .

وهكذا فان طيبة حسين رشدى (باشا) فى علاقاته الشخصية وسلوكه الاجتماعى تدفع البشري الى ان يرسم له فى الجزء الأول من كتابه « المختار » صورة كبيرة ذات الوان جذابة لهذا الجانب الطيب فى الرجل ويتغاضى عن رسم خطوط ســـلبياته السياسية الخطيرة فى هذه الصورة . ومن الادلة على النهج العاطفى للبشرى قوله : « لست احاول فى مثل هذه العجالة ان اجلو على القارىء الكريم صورة كاملة لرشدي باشا او ان اترجم له ترجمة وافية تكافيء عظمته العظيمة فان من فتنة الدعوى أن تظن ان مثل حسين رشدى كله يجتمع فى مقالة أو فى مقالات ، انما هو من اولئك الأفذاذ المعدودين ان لم يكن فى العالم كله ففى الشرق على الاقل . فما اخلق رشدى بأن يتجرد لبحثه وتحقيق عبقريته نفر من علماء النفس والتاريخ

واذن لخرجوا منه كل يوم بعظيم .. » .

وبعد هذه السطور التى لا تخلـــو من المبالغة يحدثنا البشري بصورة متتابعة عن نشاة رشدى وذكائه وفطنته وعبقريته وقوة حجته وشجاعته ونزاهته وعطفه وبره وليس لنا من اعتراض على هذه الصفات الضخمة التى كان يتحلى بها رشـــدى (باشا) فقد خبرها البشرى فى الرجل ووقف عليها بنفسه . ولا اخال البشري الا صادقا عندما قال عن ذلك : « .. ولكنى اروى عنه حوادث متفرقة شهدتها كلها بنفسى او ترويتها عن الثقات الذين لا يترقرق الشك حول خبرهم .. » .

ولكن اما كان الاجدر بالبشرى ـ وهو يرسم بريشة الفنان القدير صورة رشدى ـ الا يبخل عليها بالظلال . فهو يعرف والتاريخ يعرف ان رشدى (باشا) تعاون مع المحتلين الانكليز تعاونا كبيرا على حساب المصلحة الوطنية المصرية فى اعقاب سنة ١٩١٤ وقد ذكر ذلك حسين شفيق (باشا) فى الطبعة الاولى من الجزء الاول من كتابه بل موســـوعته الكبرى « حوليات مصر السياسية » . ولكن البشري تغاضى عن هذه العثرة عند صديقه رشدى واكتفى بالاشـــارة واللف والـــدوران والتبريرات الواهية كقوله : « ولست اريد أن اعرض لشانه فى اعقاب سنة ١٩١٤ م فذلك كما اشار رئيس مجلس النواب ووكيل مجلس الشيوخ فى تابينه ، من حق المستقبل ان يحكم فيه بعد أن يطالع ما طاف به من الظروف ، وما اتكا عليه من الاسانيد ، الا اننى فى هذا الباب لا انسى ان رشـــدى كان شجاعا فى احتمال تبعـــة ماوقع على يديه ،وكان له ، بالطبع ، راى فيه ان خيراً وان شراً . وهـــو على انه ، كمـــا

علمت ، قد راجع الكثيرين من اصدقائه فى الأمر فاقروه واجازوه ، الا ان شجاعته ابت عليه فى معرض الجدال ان يشرك معه فى تبعة الامر احدا ، بل لقد مضى بها وحده ، محتسبا انصافه عند التاريخ وحده .. » .

وهكذا طوى البشري هذه الصفحـــة المعتمة من حياة رشدي متوهما انه رسم الصورة الكاملة له من غير الظلال التى رسمها التاريخ فى كتاب حسين شفيق (باشا) ..

ولكن البشري عندما يريد أن يرسم صورة لخصمه فانه يتفنن فى اظهار ظلالها فقد نشر فى كتابه الرائع « فى المراة » مقالين عن شخصية لم يذكر اسمها ، وكان عنوان المقال الاول « الشيخ » وعنوان المقال الثاني «شيخ السوق» . مما قاله فى مقاله الثانى : «لقد دهي هذا البلد بشيخ رومي التبعة ، المانى الطلعة ، انجليزى النزعة ، له وجه كسنام البعير ، ووجنتان كانما استعيرتا من نار الســعير ، يفرق بينهمـا منخـران غليظان يقذفان بالحمم ، ويروحـــان على جليسه باخبث من ريح الرمم ، ودونهما فم قد افتن الشيخ فى احكام نباغه ، وتجديد اصباغه ، فاذا راعتك منه حمرة الشفاه ، فاعلم ان ذلك فى صنعة ـ دلمار ـ لا من صنعة الله . وله عينان نقتا عن الانظار فلا تستكشفهما العيون الا بمنظار ، على انهما ابصر من زرقاء اليمامة ، وهيهات ان يخطئهما الدرهم من هنا الى يوم القيامة . وله عنق قد رهلت جلده السنون الطوال ولولا (البودرة) تمسكه لسال » .

اما الصور « الكاريكاتورية » التى رسمها البشرى بقلمه فى كتابه « فى المراة » لبعض الشخصيات السياسية والادبيـــة والاجتماعية ، فدقيقة كل الدقة ورائعة كل

عبد العزيز البشري
الأديب المرح الساخر


جبران خليل جبران


ميخائيل نعيمة

الروعة . وقد صدق شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم عندما قال فى هذا الكتاب :

« تريك المرايا الخلق فيهن مــــاثلا
وهذى تريك الخلق والنفس والطبعا»

ومن صوره الرائعة المضحكة فى هـذا الكتاب وصفه لشكل احمد مظلوم (باشا) حيث قال البشرى : « لعمرى لو وقفت على عنق من الناس فحاجيتهم : ما اطول الحظوظ فى اطول الاعمار فى اطــــول الاجسام ؟ لاجابوك فى نفس واحـــــد : (مظلوم) ! ـ وجه طويل ، على عنق طويل على جسم طويل . ولو رايته يمشى ولم تكن بعد تعرفه لخيل لك انه (زفة بهلوان) وقف فيها رجل على كتفى رجل ! وفى الحق انه لو قدر ـ لا سمح الله ـ وازيل عنقه وما فوقـه عن كتفه وما دونهما لتمثل منهما رجلان أشبه ما يكون كل منهما بخلق مظلوم !

اسطوانى الراس ، ساهى العينين ، لو تاملت فيهما ما اعطتاك الا ان وراءهما عدا كبيرا وزيغا فى ارقام كثيرة ! . مرسل الانف رحب الفم ، ممدود الذقن ، طويل اليدين والساقين واني لاخشى ان يتكشف الزمن ، ولو بعد حين ، عن ان مظلوما هذا رجلان (اقتصاديان) اتصلا بحيلة لطيفة حتى خرجا للناس فى صورة رجل واحد ، وتوسلا بهذا الى ان لا يدفعا عند السفر الا ثمن تذكرة واحدة وفى الفندق (الاوتيل) الا اجر سرير واحد . والواقع ان من شهدوا مظلوما وهو يتعشى لا يشـــكون فى ان (جماعة) باسرها تاكل فان كان ولابد رجلا واحدا فهو انما يجتر ليومه الثانى ! » .

وللبشري لمحـــــات رائعـة في مراتـه أشبه ما تكون بالدراسة المستوفية ، من ذلك مقاله عن « شوقى » حيث احاط بنفسية شوقى ومنابع الهامه وسر تفوقه احاطة السوار بالمعصم ، من غير ان يستشهد ببيت واحد للتدليل على ما يقول ، فقد اغنته حججه وتعليلاته عن الاستشهاد بقريض صديقه « شوقى » . وبالرغم من ان البشري يقول فى حديثه عن « شوقى » « على اننى فى هذه المراة فى سبيل تحليل نفس شوقى لا تحليل شعره » . فقد حلل شاعريته واتجاهاتها وسر قوتها ومميزاتها خير تحليل ، وما اجمل قوله عن « شوقى » الشاعر : « صائد لا يخطىء سهمه وانه ليصيب ارفع المعانى من اول رمية ، وإنه ليرتفع بك اليها او ينزل بها اليك فتسيغها فى غير عسر ولا عناء ، وان كنت حقا شاعرا بانه انما جاء بما يجاوز تفكيرك ويعلو على مدى تخييلك .. » .

ولئن كان البشرى مصورا بارعا للاشخاص فهو مصور بارع للحـــالات والاحداث التى يمر بها ، ولا اعتقد ان كاتبا يستطيع ان يصف حالته قبل ركوب الطائرة واثناء ركوبها وبعد ركوبها كما وصـــفها عبد العزيز البشري ، فما ترك الرجل مشهدا الا ورسمه ولا حادثة الا وذكرها ولا اختلاجة شعور ـ مهما دقت ـ الا وصورها تصويرا فنيا ، حتى جعل قارئه يتمنى لو ان البشري قد الف عن رحلته كتابا براسه مادام ينتقل من نكتة بارعة الى نكتة لاذعة وما دام البشري قد اتاح بوصفه الدقيق الطريف رحلة مجانية للقارىء ..

وللبشري مقالات وجدانية تامليـــة واجتماعية فكاهية غنية بالصور الحيـــة المشوقة والخيال الطليق اللذيذ ، ولا غرو ، فالبشري كاتب مقالة من الطراز الممتاز ، وما كان كذلك الا لانه لم يبعثر جهوده القلمية فيما لا قدرة له على الاجادة فيه ، وهكذا ابتعد البشري عن القصة والمسرحية ، وللرجل عذره فى كونه ليس من المطلعين على الآداب الأجنبية بلغاتها الاصلية فى هذا الباب ، وقد تصعب كتابة القصة وتتعذر كتابة المسرحية البارعة المكتملة على من هو عديم الالمام ببعض لغات الفرنجة وآدابها .

ولعل خير مقالات البشري الادبيـــــة المستوفية للشروط الفنية هى مقالاته التى نشرها فى كتابه « المختار » والتى نشرت بعد وفاته فى كتابه « قطوف » . وفى مقالات اديبنا المرح الساخر وضوح يوشك ان يقترب من السطحية ، وذلك بعكس مقالات مصطفى صادق الرافعى فى « وحي القلم » وامين الريحاني فى « الريحانيات » وجبران خليل جبران فى « العواصف » وميخائيل نعيمة فى « المراحل » . فالعمق الفلسفى الشائع فى ادب هؤلاء الادباء وامثالهم لا وجود له فى ادب البشري ، فهـو اديب اسلوب قبل ان يكون اديب فكرة ، ولا يصح ان يقال انه اديب مرح فى اسلوبه وادب العمق الفلسفى يفتقر الى اسلوب جاد . فالريحانى يكاد أن يكون اكثر من البشري مرحا وسخرية ولكن ادبه ثرى بالعمق الفلسفى .

ورغم هذه الملاحظة على ادب البشري فان ادبه يبقى ذا نكهة خاصة محببة ترتاح اليها النفوس المتعبة المكدودة .

حارث طه الراوي
بغداد

هـــــوامــــش

(١) عبد العزيز البشري ، « المختار » ، الجزء الثانى ، ص ٢٤٥ .

(٢) يرى الاستاذ جمال الدين الرمـــادي فى ص ١٣٧ من كتابه « ادب البشري » ان تراجم البشري لا يصح ان تسمى تراجم (بيوغرافى) بادق معانى هذه الكلمة واصدق مدلولات هذا اللفظ وانما هى (استعراض ادبي) . والاستـــاذ الرمادي محق فى رايه هذا .



صنعاء

مدينة التقاليد العربية وفرسان الحكايات الشعبية

بقلم: فوزي الخميس

من يدخل مدينة صنعاء يدرك منذ الوهلة الأولى انها مدينة ازلية قديمة، فالقصص التى تروى تقول انها اول مدينة عمرت بعد الطوفان وسميت باسم بانيها سام بن نوح ..

وهى اليوم تزهو بجمالها الذى يجمع بين اساليب الفن المعمارى الشرقى والحضارة الحميرية، وكذلك، الفن المعمارى الحديث!

وصنعاء القديمة، يحيطها ذلك السور الذى ترجع بعض اجزائه إلى ايام الايوبيين فى اليمن، والذى كان أول من بناه هو الملك الحميرى (شعر اوتر) عندما ضعف حال الحميريين، وجعل عليها ابراجاً بينها مسافات محددة، وجعل للمدينة ابوابا مشيدة بالابراج على طرق ملتوية يتعذر فيها الدخول والخروج بدون علم من الحراس، وخاصة فى ايام الحرب، ولكن الاتراك قد غيروا هذه الابواب، وازاحوا الالتواء منها، وازالوا الابراج، ولم يبق على حالته الاصلية منها غير بابى قصر السلاح وشبران، وفى عام ١٩٦٢ أصبح الباب الغربى مفتوحاً ومكشوفاً، ويقول اليمنيون ان هذه الابواب كانت تقفل على المدينة، بحيث لا يخرج ولا يدخل منها احد، وان القادم اليها بعد مغيب الشمس كان ينام - دائما خارج الأسوار حتى الصباح!

الجامع الكبير

ولو دخلنا السور لوجدنا مدينة صنعاء القديمة تتمتع بتقسيم جغرافى عجيب،



بحيث تنقسم إلى أحياء ، وكل حى بلا استثناء يتالف من عدة منازل متعددة الطوابق ومبنية على الطراز الصنعانى الجميل ، وفى وسط كل حى تقريبـــا فى صنعاء يوجد الحمام الذى يعمل بالبخار . فاهل اليمن يعشقون الحمام المسمى بالحمام التركى .. على غرار المغاربة ـ كما يوجد فى كل حى من احياء صنعاء مسجد بجانبه حديقة او بستان ـ وقف للمسجد ـ يعتنى أهل الحى بهذا البستان فيزرعونه فى الغالب بالخضروات والفواكه ، ويباع الريع لصالح المسجد الملحق به مدرسة لتعليم القران لاطفال الحى ، بحيث يغطى انتاج البستان مصروفات المدرسة وطلابها والمسجد !

ويؤكد المؤرخون انه كان يوجـــد فى صنعاء ١٠٦ مساجد حتى القرن العاشر الميلادى ، من ابرزها مسجد الجامع الكبير الذى يعتبر اليوم من الآثار الاسلاميـــة النادرة ، وقد تم بناؤه بامر من الرســـول الكريم حيث يقول الرازى فى تاريخـــه لصنعاء ما خلاصته ان النبى صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ببناء مسجد لاهل اليمن فى بستان (بهذان ابن ساسان) وهو اخر حاكم فارسى حكم اليمن قبل دخول الاسلام إلى صنعاء

وسيلفت نظرك فى الجامع الكبير ذلك النقش الذى يسجل تاريخ بنائه ، وكيف ان هذا المسجد امر الرسول ببنائه قبل مسجد الجند . واعيدت عمارة المنارة الغربية فيه بامر من ملك الاكراد مصطفى علم الدين الذى انفق عليها من ماله الخاص فى عام ٦٠٣ هـ !

ويمثل الجامع الكبير تحفة فنية اثرية تدل على عظمة اليمنيين الذين اقاموا هذا البناء الضخم باسطواناته وهى من الاثار الحميرية وانقاض قصر غمدان واغلبهـــا حجر واحد من الاساس إلى منحنيات العقود !

وقد أعيد ترميم هذا المسجد ثلاث مرات عبر ثلاثة قرون . المرة الاولى فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان الذى ولى ايوب بن يحيى الثقفى على صنعاء وجعله يقوم بتوسيع الجامع فى اتجـــاه الشمال ، والمرة الثانية عندما اعيد بنـــاء الجامع من جديد فى القرن التاسع الميلادى عقب الفيضانات الهائلة التى تعرضت لها صنعاء ، وكانت المرة الاخيرة فى القرن الثانى عشر الميلادى عندما أعيد ترميمه !

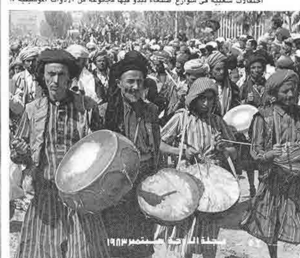
قصر غمدان

ووسط مدينة صنعاء التى تمتد بين

نافذة بديعة من فندق قصر الروضة الذى مازال يحمل طابع الفن المعمارى الاصيل .



احتفالات شعبية فى شوارع صنعاء تبدو فيها مجموعة من الأدوات الموسيقية ..



المرأة اليمنية تجهز الخبز المستدير المصنوع من الذرة او القمح .



جبلي عيبان من الغرب ونقم من الشرق ، كان يقبع قصر غمدان الذي قال عنه الجاحظ بأنه أحد عجائب الدنيا القديمة الثلاثون ، والذي تغنى بعظمته أعظم الشعراء ، والذي كان أول ناطحة سحاب في الدنيا اقامها اليمنيون !

وقد قالوا عن ذلك القصر العظيم انه كان أول قصور اليمن واعجبها ذكرا ، وكان به عشرون سقفا غرفا بعضها على بعض ، واختلف الناس في الطول والعرض فمنهم من قال كل وجه علوه الف بالف ، ومنهم من زاد الرقم ، وكان ما بين كل سقف عشرة أذرع !

وفي وصف هذا القصر قال الهمداني :

من بعد غمدان المنيف واهله
وهـو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبـد السماء مصعدا
عشرين سـقفا سمكها لا يقصر
ومن السـحاب معصب بعمامة
ومن الرخام منطق ومـؤزر
متلاحقـا بالقطر منه صخره
والجزع بين حروبه والمرمـر
وبكل ركن راس نسر طـائر
أو راس ليث من نحـاس يزار
متضمنا في صـدره قطـارة
لحسـاب اجزاء النهار تقطر
والطير واقفة عليه وفودهـا
ومياهـه قنواتهـا تتهـدر
ينبوع عين لا يصرد شربهـا
وبراسـه من فوق ذلك منظـر
برخامة مبهومة فمتى تـرد
اربابه مدخـولة لا يعسـر

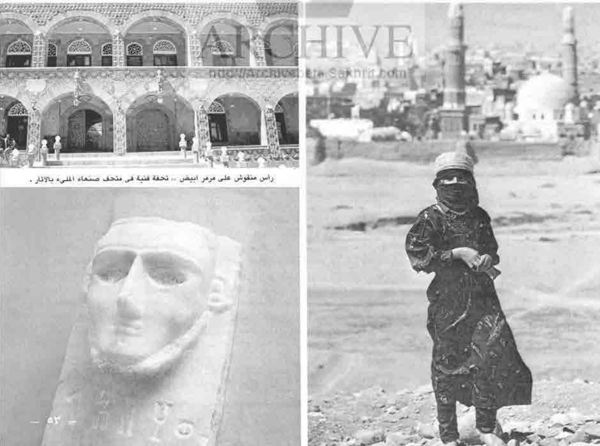
ويقول محمد بن علي الأكوع الحوالي في كتابه « اليمن الخضراء مهد الحضارة : إن شئت أن ترى عظمة قصر غمدان فانظر إلى احجار واسطوانات الجامع الكبير الذي بني من انقاضه !

وقال ايضا في كتابه : أن الهمداني أوضح ابن كان مكان قصر غمدان ، فهو قبالة الجامع الكبير من الشرق ، وهو المرتفع الذي فيه البنايات والبيوت ، وقد كان ممتدا إلى سوق القضب ومسـجد الشهيدين كما هو متعالم به اليوم

التقاليد والحكايات الشعبية

ان احفاد الذين بنوا قصر غمدان ، هم الذين يتفننون اليوم في الحفاظ على الذوق الفني والطابع الأصيل في العمارة اليمنية فهم يبنون بيوتهم في صنعاء ـ المدينة الجبلية ـ مستخدمين الحجارة كمادة اساسية في البناء ، وهم يحافظون على طرازها الاسلامي ، ويحرصون على سعة صحن البيت وارتفاع سقفه وتزويقه بالجص والآجر المحروق والحجارة !

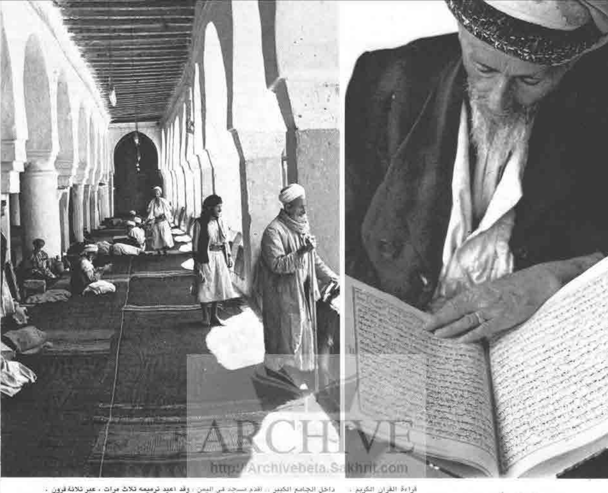
وإذا كان الصنعاني بوجه عام يعتز ببيته الاسلامي العربي وبمسـاجده التاريخية وباسواقه القديمة المليئـة بالتجار المهرة والصناع الذين تتعدد حرفهم بداية من دباغة الجلود إلى صناعة الحلي الذهبية والفضـية ، فانه يعتز ـ كذلك ـ بملابسه التقليدية وبالخنجر الذي **يضعه** في وسطه ويسمى «الجنبية»



صنعاء العاصمة .. كما تبدو خلف هذه الفتاة ..

قصر الضيافة .. بني على الطراز اليمني الأصيل .

رأس منقوش على مرمر ابيض .. تحفة فنية في متحف صنعاء المليء بالآثار .



قراءة القرآن الكريم . داخل الجامع الكبير .. اقدم مسجد فى اليمن ، وقد اعيد ترميمه ثلاث مرات ، عبر ثلاثة قرون .

ليكون بمثابة السلاح الذى لا يفارقه ، فهو يستخدمه فى الاعياد وفى الرقصات الشعبية التى تؤدى فى المناسبات الهامة !

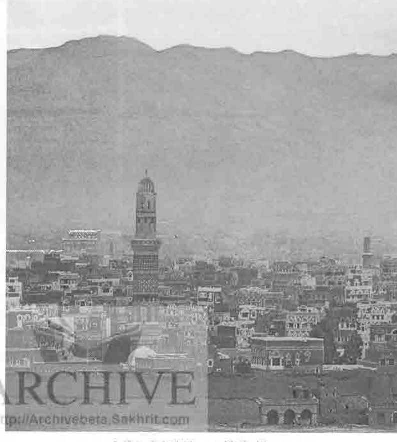
وفى كتاب « صنعاء مدينة عربية اسلامية » قال مؤلفه المستشرق الانجليزى « سارجنت » : إنهامدينة مازالت تحتفظ بالكثير من التقاليد القديمة المندثرة فى عديد من المدن العربية ، سواء من جهة سلوك سكانها الاجتماعى او من جهة التقليد المعمارى او من جهة تعايش حياة المدينة مع الحياة الريفية والبدوية فى آن واحد ، بحيث يستطيع الباحث ان يرى مختلف أوجه النشاط ومدى تطوره فى وقت واحد وفى حى واحد من احيائها العريقة .. ولو قام بدراسة فولكلور جنوب الجزيرة العربية مثلا ، يجد فى صنعاء كثيرين ممن مازالوا يعيشون الحياة التقليدية بدقائق تفاصيلها ، فلا يحتاج إلى كبير عناء فى البحث عن الشعر الشعبى أو الغناء القديم فى ذاكرة المعمرين ، ولا إلى سؤال العجزة عن اشكال الملابس والحلى القديمة ، ويكفيه أن يزور ناحية من نواحى المدينة ليعاين على الطبيعة ما كان ومازال يلبسه الناس دون ان يدخل عليه اى تعديل !

ويقول أيضا : « إن معظم الحكايات الشعبية العربية مصدرها اليمن ، او حورت فى اليمن وفى صنعاء خصوصا ، فمن حكاية ملوك تبع إلى وضاح اليمن إلى على الزيبق إلى سيف بن ذى يزن ، كلها من أصل يمنى ، وتسرد بواسطة الخيال الشعبى تاريخ اليمن السعيد وحروبه فى جنوب الجزيرة العربية وما يتعداه إلى بلاد الشام أو المغرب ! » ..

هزيمة اليهود

إن تاريخ صنعاء مليء بالحقائق والحكايات التى الهمت الشعراء والكتاب على مر العصور والازمنة .. فهذه المدينة المسلمة الآمنة ، كانت فى يوم من الايام مرتعا لليهودية قبل الاسلام ، عندما دخلت اليمن كلها آنذاك فى الدين اليهودى على يد «ذى نواس» احد ملوك حمير ، الذى اضطهد النصارى وبنى لهم الأخاديد واحرقهم فيها واحرق كتبهم ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القصة وعن أصحاب الاخدود ..

ومن أصحاب الأخدود تمكن رجل من الهرب الى قيصر الروم يستنجده . فبعث معه هذا رسالة الى النجاشى ملك الحبشة ، يحثه فيها على نصرة المسيحية وفتح اليمن وعلى الفور ، كلف النجاشى احد قادته ويدعى (أرياط) بالمهمة وأوصاه النجاشى بوصية قال فيها ، اذا تمكنت من فتح اليمن فاقتل ثلث رجالها ، وخرب ثلث ديارها ،



صنعاء وقت الغروب .. وخلفها جبل نقم من الشرق .

وارسل الى بثلث نسائها فزحف هذا القائد ، على رأس سبعين الف مقاتل من الاحباش ، وخرج أرياط مع السفن والفيلة عابراً البحر الأحمر حتى وصلوا سواحل اليمن وهناك دار القتال بين الأحباش ، وجنود الملك اليهودي (ذونواس) ، فانهزم اليهود امام الأحباش ، ثم قام (ذو دجن الهمداني) لمقاتلة الأحباش لكن الهمدانيين تفرقوا عنه فانهزم هو الآخر ..

واحتل الأحباش اليمن عام ٥٢٥ م واتخذوا من صنعاء عاصمة لهم . وبدأ القتل والتقتيل في اهل اليمن وبدأ الهدم يجتاز حصونهم ، وبدأ أيضاً الخلاف بين قادة الأحباش .. وانشق أبرهة بن الصباح على رئيسه أرياط واقتتلا ، وضربه ارياط بحربته فشرخت حاجبيه وشفتيه ، وبذلك سمي أبرهة الأشرم .. لكن غلام أبرهة حمل على أرياط من الخلف وقتله ، واجتمع الجيشان تحت إمرة أبرهة !

وعندما وصل الخبر الى النجاشي ، غضب غضباً شديداً واقسم ان لا يدع ابرهة حتى يعود اليه ويجز راسه . وعلى الفور حلق أبرهة راسه وملأ جراباً من تراب اليمن وبعثهما مع رسالة الى النجاشي تقول : أيها الملك إنما كان ارياطعبدك وانا عبدك .. اختلفنا في امرك إلا انني كنت أقوى على أمر الحبشة ، واضبط لها ، وأسوس منه ، وقد حلقت راسي كله حين بلغني أمر الملك وبعثت اليه بجراب من تراب ليضعه النجاشي تحت قدميه ، فيبر بقسمه !

وهنا رضي النجاشي عنه ، وكتب اليه ان اثبت في أرض اليمن حتى يأتيك أمري .. وهنا بدأ حكم ابرهة الحبشي في اليمن !

جيش الفيلة

بدأ أبرهة حكمه لليمن بطموح شديد ، وتعاظم نفوذه ، فاقسم أن يسير الى البيت الحرام ويهدمه ، وامر جنود الحبشة .. فتجهزت وكان مع الجيش ثلاثة عشر فيلة كبيرة من بينها فيل ضخم اسمه محمود ، وهي تحريف للفظ مامور ومعناها فيل .. خرج الجيش من صنعاء فتصدى له اشراف اليمن برئاسة (ذونفر) لكنهم للاسف خسروا المعركة .. والقى ابرهة القبض على رئيسهم (ذونفر) فاسره وواصل سيره الى الحجاز وفي طريقه خرج عليه (نقيل الخشعمي) فقاتله حتى انهزم جيش نقيل واخذ ابرهة رئيسهم نقيل اسيرا ، وضمه الى (ذى نفر) حتى إذا وصل الطائف ارسلت معه ثقيف رجلا اسمه ابو رغال ، ليدل ابرهة على طريق البيت وفي جبال الهدى مات ابو رغال فرجمت العرب قبره فيما بعد ..

وعندما وصل ابرهة الى وادى محسر ، حدث ما حدث بينه وبين عبد المطلب كبير قريش ، وكلنا يعرف القصة التى تحدث عنها رب العالمين في كتابه الكريم وكيف ارسل الى الغازين طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل . فانتهى ابرهة ، وانتهى جيش الفيلة والأحباش .

وفي صنعاء حاليا .. تدور بين العوام اسطورة جديرة بالاهتمام .. والنقل ..

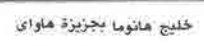
يقول الناس .. إن الله سبحانه وتعالى نجى احد جنود ابرهة من الموت .. فهرب هذا الجندى وعاد الى صنعاء ، ولما وصل الى هذا المكان ، صاح بالناس حتى تجمعوا فقص عليهم ما شاهده قرب الكعبة وكيف ان الطير هزم الفيلة .. وان ابرهة وجيشه قد أبيدا عن بكرة أبيهم ، ولما انتهى الرجل من قصته جاء احد تلك الطيور وضربه بحجر من منقاره فمات الرجل . ومن ذلك اليوم سمي هذا المكان بالحلقة .. والله أعلم ..

ومن كل ذلك وغيره ندرك ان تاريخ صنعاء مليء بالأحداث والوقائع التي تشهد بعراقة المكان ..

وهذه العراقة هي التي تصنع اليوم صنعاء الحديثة بمؤسساتها العلمية التي على رأسها جامعة صنعاء التى انشئت عام ١٩٧٠ والتى تضم كليات التربية والشريعة والقانون والآداب والعلوم والتجارة والاقتصاد .. وهي التى تجعل البناء يدور فيها على قدم وساق في كافة المجالات الصناعية والاقتصادية .. وهي التى تدفع الحركة الادبية والفنية بكل روافدها لتزداد فعاليتها واثرها في الحياة العامة مبشرة بجيل مبدع من الكتاب والفنانين !

فوزى الخميس





خليج هانوما بجزيرة هاواي

اخاديد بفعل تعرية التربة فى يوتا



صور نادرة للأرض

ظل الضوء الفضى الناعم لبدر التمام يشد انظارنا بسحره الموحي حتى شاهدنا بعيون كاميرات الاقمار الصناعية كوكب الأرض الذى يعمره الماء والطير والشجر والجبال والحيتان وخيرات فعل الانسان وشروره المهددة بالدمار .. فانفتح وعينا على جمال دنيا نحن الجزء الفاعل فيها .. ونجهلها . وَأَفَلَتْ حقيقة الجمال الخادع للقمر المجدور الوجه يوم صوره الانسان محلقاً فوقه ، مقترباً منه . متجولا فيه .

كاميرات دقيقة تصور الدنيا من الفضاء

ولكن الحدود الجديدة التى اخترقها الانسان بعد أن تمكن فى العقود الأولى من هذا القرن من مسح مساحات شاسعة من الأرض جوا ، ثم حلق الى حدود الغلاف الجوى الخارجى للأرض وأخيرا الى الفضاء ، قد يسرت للتصوير الفوتغرافى فرصاً نادرة لتسجيل مشاهد للكون مذهلة ، ووسعت ادراكنا لابعاد الكون الرحب الذى نحن جزء منه ، وحفزت بصائر المصورين المبدعين على استلهام هذا البعد الجديد للنظر إلى الأرض ، واستنطاق صورها تجليات لحقيقتها تفتحنا على وعى جديد بالمعمورة وما عليها من بديع خلق العلي الوهاب ، وجميل صنع البشر .

وتمخض عن كل ذلك تطوير وسيط جديد فى المعالجة التسجيلية للأرض .. هو التصوير الجوى الابداعى .. وبه أصبح للكاميرا أجنحة ، وللمصور

قدرة النسر على الرؤية ، فعرفنا عالما ارضيا جديداً تماماً .. مذهلا .. وخلابا . وحافزا على حشد المعارف واستكناه المجاهيل : وتسابق المصورون إلى استخدام هذا الوسط الجديد .. فبزهم وليم غارنيت الامريكي .. ذلك الفنان المصور الفذ الذى نذر حياته للتجويد كما يقول انزيل آدمز ، أشهر مصورى الطبيعة .

وقد صدر مؤخراً كتاب يضم روائع ما صوره غارنيت من امريكا جواً من أقصى شرقها الى جزر هاواي فى المحيط الهادىء غرباً ، ومن شمالها المتجمد في الاسكا الى شواطئها وخلجانها الدافئة جنوباً .

وربما كانت أول فكرة تخطر على بال من يشاهد أعمال غارنيت الفوتغرافية هى انها اعمال تجريدية . ولكن الواقع غير ذلك . فالصورة التى تلتقطها عدسته هى صورة حقيقية واقعية ملموسة . وهو لم يعدل الصور الاساسية بادخال اى رتوش ، بل عالجها بتجويد بليغ على مستوى الاحساس الشاعرى الحدسى بها موظفاً قدرته الفائقة فى التحكم على الطائرة التى يقودها بنفسه ، وعلى آليات الكاميرا وتقنيات التصوير . وبذا يمكن القول بان هذه الصور هى مقتطفات مما تحفل به الأرض اختارها غارنيت بخياله وحدسه من ذلك العالم المذهل الذى يموج تحت ناظريه وهو يحلق بطائرته .

ويحرص غارنيت على التاكيد بان الوانه طبيعية ، تفصح عن تصوره للقطاته ، ان لم نقل للحقيقــــة المحسوسة لمواضيعه نفسها . فهو يشكل موضوعه بصورة حدسية ، ويتصوره كاملا .. ثم يشرع فى انجازه .

وهو يستخدم عينه الفائقة القدرة على الاختيار فى تحريك آلة تصويره ليسجل ما يتدفق تحته من اشكال وقيم والوان . وهو يقود طائرته بنفسه ، وبذا يوسع من دائرة تحكمه على هذه الوسيلة ، فيتحكم فى اوضاع كاميرته كما لو كانت على ارض ثابتة ، ولكن بمزيد من الحرية ، وهو كطيار يتمكن من مراقبة تطورات وبلورة اللحظة الحاسمة لاتخاذ القرار .. تلك اللحظة التى تندمج فيها أشكال العالم تحته بعينيه البصيرتين فى عملية التعبير الفنى الشكلى .

ان دقة تصوره تيسر له أقصى درجات التوقع والاستعداد .. وتلك مزية ذات اهمية كبرى في التصور إذ يمكن بها ابراز العالم فى لحظة من المستقبل .. زمانا ومكانا .. خاصة اذا تذكرنا انه يستحيل من ذلك العلو تغيير وضع الحدث الجارى فعلا على الارض ، أو ايقاف الطائرة المتحركة .

إن غارنيت يدرك بشكل تام جمال العالم من الارتفاع العالى ، ولكنه يختار ارتفاعا منخفضاً ليتمكن من تسجيل رؤية أصدق تمثيلا للارض وسطحها المعقد . إنه يطير قريبا من قمم الكثبان الرملية ، وعلى ارتفاع قليل عن الأراضى الزراعية والشواطىء ومصاب الانهار وتضاريس التعرية الطبيعية . وهى كلها ثلاثية الابعاد .. ولكنها لا تمثل ملامـح العالم الذى اعتدنـا على رؤيتـه . ولـذا يمكننا القول بان صور غارنيت هى بمثابة رؤى مفصحة ومنبئة عن العالم .

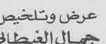
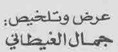

مزرعة بولاية فرجينيا عند شروق الشمس


جبل كاتماى فى الاسكا .



الحرف التقليدية الإسلامية في العمارة المغربية





نقوش اسلامية بديعة فى فناء بقصر دار السلام فى الرباط ، حيث نرى جمال تكوين السيراميك والفسيفساء .

«... تنقضى اربعة اعوام على رحلتى الى المغرب ، ولايزال الحنين يتصاعد الى هذا البلد العربى ، والذى صان الأصالة العربية ، والجمال العربى ، والفن المعمارى العربى ، لايزال انبهارى طازجا ، وكانه وليد الامس ، كان السنين لم تنقض ، والايام لم تمر ، احد عناصر انبهارى هذا بعد الشعب والطبيعة ، فن العمارة المغربى ، المدن المغربية القديمة ، المنمنمات ، والزخارف ، التى تتسم بعظمة الانسان ، وصبره ، وسموه ، فالفن الاسلامى يستند الى الهام دينى بالدرجة الاولى ، وقد لخص الاستاذ الفرنسى جاك بيرك رؤيته فى هذا الصدد ،

«يمكن تعريف الفن الاسلامى بانه فن غير تصويرى طبقا للامر الالهى ، ونظرا لان الله هو المصور الاعظم ، فان كل تصوير تشبيهى وخصوصا كل نحت يعتبر كفرا لانه غير جائز ، إذ فيه منافسة غير مشروعة للخالق . كل شىء فى الزخرفة العربية هو تركيب وتلاق : إذ يجتمع قصد الفنان مع الادراك الحسى والمادة فى تكامل وثيق» .

الفن الاسلامى يتضمن إحساسا راقيا بالوحدة الجمالية ، إنه فن يرتقى بالانسان الى عالم الشفافية ، نجد فى العمارة الدينية ، او المدنية ، وحتى زخرفة ابسط الادوات ، شهادة انسانية على وحدانية الله ودوامه ، إن فكرة الجمال ـ كما يقول المفكر الاسلامى المغربى على اللواتى ـ ترتبط عند المسلمين بالتسبيح وهو الثناء على الله ، او ببساطة ذكره تعالى . فاغاريد الطيور تسبيح ، والزهرة اليانعة

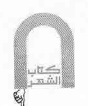


صومعة حسان بمدينة الرباط ، وهى جامعة لخليط من الفنون الاسلامية .

تسبيح ، اما الجمال الانسانى فهو قمة التناسق وما الفن الاسلامى الزخرفى إلا تسبيح عميق تتعدد مظاهره وتملأ الكون ، وتاتى المرحلة الاندلسية المغربية لنشهد معها ولادة قمة فن التسبيح التى لا قمة فوقها ، قصر الحمراء الذى تجلت فيه غاية النضرة والروعة حيث تتجزأ المادة الى اقصى ما يكون التجزؤ ، وتبدو فى شكل تخاريم وشبائك دقيقة حتى لكانها تفقد قوامها ووزنها فتبدو كهاجس فى الخاطر.

وإذا كانت منمنمات وزخارف الحمراء تمت الى الماضى ، فان هذا الفن الرائع لايزال حيا فى المغرب العربى ، لايزال جزءا من حياة الشعب اليومية ، وخلال السنوات الاخيرة شهد هذا الفن دفقا جديدا من الاستمرارية ، كان المغرب هو البلد العربى الوحيد الذى لم يسيطر عليه العثمانيون الذين هيمنوا على البلدان الاسلامية الاخرى ، وتلك نقطة هامة فى تاكيد الذاتية الصادقة للفن المغربى ، هذا الفن هو محور هذا الكتاب الضخم الذى صدر اخيرا فى فرنسا بثلاث لغات ، الفرنسية ، والانجليزية ، والعربية ، المؤلف مهندس فرنسى ، اندريه باكار ، مهندس زخرفة منذ عام ١٩٥٤ ، ومنذ عام ١٩٧٠ . كرس كل جهوده للعمل فى المغرب ، فى مجال العمارة ، سواء ترميم القصور والمبانى القديمة ، أو انشاء العمارات الحديثة ، الدينية والمدنية ، والتى تستند الى التراث المعمارى المغربى ، وتنهل منه ، استهدف المؤلف غرضين اساسيين :

● تقديم وثائق مصورة لم يسبق نشرها لكشف بعض الجوانب التى لم تعرف بعد عن









تنسيق جميل من الحشوات والزخارف الاسلامية



فن صناعة الزخارف الاسلامية ، الذى مازال يتقنه ــ حتى يومنا هذا ــ الانسان العربى .

الفن المغربى التقليدى ، وقد اتيحت له فرصة نادرة ، عندما امر جلالة الملك الحسن الثانى بفتح ابواب القصور الملكية لعدسة المصور لاول مرة فى التاريخ .

● الهدف الثانى ، نقل شهادة المعلمين المغاربة ، اساتذة الحرف التقليديــــة فى العمارة .

باختصار يكشف هذا الكتاب الذى يقع فى مجلدين ضخمين اسرار فن العمارة المغربى ، ويقدم ما يشبه قاموساً فنياً مصوراً لمفرداته ، ومن قبل ذلك البشر الذين يبدعون هذا الفن العظيم .

المسجد هو القلب

فى العمارة المغربية اربعة مفاهيم اساسية اماكن الصلاة ، والمساكن ، والتخطيطات الناظمة ، والخط العربى ، يقول المثل المغربى ، «الدار اول مايجب ان نملك ، وهى اخر مايجب ان نبيع ، إذ هى قبرنا فى الحياة الدنيا» ، وفى عام ١٩١٤ . قال محمد ابن الرامى البناء الفاسى ، إن قواعد حسن الجوار تنطلق من عاملين اساسيين ، اولا : لا تمنع جارك من تثبيت خشبة سقفه فى جدار دارك الخارجى ، ثانيا : لا تبن دارك بحيث تكشف فناء جارك» .

وكل من زار المغرب يذكر بلاشك الدور المغربية ، حيث تطل على الشارع بجدران واسوار اشبه بالحصون ، وينفذ الانسان من المدخل فاذا به يفاجا بالحديقة الفسيحة ، والفناء الواسع ، فكانه اليسر بعد العسر ، اليسر فى ماوى الانسان ، بيته ، تتركب الدار المغربية من وسط الدار ، فناء مربع الشكل ، مبلط بقطع الزليج (السيراميك) ، يتوسطه عادة حوض ماء من الرخام وتحليه شجرة برتقال أو ليمون ، وتقام الحجرات على ثلاثة او اربعة اوجه من الفناء فى طابقين او ثلاثة احيانا . وتحمل الاعمدة سقف هذه البيوت ، وسواء كان البيت المغربى عظيماً او متواضعاً فانه يقام حول فناء فسيح يسمى وسط الدار ، ولابد ان تبدو عليه المسحة الجمالية ، وعند مدخل الدار يقع مدرج يؤدى الى قاعة فسيحة تقام فيها المادب والاستقبالات ويوضح لنا هذا التنظيم حرص المغربى على ان يفصل بحياء بين حياته العائلية والحياة الاجتماعية . وقد تحددت معالم المسكن المغربى على هذا النحو فى القرن الرابع عشر الميلادى اثناء حكم المرينيين .

والمسكن المغربى هو الوحدة الاساسية التى تتشكل منها المدن المغربية . غير ان المسجد هو القلب والمركز ، سواء المسجد الجامع الرئيسى او مساجد الاحياء المختلفة ، والى جانب ذلك الحمامات العامة ، ويقضى تقليد اندلسى بان يكون السوق قريبا من المسجد الجامع ، والسوق تتكون من مجموعة من الازقة المظللة ، يحف بكل زقاق من الجانبين حوانيت او مشاغل الطوائف ، العطارين والحداديــــن والنســـاجين والنجاريـــن والنحاسين ، وتغلق الأسواق اثناء الليل ، وتفرض الحراسة على بعض الاقسام خاصة سوق الذهب ، وتقام الفنادق عادة عند مداخل المدن ، وفى الريف تنتشر الرياض ، وهى حدائق على الطراز الاندلسى تحيط باحواض زهورها واشجارها مسالك مبلطة بالرخام او الزليج الملون ، وتوجد الروضة احيانا فى قلب قلعة حربية لتخفف من حدة تركيبها الهندسى الجاف ، وجدران الحديقة هى بمثابة سور قلعة العائلة التى تطل على الداخل ولا تشرف على الخارج إلا من خلال باب صغير وندرة من الشبابيك الضيقة تفتح فى الجدران العالية ، كما ان الرياض تمثل بصفة رمزية سمة مشتركة فى جوانب متعددة للحياة الاسلامية ، وقد انعكس هذا على الفنون الزخرفية ، فنجد ان الابسطة تستلهم اشكالها من غزارة الخضرة ، وتمثل مجموعة الزخارف المستلهمة اصلا من المصدر ذاته وهو الطبيعة التى تشكل فى الجص ، ولوحات الزواق ، خاصة التشجير



جانب من حائط تتجلى فيه النقوش والزخارف



وجه من الوجوه التي توارثت فن الزخرفة الاسلامية .

والتوريق ، مصدر إلهام ايضا لفن زخرفة الاواني الفخارية ، وبلاطات الخزف ، والانسجة والمخطوطات .

يقول الاخوان ج . تارو :

«إن كل من تفتح امامه ابواب هذه المساكن يشعر انه يترك وراءه سعادته او شقاءه ليدخل في هذه الدائرة التي تفقد فيها هذه الاحاسيس دلالتها على ذلك الواقع المؤثر والغامض في الوقت نفسه» .

ويخصص اندريه باكار قسما للقصور الملكية المغربية ، وكما تحوط المسكن عادة روضة تتوسطه ، تتجه ابنية القصر الى الداخل ، وتحيط الاجنحة الملكية بالقصر ، ولكل قصر مسجده الخاص الذي يكون عادة اقدم ما في القصر ، وكقاعدة يشتمل القصر على ابنية اخرى تضم الخدمات اللازمة لتسيير امور الدولة . وكما هو الحال في المساكن فان القصر ينغلق على نفسه ، غير انه لابد باعتباره صورة للدولة أن يكون ذا مظهر خارجي يعكس احترام الامة واستمراريتها ، فاذا كانت التقاليد تقضي بان تحتفظ الاسوار بتقشفها ، فان بوابات القصور الملكية البديعة الصنع والمزوقة باتقان تشهد على ما يجب ان يكون عليه الترحيب بزائر كبير ، وتغطى سقوف القصر عادة بقراميد خضراء ، وهو كساء لا يقتصر على القصور الملكية ، إنما تختص به مختلف الابنية الملكية مثل المساجد والمدارس ، ومن اقدم القصور الملكية في المغرب ، قصر الباهية ، الذي يعود الى القرن التاسع عشر ، شيده ابو احمد وزير مولاي الحسن الاول ، في «الباهية» وضع البناؤون انشودة تتغنى باهم الفنون ، الا وهو فن الحياة ، فشيدوا قصراً بالغ الدقة ، ولم يتركوا شكلا من اشكال البلاغة المعمارية إلا استخدموه في تأليف تلك الاغنية التي تشدو بالسعادة الارضية الكاملة ، و «الباهية» تيه من المعابر التي تقود الى بيوت (قاعات) ذات سقوف ابدع نقشها وكسيت جدرانها بلوحات الزليج الساطعة ، وزينت الابواب بباقات التشجير والتوريق المتعددة الالوان . اما احدث قصر في المغرب فهو قصر اغادير ، وفيه تم الحفاظ على تقاليد العمارة المغربية ، وتقرر العودة الى تقليد قديم كاد يتلاشى وهو يقضي باستشارة المعلمين من مختلف المجالات حتى يلتزم الجميع بالعمل فينتج شكلا من اشكال الابداع الجماعي .



الزخرفة المغربية

الدار المغربية منغلقة ، فهي من الخارج ليست دافئة المظهر وذات سطوح عارية ، وجدران صماء لا يتخللها إلا باب واحد ، غير انك إذ تجتاز هذا الباب تدهشك فتنة خلابة ، فتكتشف عالما ساكنا متعدد الالوان ، إن ارتفاع المباني وعدم الاهتمام كثيرا بالاثاث ينسي اي فكرة للمسافة ، فيتيه الفكر في استرخاء بين ترددات الاشكال والالوان ، تحيط الزخارف سكان الدار فكانها صندوق الاحلام . ولا يوجد في التقاليد المعمارية المغربية ذلك المفهوم السائد في الغرب في الوقت الحاضر عن العمارة باعتبارها فنا مستقلا لتركيب وربط الاحجام في الفضاء ، فالمعلمون المغاربة يزدرون بالاسمنت المسلح ويعتبرونه مجرد دعامة لمسطحات يكسونها من الداخل بالزليج او الجص المنقوش ، او الخشب المقرنص . فالمعمار المغربي هو الزخرفة ، ومهما كانت المادة المستخدمة في تشكيل الزخرفة فانها تلتصق بالجدران والاعمدة والسقوف كبشرة تكسو المسطحات الداخلية ، يقول اندريه بكار ان احترام التصميم هو القاعدة الذهبية ، وكل شيء ينفذ على اساس بعدين اثنين ، علاقات المساحات الملونة والاتصال فيما بين الالوان ، ويعالج الجص المنقوش حتى اذا كان النقش بالغ العمق بحيث يؤخذ كل مستوى على حدة ، فالاشكال الجصية لا تمثل احجاما وإنما على العكس ينظر اليها على انها علامة بين الابيض والاسود تنشأ من الظلال المحدودة التي تدور مع الضوء ، ان فن المعلمين المغاربة فن حي وحساس تصنعه الايدي الماهرة . وسمو فن هؤلاء المعلمين تصنعه الجهود والابحاث اليدوية ان الرسام يملأ الفراغات بانتظام فيستخدم عند الحاجة عناصر متكررة كخلايا النحل ، ويحدد المؤلف اشكال الزخارف المغربية باربعة اشكال رئيسية :

- زخرفة متعددة الاضلاع تقوم على خطوط مستقيمة .
- زخرفة زهرية تقوم على خطوط منحنية ، التوريق ، والتشجير .
- عناصر الملا .
- الخط العربي .

ويورد المؤلف الاشكال المستخدمة في تفصيل بديع ، المربع ، والمثلث ، والدائرة ، واللولب ، والشكل المخمس ، والشكل المثمن النجمي ، والشبكات ، والعقد ، والضفائر ، ولا يكتفي بايراد الشكل إنما يبين اصله التاريخي ، ثم موضعه في الزخرفة الكلية عندما يصبح متحداً مع بقية العناصر ، ويتتبع نشأة الشكل في تطوراته التاريخية









مسجد محمد الخامس في الرباط ، وهو اية من زخارف الفسيفساء والجصيات .

بوابة حديثة من الحديد المزخرف تفتح على فناء مزخرف على النسق العربي .

المختلفة ، وهنا يعد الكتاب بحق قاموساً فنياً فريداً من نوعه لعناصر الزخرفة المغربية ، ويتتبع طرق التنفيذ المختلفة بدءاً من تخطيط الزخرفة تخطيطا اوليا على الورق ، وحتى اكتمالها فى العمل المعمارى نفسه .

الخط العربى

هناك أربعة انواع للخطوط بصفة عامة فى كتابة المغرب العربى ، القيروانى ، والاندلسى ، والقسنطينى ، والمغربى او الفاسى ، فى المغرب تسود الكتابة الأندلسية المغربية بتلافيفها الرشيقة وخطوطها الممتلئة والمشوقة المتنوعة بلا نهاية ، اما الكتابة الفاسية فانها تتميز بالسمك الواضح لخطوطها الراسية ، وبعدم وجود النقط على الحروف ، وقد جرت العادة على ان يتضمن الزخرف اية قرانية ، او حديث شريف ، او مجرد ابيات شعرية ، ومن اكثر الكتابات شيوعاً البسملة وهى فاتحة الكتاب المنزل ، وقد كتبت هذه العبارة بمجموعة فائقة من الخطوط ، وينبغى للافريز الذى ينفذه الفنان المغربى المسلم ان ينقل القارىء للتطلع الى طريق الوحي ، ولابد ان يمر كل شيء بالآيات الكريمة ويرجع اليها ، كما هو الحال فى الكتابات الجارية ، التى يمثل فيها كل انحناء عودة ، وتغطى هذه الكتابات فى المغرب ، أكثر من اى مكان اخر سواء أكانت شعراً او نثراً الحوافى الضيقة وتلف القاعات بالكامل ، وهى إما تكون من ملاط الجص أو الخشب أو المرمر . والحروف فى الخط الكوفى القديم زاوية وترسم بتان على شبكة من الخطوط الافقية والعمودية وتقع صوارى الحروف على المستوى الراسى وتزداد عرضا فى اتجاه القمة وتنتهى بحد مشدوف مقعر ، وتبدو الكتابة دائما كعنصر تكوينى فى الاطار الزخرفى العام وتكون إما فى لوحات متجمعة او فى شرائط متصلة افقية او راسية ، وقد اوحى الخط للفنانين باشكال رائعة تندمج تماما فى الزخارف المحيطة بها إما بالتشابه او بالتباين ، وقد كان تزيين الكتابة بزخارف زهرية مثالا للابتكار والتوازن على الدوام . كما يشيع استخدام الرسم الكوفى وهو رسم مشتق من الكتابة الكوفية لكنه فقد وظيفته الكتابية ليتحول الى عناصر زخرفية محضة ، والرسم الكوفى غنى بذخيرة لا مثيل لها من الزخارف التى يجمع المعلمون بينها وبين زخارف التوريق والتشجير .

هكذا اندمج الخط العربي مع النقوش ليشكل تكوينات بديعة .

وإذ ينتهى المؤلف من الأجزاء الخاصة بدراسة عناصر المعمار المغربى ، يعود الى الأصول ، الى المواد الطبيعية التى يتم تشكيل المعمار منها ، ويخصص فصولا مستقلة لهذه المواد ، الطين ، والحجر ، والجص ، والخشب ، والمعدن والماء ، ويشرح باسهاب تقنيات الأعمال التى تحول كل مادة الى عنصر من عناصر المعمار المغربى الجميل ، كذلك يخصص فصولا مستقلة لشرح صناعة وانواع اجزاء العمارة نفسها ، بدءاً من المداخل والابواب حتى السقوف والمقرنصات ، وعبر المجلدين الضخمين تتناثر فصول يقدم فيها هؤلاء الفنانين المغاربة العظام الذين يقفون خلف هذا الابداع الرائع ..

أكبر المعلمين سناً

المعلم عبد الكريم ، يقول عنه المؤلف انه من أكبر المعلمين المغاربة سنا فى الوقت الحاضر ، لقد سلك الدرب الذى سار عليه والده ، ولد فى نهاية القرن الماضى ، ثم عمل لمدة اربعة وثلاثين سنة بشكل متواصل كان ذروتها عمله فى ضريح الملك محمد الخامس الذى يعد تحفة فنية عالمية بحق ، يقول المعلم عبد الكريم انه يختار عماله بعناية ، ومن يقع عليه الاختيار يرافقه مرافقة تامة ، ويساعده فى جميع اعماله ، حتى يتعلم الصنعة بالممارسة ، ولا يصبح العامل معلماً بدوره إلا بعد وفاة استاذه . يتحدث عن الجيل الذى سبقه ، خاصة عن معلمه القندوسى الذى عاش فى عهد مولاى عبد العزيز ومولاى محمد حسن الودغيرى لقد كان معلمو الماضى يعيشون حياة افضل انه يكاد يحسدهم على مسلكهم الجميلة ، يتحدث عنهم باحترام واجلال ، خاصة الاموات منهم ، يقول ان المغرب هو مصدر جميع المواد الخام التى تستخدم فى العمل الرخام الاحمر والأسود يستخرج من ضواحى بنى احمد ، اهم اعماله هى :

فى سنة ١٩١٩ ، بنى دار المرينى وقصر التازى بالرباط .

فى سنة ١٩٢١ ، مسجد مولاى يوسف بدرب السلطان بالدار البيضاء .

فى سنة ١٩٢٢ ، بنى مسجد اهل فاس بالرباط .

فى سنة ١٩٢٣ ، بنى حي الحبوس بالدار البيضاء .

فى سنة ١٩٢٤ ، قصر اعبابو بفاس .

فى سنة ١٩٧٠ ، بنى اهم اعماله ، وهو ضريح محمد الخامس .

فى سنة ١٩٧٥ ، اشرف على تجديد قصر الرباط .

والمعلم عبد الكريم يؤمن تماماً باهمية العمل الفنى الروحية ويدرك دور المعلم باعتباره دوراً حيوياً من اجل اضفاء الروح على كل مسكن يبنيه ، لكنه يقول ان السر يكمن – فى النهاية – فى الساكن لا المسكن ويقول اكبر معلمى المغرب ، والذى يرجع اليه الجميع ..

«إنه يجب ان يغلب الاعتبار الجمالى على الاعتبار النفعى ..» .

ويتضمن الكتاب نماذج عديدة للمعلمين المغاربة العباقرة ، البشر الذين يقفون وراء هذا الجمال كله ، وهذا التراث الفنى الأصيل ، الذى جعل المغرب من اغنى دول العالم العربى والاسلامى بتراث الفن البديع النابع من تقاليدنا الخاصة ، وروحنا ، ومن عناصر هذا الفن صاغ اندريه باكار المهندس الفرنسى هذا العمل الضخم الذى يعد المرجع الأول من نوعه لفن هذا البلد العريق .

جمال الغيطانى

بناء من الطراز الحديث يعلوه زخارف من العرائس .



الزخرفة فى المعمار المغربى



كيف يواجه العالم هـذه المشكلة الاقتصادية؟

إزرع أرضك سمكا!

بقلم : رجب سعد السيد

ازداد اعتماد دول العالم ، فى السنوات الاخيرة ، على البحار والمحيطات كمورد لانتاج البروتين السمكى . فهذا المورد غير قابل للنفاد ، فضلا عن انه يعطينا نوعاً من البروتين الحيوانى رخيص الثمن .

وينتظر أن تعمل زيادة الاستثمارات فى انتاج الأسماك على تخفيف الطلب على المنتجات الحيوانية الغذائيـــــة غير السمكية .

وبالرغم من ان الدول العربية تمتلك مسطحات مائية بحرية وداخلية ، تبلـغ مساحتها اكثر من مليونى كيلومترا مربعا ، إلا ان الانتاج السمكى العربى لا يزال متخلفا . ويكفى أن نقارن متوسط انتـاج الفدان من الميـــــاه المصريـــة (عشرة كيلوجرامات فقط من الأسماك فى السنة) ، بالمعدل العالمى (٤٣ إلى ٢١٠ كيلوجرامات فى السنة) ، لنرى مدى احتياج الــدول العربية إلى مضاعفة جهود تنمية الإنتاج السمكى لتصل إلى معدل معقول .

إن ذلك يتطلب جهودا علمية متواصلة ، امكانات يجب توفيرها على عجل .. وتلك أمور تحتاج إلى وقت طويل حتى تؤتى اكلها . ولكن ، يجب البدء فى هذا الاتجاه حتى لا يتسع الفارق الموجود حاليا . وفى المدى القريب ، يمكن الاتجاه إلى مجـال اخر يؤدى إلى تنمية الانتاج السمكى ، وهو مجال : الاستزراع السمكى !

وهذا ما نحاول القاء الضوء عليـــــه.



إن طبق من السمك الشهى على مائدتك يوفر لك البروتين ويسهم فى حل أزمة الغذاء العالمية .

المسطحات المائية أصبحت من أهم موارد البروتين

تجربة عربية

كيف نحول مسطحا مائيا عديم او محدود النفع ، إلى مزرعة سمكية منتجة ؟

لقد تم ذلك فى « بركة العباسة » ، بمحافظة الشرقية . وهذه البركة التى تبلغ مساحتها ١٢٠٠ فدانا ، لم تكن تستغل إلا فى صيد الطيور المائية فى فصل الشتاء ، اما انتاجها السمكى فلم يكن يزيد عن عشرة كيلوجرامات للفدان .

وقد اضطلع معهد علوم البحار والمصايد التابع لأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، بهذه المهمة . واشتمل برنامج العمل فى هذه البركة على الخطوات التالية ، (وهى خطوات يمكن ان تطبق فى اى مشروع مماثل) :

١ ـ تخطيط احواض المزرعة .. وقد قسمت البركة الى ثلاث مزارع وقسمت المزارع الى احواض مساحة كل منها سبعة أفدنة فى المتوسط. وبجانب ذلك انشئت خمسة احواض مساحة كل منها فدانا واحدا ، وذلك لحضانة صغار الأسماك المرباة فى المزرعة ، واهمها المبروك وأسماك العائلات البورية

٢ ـ توفير الزريعة ، اى صغار الأسماك .. ويمكن الحصول على هذه الزريعة من مواطنها الطبيعية ، وتنقل إلى مكان الاستزراع فى اكياس من النايلون مملوءة بالماء المشبع بالاكسجين . واهم الأسماك التى تم استزراعها فى بركة العباسة : المبروك ـ البورى ـ البلطى .

٣ ـ اجراء التحليلات الكيميائية والطبيعية والبيولوجية لمياه وتربة الأحواض . ويجب أن تكون التربة من النوع الذى يحتفظ بالمياه ولا يدعها تتسرب . وافضل انواع التربة لاقامة احواض المزرعة هو النوع الطينى .

كذلك يجب ان تتوافر للمياه مواصفات كيميائية تسمح بمعيشة الأسماك وزيادة انتاجها ، واهم هذه الشروط أن تكون درجة الحموضة مناسبة (الأس الأيدروجينى ٧ر٨ : ٢ر٨) ، وان تكون غنية بالاكسجين

٤ ـ دراسة ومتابعة نمو الأسماك فى المزرعة . وتشتمل هذه الدراسة على : معدلات النمو ـ معدلات الوفيات ـ مراقبة الأمراض التى قد تصيب الأسماك فى المزرعة .. وغيرها من الدراسات البيولوجية .

٥ ـ نظام التغذية الاضافية . ففى المزارع السمكية لا يكتفى بما تنتجة بيئة



مرحلة اعداد مزرعة سمكية تربى فيها الانواع ذات القيمة الاقتصادية والتى تعطى كمية وفيرة من اللحوم .

فى البداية ماذا نعنى بالاستزراع السمكى ؟

إنه طريقة لتربية الأسماك تحت ظروف منظمة ، تسمح بزيادة الانتاج السمكى إلى اقصى حد ممكن .

وفى الزراعة التقليدية ، يكون وسط الزراعة الارض ، بينما يلعب الماء دور الوسيط . اما فى الاستزراع السمكى ، فان الزراعة تتم فى الماء نفسه . من هنا ، يهتم بعض الدارسين باطلاق اسم (الزراعة المائية) على كل العمليات التى يستزرع فيها الوسط المائى ـ ومنها الاستزراع السمكى ـ وتشمل استزراع المحاريات والقشريات .. والضفادع ايضا !

وكان الصينيون اول من مارس زراعة الاسماك منذ حوالى ٤٠ قرنا . وكان الرومان اول الشعوب الاوربية التى ادخلت عمليات الاستزراع إلى اوربا فى القرن الثالث قبل الميلاد .

وقد تزايد الاهتمام العالمى بالزراعة المائية كاحد الصناعات المنتجة للغذاء . ومن المتوقع أن يزداد انتاج المزارع السمكية إلى عشرة اضعاف ما هو عليه الان ، وذلك خلال العقد الحالى ، ليصل إلى ٥٠ مليون طن سنويا فى عام ١٩٨٥ م .

وتعد التجربة اليابانية فى الزراعة المائية من اهم التجارب العالمية . ويمثل انتاجها السمكى اكثر من ٧٪ من الانتاج الكلى للمصايد البحرية اليابانية الضخمة

اما بالنسبة للمحاريات المقبولة كغذاء ادمى ، فيتوقع الخبراء أن يزداد الانتاج العالمى الحالى من ٧٧٠ الف طن فى السنة الى مليون طن عام ٢٠٠٠ والجدير بالذكر أن حوالى ٤٠٪ من هذا الرقم تنتجة الزراعة المائية .

وسوف نقصر حديثنا الان على تجارب ومشروعات الاستزراع السمكى

ويهمنا ، فى هذا المجال ، ان نعرض لملامح بعض التجارب العلمية ، والمشروعات الاقتصادية للاستزراع السمكى ، فى كل من : مصر واليابان .

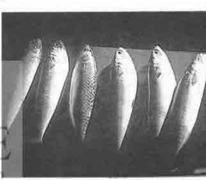
عد وصول المحصول الى الحجم المناسب ، يتم طرحه فى الاسواق



إبدع أرضك سمكا!



منظر عام لمزرعة سمكية مقسمة الى احواض للتربية .



اسماك بركة العباسة فى جمهورية مصر العربية والتى تبلغ مساحتها ١٢٠٠ فدانا .



انتاج المزارع السمكية فى الشرق الاقصى اصبح اليوم يمثل رقما قياسيا فى العالم .

الاحواض من غذاء طبيعى للاسماك ، يتمثل فى الكائنات الحية النباتية والحيوانية ، ولكن تتمتع الأسماك بوجبات إضافية دسمة تساعد على سرعة نموها .

واهم هذه الأغذية الصناعية يتكون من خليط من « الكسب » ـ بضم الكاف . وهو بقايا بذرة القطن بعد عصرها ـ ونخالة الأرز ، أو الدقيق (الطحين) ، بنسبة ١ : ٣ ، وبكمية تساوى ٥٪ تقريبا من مجموع وزن الأسماك الموجودة فى الحوض .

وتضاف هذه الوجبات مرة او عدة مرات فى اليوم ، ولمدة ستة او خمسة ايام فى الأسبوع .

٦ ـ جمع المحصول السمكى . ويتم فى نهاية فترة التربية ، وبعد وصول الأسماك إلى الحجم المناسب للسوق .. فتجفف أحواض المزرعة تماما بسحب المياه منها ، وتلتقط الأسماك بسهولة .

وقد نجح مشروع « بركة العباسة » على المستويين التجريبى والاقتصادى ، مما ساعد على انتشار مشروعات الاستزراع السمكى فى مصر .

التجربة اليابانية

يرجع تاريخ استزراع سمكة المبروك إلى ٢٤٠٠ سنة تقريبا .

وكان الصينيون أول من ربى هذه السمكة فى مزارعهم ، بينما استزرعها اليابانيون منذ ١٩٠٠ سنة .

وكان اليابانيون يزرعون هذه الأسماك فى حقول الأرز . ومع دخول المبيدات الحشرية والحشائشية إلى ميدان الزراعة ، فقدت حقول الأرز أهميتها كمزارع لأسماك المبروك .

وانتقلت عمليات الاستزراع إلى برك الرى وأحواض وبرك المياه الجارية ، وفى بعض المزارع السمكية المنشأة خصيصا لتربية المبروك ، وكذلك فى التقفيصات الطافية .

وقد تضاعف انتاج المزارع السمكية من اسماك المبروك ٣ر٤ مرة فى الفترة من عام ١٩٦٣ إلى ١٩٧٣ ، بينما تضاعف الانتاج السمكى اليابانى العام ٦ر١ مرة فقط فى نفس الفترة .

وفى عام ١٩٧٣ ، استزرعت مساحة ٣٣٠٠ هكتارا بأسماك المبروك ، فاعطت عائدا قدره ٥ر٣ طنا / هكتار . وفى هذه الزراعة المكثفة ، استخدمت وسائل تزويد المياه بتيار مستمر من الهواء ، ونظام متكامل من الأغذية الاضافية (يرقات دودة القز) او خمس مرات يوميا . وقد حشدت المزرعة باصبعيات الأسماك التى تزن الواحدة منها ٤٠ : ١٠٠ جراما . واستغرقت عملية التربية الفترة من الربيع إلى الخريف . وكان الناتج النهائى اسماكا صالحة للتسويق تزن الواحدة ٨٠٠ جراما .

ويستخدم اليابانيون طريقة اخرى لتربية هذه الأسماك ، فى تقفيصات طافية . وقد بدأ استخدام هذه الطريقة فى عام ١٩٥١ ، وتطورت وانتشرت فى البحيرات ومجارى مياه الرى منذ عام ١٩٦٤ . وتتراوح مساحة التقفيصات العائمة بين ٢٥ و ١٢٠ مترا مربعا ، ويصل عمقها إلى مترين . وهى عبارة عن اطارات من خيرزان البامبو ، مكساة بشباك من البلاستيك ، ويتم تعويمها بواسطة البراميل الفارغة .

وتملأ هذه التقفيصات بطور صغير من الأسماك (الأصبعيات) ، تزن الواحدة ٥٠ : ١٢٠ جراما . تبدا التربية فى الربيع ، بمعدل ٣٠ سمكة للمتر المكعب ، وتضاف اغذية صناعية ٤ او ٥ مرات يوميا وفى الخريف ، تنتج التقفيصات ٢٠ : ٥٠ كيلوجراما للمتر المكعب ، بمتوسط وزن ٨٠٠ جراما للسمكة الواحدة .

وفى ماليزيا ، ابتكر العلماء مزرعة صغيرة على هيئة تقفيصة عائمة ، يمكن للمزارعين استخدامها لامداد العائلة بالأسماك الطازجة على مدار السنة . ويمكن للأسر الريفية تنفيذ هذا المشروع (مزرعة الأسرة) فى أقرب مسطح مائى لمكان اقامة الأسرة .

رجب سعد السيد

ياصدرًا .. وطنًا

إلى أمل دنقل

شعر : سماح عبد الله



حين حملت حقائبَ سفرى
... وطرقت على بابكَ ... فى الليل
... منزويا ... كنتَ تغنّى للوطن المتمدد فى عينيك
ووجع الأرض
... وانــا
... خاصمتُ الأيام حواليك
... وعشقتُ الركض
... وفجائيا كنت
... وكنت
أُخَبّؤُكَ ... بكتبى
... واهاجرُ لأراضيكَ ، وبُلْدانك ... ليلا
... والى حيث يضم الجفنان الحلمَ الأمْلا
... وافاجؤهم بك ... منتصبًا ... نَخْلا
... وعنيدا ... كالريح الهوجاء
... وفجائيا ... كنت
... هل تعرفنى ؟ ؟ !!
... آخِرُ عودٍ ... نبت بأرض الشعراء
... ورسمتُكَ ... فى كراساتى
حقلا
... ونهارا
... موَّجْتُك ... انهاراً
... أوقدْتكَ نارا
... نَزَّلْتك ... مطرا
... وتخيَّرْتك ... فَصْلا
... غير جميع فصول الأعوام
... تطلع اخضر كالحَبّ
... وتغنى للفقراءِ
رَسَمْتُكَ
... العينان الزمن المترجِّلُ ، والزمن المتعجِّل
... الصدرُ الوطنُ
... القلبُ ... الجمرةُ
... والصوتُ ... البركانْ
... والكلمات ... الشجر المتطاول والعهد الآتى
... هل تعرفنى ؟؟ !!!
... كانت فيروز ... تسامر وحْدَتك الوحشيةَ
... (خذنى ... لبلادى)
... (خذنى ... لبلادى)
... هل تقدر ؟؟
... انى ... ابحث عن وطنى

... منذ زمان ... اتبعثر فى الطرقات ... غريبا ابحث عن وطنى
... أوجعنى سفرى
... أوجعنى ترحالى
... طرت ، ودرت
... وحططت على بابك ... فى الليل
... مجروح سيِّدىَ الذابلَ حتى الوجع
... مجروحٌ ... حتى الموت
... ما اقسى أن يتكىءَ المجروحُ على المجروح
مجروحان تقاسَمْنا فى هدآت الليل الوجعا
وتقاسَمْنا الإعياء
غريبان
. ونُنشد وطنــا
... فيروز ... وغنى
... صبى فى صدرينا ... بلدان فلسطين ، ولبنان
... كانت عيناك ... بحارَ مُنًى
... ويداك مخضبتَيْن ... دَمًـا
... وانــا .
... خبأتُك ... بين حقائبِ سفَرى
وضممْتُكَ فى صدرى
... وتطيَّبْتُ بك ... الصدر الوطن ، الكلماتِ الشجرَ
... غادرتك عينين ... بحارَ مُنًى
، ويدين ... مخضَّبَتيْن ... دَمًا
... وخطوت ـ وانت ـ بكتبى
وحقائب سفرى
... تتحشرج ... فى صوتى
... وتقاسمنى ... خطواتى فى الطرقات
وتفجؤنى ... فى عينى
... ياصدراً ... وطنــا
... وانـا .
... خاصمت الأيام حواليك
... وعشقت الركض
... وخططتك حين خططت
وحين اخترت
... تخيرتك فصلا ... غير جميع فصول الأعوام
... تطلع اخضر كالحَبّ
... وتغنى ... للفقراء

جيرارد دي كريمونا: أشهر مترجمي المؤلفات العربية

بقلم: الدكتور: أحمد محمود بدر

يتفق الكثيرون من مؤرخي العلم على أن انتقال التراث الاسلامي وخاصة العلوم والمعارف الى غرب اوروبا خلال العصور الوسطى كان العامل الرئيسي لبدء عصر النهضة العلمية في اوروبا وانتقالها من عصر الظلمات الى عصر البحث والكشف العلمي. وفي هذا المجال يمكن تلخيص انجازات المسلمين ومساهمتهم في ثلاثة مجالات.

فمن جهة قام العرب بترجمة واستيعاب تراث الحضارات السابقة لهم وخاصة الحضارة اليونانية. وقد نقل هذا التراث الى أوروبا فيما بعد عندما ترجم من العربية الى اللاتينية. غير انهم لم يقتصروا على مجرد النقل والاستيعاب بل ادخلوا الكثير من التعديلات والاضافات والتعليقات على اعمال الاقدمين، والتى كان لها اثر كبير على الفكر الأوروبى. ومن جهة اخرى كان للعرب انجازاتهم واكتشافاتهم الاصلية والتى تفوقوا فيها على الاقدمين وخاصة فى الطب والرياضيات والفلك والتنجيم والجغرافيا والكيمياء. ومن جهة ثالثة وربما كانت الاهم هى ان العرب تميزوا بحبهم للمعرفة والعلم واتباعهم المنهج العلمى التجريبى فى البحث وسواد العقلية العلمية بينهم. وقد نقل الاوروبيون كل ذلك عنهم.

كانت الأندلس اهم مراكز الالتقاء بين الحضارة العربية الاسلامية واوروبا. والمصدر الرئيسي الذى انتقلت من خلاله المعارف والعلوم العربية. ذلك ان الاندلس شهدت خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد حركة ترجمة واسعة، حيث توافد عليها الباحثون والمتعطشون للمعرفة من مختلف انحاء أوروبا بحثا عن المؤلفات العربية لترجمتها الى اللاتينية. من بين المدن المختلفة اصبحت « طليطلة » "Toledo" التى سقطت للمسيحيين عام ١٠٨٥ والتى كان يتوفر بها ثروة كبيرة من الكتب العربية اهم مراكز الترجمة فى شبه الجزيرة.

ان تتبع حياة واعمال جيرارد دي كريمونا ـ اشهر هؤلاء المترجمين والاب الحقيقى لانتقال العلوم العربية الى أوروبا ـ ليعطينا صورة واضحة عن حجم التراث العلمى العربى الذى نقله الاوروبيون.

ولد جيرارد فى لومباردي Lombardy بايطاليا حوالى عام ١١١٤. ويرجح ان وفاته كانت فى طليطلة عام ١١٨٧ م. تلقى تعليمه الأولى فى ايطاليا قبل انتقاله الى طليطلة. ويرجح ريتشارد لومي Richard Lemay انه انتقل الى طليطلة وعمره لم يتجاوز الـ ٢٥ او الـ ٣٠ عاما على اكثر تقدير. وبهذا يكون قد امضى حوالى ٤٣ سنة من حياته فى الترجمة والتاليف. وهذا يفسر الأعمال العديدة التى قام بترجمتها او تاليفها.

نعرف قدرا كبيرا عن حياة جيرارد والمؤلفات التى ترجمها من وثيقة كتبها تلاميذه ووجدت ملحقة ببعض نسخ ترجمته لكتاب «جالينوس» "Galen" المعروف باسم Tegni تشمل هذه الوثيقة ثلاثة اجزاء: سيرة حياة جيرارد، وثبتا بالكتب التى ترجمها ـ والبالغ عددها ٧١ كتابا ـ وتابينا له.

جاء فى الوثيقة المشار اليها ان حب جيرارد لكتاب « الماجست » ورغبته فى الاطلاع عليه ـ اذ لم يكن متوفرا باللغة اللاتينية ـ دفعه الى الانتقال الى طليطلة. و «الماجست» هو الاسم العربى لكتاب بطليموس Claudius Ptolemy فى الفلك. الفه فى الاسكندرية فى القرن الثانى وترجمه العرب فى القرن التاسع. اصبح الكتاب بعد ترجمته الى اللاتينية من العربية المصدر الرئيسي لعلم الفلك فى اوروبا فى العصور الوسطى. هناك فى طليطلة عندما وجد جيرارد « وفرة الكتب العربية فى كل موضوع .. تعلم العربية حتى يتمكن من الترجمة ».

ورد فى الوثيقة التى كتبها تلاميذ جيرارد اسماء المؤلفات الـ ٧١ التى قام بترجمتها. غير ان المؤرخين ينسبون اليه اعمالا اخرى يعتقد انه قام بتاليفها وترجمتها. وبهذا يكون حجم انتاجه ضخما. ومن هنا نشا التساؤل والتشكيك فيما اذا كان جيرارد قد قام بانجاز هذه الاعمال بنفسه ام انه استعان بمساعدين خاصة وقد ورد الذكر ان غالب العربى Galippus Mixtarabe قد ساعده فى ترجمة « الماجست ».

يرى مؤرخ العلوم المشهور سارتون Sarton ان من المحتمل ان يكون جيرارد قد تلقى مساعدة من العرب والمحليين ممن يجيدون العربية فى الترجمة وان كان قد ترجم العديد من المؤلفات فان هناك اعمالا اخرى لم يترجمها ونسبت اليه. وفى المقابل لا ياخذ لومي Lemay بهذا الراى والذى لا يرى دليلا عليه، ويرجح ان يكون جيرارد قد قام بكل الأعمال التى نسبت اليه بسبب طيلة المدة التى قضاها فى طليطلة، وانه ان كان قد استعان بمساعدين فربما اقتصر دورهم على مساعدته فى البحث عن وتوفير نسخ المؤلفات العربية او فى تحرير ونسخ هذه المؤلفات.

تدل الدراسات المحدودة التى تمت لمعرفة اسلوب جيرارد فى الترجمة انه كان يتبع الترجمة الحرفية قدر الامكان اذ كان يحاول ان تكون ترجمته مطابقة للاصل العربى وينقل كل كلمة يحتويها الأصل العربى ويحافظ على تركيب الجمل العربية. وفى الحالات التى كان يقارن فيها الترجمات اللاتينية بالمؤلفات العربية كان يحتفظ بما يعتبره مقبولا ويحاول توحيد المصطلحات اللغوية المستخدمة. ولا تزال هناك حاجة كما يشير الى ذلك لومي Lemay الى مقارنة نصوص المؤلفات العربية بترجمة جيرارد اللاتينية حتى يمكن تكوين حكم محدد حول دقة وخصائص تراجمه.

تشمل قائمة الاعمال الـ ٧١ التى ترجمها جيرارد والتى ذكرها تلامذته فى الوثيقة المشار اليها سابقا تراجم عربية لكتب يونانية فى العلم والفلسفة ومؤلفات اصلية لعلماء عرب. وتتكون من ٣ مؤلفات فى المنطق و ١٧ فى الهندسة والرياضيات والبصريات و ١٢ فى التنجيم والفلك و ١١ فى الفلسفة و ١٤ فى الطب و ٣ فى الكيمياء و ٤ فى التنجيم والكهانة.

تضم هذه القائمة التى ترجمها جيرارد عدداً كبيراً من المؤلفات العربية فى مختلف العلوم . فمثلا فى المنطق تشمل القائمة كتاب الفارابى « فى المنطق » والذى شرح فيه كتاب ارسطو « "Organon" » وفى الرياضيات والبصريات كتاب الخوارزمي « الكتاب المختصر فى حساب الجبر والمقابلة » وكتاب الكندي « البصريات » وفى الفلك كتاب للفرغاني وكتاب لثابت بن قرة شرح فيه كتاب «المجسطي» وفى الفلسفة كتاب للفارابي علق فيه على طبيعة ارسطو ، وكتاب للكندى حول الطبائع الخمس للاشياء . وفى الطب ترجم جيرارد للرازى « الكتاب المنصورى » وكتاب « تقسيم العلل » و « المدخل الى الطب » و « اوجاع المفاصل واوجاع النقرس » و « التجارب » و « المرشد » . وللزهراوى ترجم جيرارد الجزء الثالث المتعلق بالجراحة من كتابه المشهور « كتاب التعريف لمن عجز عن التاليف » . كذلك ترجم جيرارد كتاب الكندى عن الصيدلة وكتاب « القانون » لابن سينا .

وهكذا فان من الانصاف القول ان ازدهار الغرب ونهضته العلمية لم تبدا الا بعد اكتشافه واستيعابه للتراث العربى . ان الحقيقة التى لا يعيها الكثيرون منا هى ان الحضارة الغربية ليست اوروبية صرفة بل تشمل الكثير من معالم التراث العربى التى اندمجت معها اثناء تطورها التاريخى .

د . احمد محمود بدر

المراجع

Haskins, Charles H. "Arabic Science in Western Europe" in ISIS, Vol. VII, 1925, pp. 478-485.

Studies in the History of Medieval Science Cambridge, Mass. Harvard University Press, 2nd ed., 1927.

Lemay, Richard. "Gerard of Gremona" in Dictionary of Scientific Biography. Charles C, Gillispie, ed., New York: Charles Scribner's Sons, Vol. XV, 1978, pp. 173-192

Sarton, George. An Introduction to the History of Science, II Baltimore, 1931, pp. 338-344

الجمال الظامئ

شعر : عبد العليم القباني



« هيفاء من بنات بحرى بالاسكندرية استأذنت ان تشرب من كوب الماء الموضوع امام الشاعر وهو جالس على رصيف المقهى ، فكانت هذه القصيدة ؟

قالت : اتسمحُ ؟ قلت : لم لا أسمحُ ؟
قالت : انا ظمأى ، فقلت : عجيبة
قالت : أطلتَ القول ، قلت : لعلنى
قالت : (فبعد الشر) قلت : وإنما
قالت : فهذا الشيبُ ؟ قلت : رواية
الآنَ شيبى لا يبالى صبوتى
قالت : فعمرك ؟ قلت : رحلة شاعر
قالت : ففى عينيك تزدحمُ الرؤى
قلت : الذى يسع الليالى شعره
وتناولت كوبى ، فلو شاهدتنى
كالطير فى قفصٍ ، يبث نشيدَه
حتى إذا رَويَتْ ، واحنت راسَهَا
اتامل الدربَ المثار ، وقد مشَتْ
خطواتها ، تهب الطريق حياته
وكانها ، والنور يخفقُ حولَها
حتى إذا غابَتْ ، وعدت لواقعى
اغمضت عينى ، أستعيد حديثَها

والسحرُ فى عينيك ، طفل يمرحُ
ان تظمئى ، وسلاف ثغرك مطمحُ
القى بعينيك الجواب .. فاجنحُ
للشر فى الدنيا نصيبُ افسحُ
مكذوبة .. هل كل كوب تنضحُ ؟
تتدللين ؟ فاقبلَتْ تستوضحُ
يتصيد الأحلامَ ساعة تسنحُ ؟
وعلى جبينك ذكرياتٌ تلمحُ ؟
قد تستبد به الجراحُ فتفصحُ
لرايت روحى دونَها تستروحُ
وجناحه ، قلق النوازِع يرزحُ
شكراً .. جلسْتُ ومهْجَتى تترنحُ
من فوقه حوريةٌ تتارجحُ
وعبيرها ، فتن تثور وتجمح
نجمٌ على الق الكواكبِ يسبَحُ
طللاً يداعبُه الشباب فيجرحُ
وكان بلبلةً بسمعى تصدحُ

تضم هذه القائمة التى ترجمها جيرارد عدداً كبيراً من المؤلفات العربية فى مختلف العلوم . فمثلا فى المنطق تشمل القائمة كتاب الفارابى « فى المنطق » والذى شرح فيه كتاب ارسطو « "Organon" » وفى الرياضيات والبصريات كتاب الخوارزمي « الكتاب المختصر فى حساب الجبر والمقابلة » وكتاب الكندي « البصريات » وفى الفلك كتاب للفرغاني وكتاب لثابت بن قرة شرح فيه كتاب «الماجست» وفى الفلسفة كتاب للفارابي علق فيه على طبيعة ارسطو ، وكتاب للكندى حول الطبائع الخمس للاشياء . وفى الطب ترجم جيرارد للرازى « الكتاب المنصورى » وكتاب « تقسيم العلل » و « المدخل الى الطب » و « اوجاع المفاصل واوجاع النقرس » و « التجارب » و « المرشد » . وللزهراوى ترجم جيرارد الجزء الثالث المتعلق بالجراحة من كتابه المشهور « كتاب التعريف لمن عجز عن التاليف » . كذلك ترجم جيرارد كتاب الكندى عن الصيدلة وكتاب « القانون » لابن سينا .

وهكذا فلن من الانصاف القول ان ازدهار الغرب ونهضته العلمية لم تبدا الا بعد اكتشافه واستيعابه للتراث العربى . ان الحقيقة التى لا يعيها الكثيرون منا هى ان الحضارة الغربية ليست اوروبية صرفة بل تشمل الكثير من معالم التراث العربى التى اندمجت معها اثناء تطورها التاريخى .

د . احمد محمود بدر

المراجع

Haskins, Charles H. "Arabic Science in Western Europe" in ISIS, Vol. VII, 1925, pp. 478-485.

Studies in the History of Medieval Science Cambridge, Mass. Harvard University Press, 2nd ed., 1927.

Lemay, Richard. "Gerard of Gremona" in Dictionary of Scientific Biography. Charles C, Gillispie, ed., New York: Charles Scrioner's Sons, Vol. XV, 1978, pp. 173-192

Sarton, George. An Introduction to the History of Science, II Baltimore, 1931. pp. 338-344

الجمال الظامئ

شعر: عبد العليم القباني



« هيفاء من بنات بحري بالاسكندرية استاذنت ان تشرب من كوب الماء الموضوع امام الشاعر وهو جالس على رصيف المقهى ، فكانت هذه القصيدة ؟

قالت : اتسمحُ ؟ قلت : لم لا اسمحُ ؟ ... والسحرُ فى عينيك ، طفل يمرحُ
قالت : انا ظمأى ، فقلت : عجيبة ... ان تظمئى ، وسلاف ثغرك مطمحُ
قالت : أطلتَ القول ، قلت : لعلنى ... القى بعينيك الجواب .. فاجنحُ
قالت : (فبعد الشر) قلت : وإنما ... للشر فى الدنيا نصيبُ افسحُ
قالت : فهذا الشيبُ ؟ قلت : رواية ... مكذوبة .. هل كل كوب تنضحُ ؟
الآنَ شيبى لا يبالى صبوتى ... تتدللين ؟ فاقبلَتْ تستوضحُ
قالت : فعمرك ؟ قلت : رحلة شاعر ... يتصيد الاحلامَ ساعة تسنحُ ؟
قالت : ففى عينيك تزدحمُ الرؤى ... وعلى جبينك ذكرياتٌ تلمحُ ؟
قلت : الذى يسع الليالى شعره ... قد تستبد به الجراحُ فتفصحُ
وتناولت كوبى ، فلو شاهدتنى ... لرايت روحى دونها تستروحُ
كالطير فى قفصٍ ، يبث نشيدَه ... وجناحه ، قلق النوازعِ يرزحُ
حتى إذا رَويَتْ ، واحنت راسَها ... شكراً .. جلسْتُ ومهْجَتى تترنحُ
اتامل الدربَ المثار ، وقد مشَتْ ... من فوقه حوريةٌ تتأرجحُ
خطواتها ، تهب الطريق حياته ... وعبيرها ، فتن تثور وتجمح
وكانها ، والنور يخفقُ حولَها ... نجمٌ على الق الكواكبِ يسبَحُ
حتى إذا غابَتْ ، وعدت لواقعى ... طللاً يداعبُه الشباب فيجرحُ
اغمضت عينى ، استعيد حديثَها ... وكان بلبلةً بسمعى تصدحُ

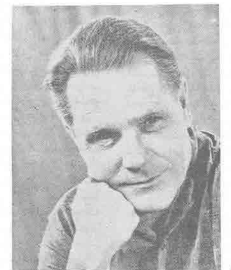
هذا البرنامج الطريف يروى اشياء كثيرة عن علاقة الكاتب بالمكان ، أو روح المكان - بمعنى أدق - كما يقول عنوان البرنامج نفسه . وفكرة البرنامج طريفة ايضا ، ولعلها تستهوى إحدى محطاتنا التليفزيونية العربية ولو عن طريق النقل الحرفى . وتتلخص فى أن يصحب مخرج البرنامج احد الكتاب المعروفين الى المكان الذى اثر فيه من قبل او كتب عنه ، ليروى إحساسه به بعد غياب طويل . ومن خلال هذه الزيارة التليفزيونية الطريفة صحب المخرج بيتر ادام كاتبا بريطانيا كبيراً - احتفل بعيد ميلاده السبعين هذا العام - الى المدينة التى دارت فيها احداث رواياته الأربع المشهورة باسم«رباعية الاسكندرية» .

اما الكاتب فلابد ان اسمه قد اصبح واضحا ، ومع ذلك فهو : لورنس داريل . واما المدينة فقد اصبح اسمها واضحا ايضا ، ومع ذلك فهى : الاسكندرية .

وراء كل كاتب عظيم مدينة

عاشق الأسكندرية يعود إليها

بقلم : علي شلش


لورنس داريل

يقول «داريل» فى مستهل حديثه الذى استغرق نصف ساعة هى وقت البرنامج :

«بعد ٣٠ عاما اعود الى مصر لأرى من جديد الاماكن التى كانت سواء من وجهة ادبية او شخصية - تعنى شيئا بالنسبة لي ، او اثرت في او اثارتنى ، ولارى ايضا أية آثار قد بقيت من ذلك العالم المسرف فى الوانه الذى صـورته فى رباعيـة الاسكندرية» .

ولكن عودة عاشق الاسكندرية لم تقتصر على رؤية معشوقته التى كانت سر صيته ، وإنما اتسعت لرؤية الصحراء والنيل من مصبه الى اسوان : فقد بدأت رحلة الكاميرا مع «داريل» من الاسكندرية ، ثم انتقلت به الى الصحراء حيث زار دير وادى النطرون ، والاهرامات ، وابا الهول ، وواحات الفيوم . وبعدها ركبت الكاميرا مع ضيفها باخرة مضت بهما فى النيل حتى اسوان ومعبد ابى سمبل .

ولاهمية الحديث والبرنامج - بالنسبة لي على الاقل - فقد حرصت على تسجيله من التليفزيون مباشرة ثم تفريغه وقراءته بغير صور . واحسست بان قراءة الحديث متعة اخرى ، وهذا ما احببت ان انقله للمهتمين بالكتابة والرواية والمعجبين بفن هذا الرجل الموهوب . ولم يكن يقطع اتصال هذا الحديث سوى مشاهد الاماكن وصورها ولحظات تامل صاحبه فى المكان واسئلة مقدم البرنامج الذى لم تظهر صورته على الاطلاق . ولماذا تظهر فى مثـل هـذا السياق ؟!

ولطول الحديث ، ولشجونه الكثيرة ، فقد رأيت ان أسلم طريقة هى نقل أهم ما فيه وعرض باقيه .

يقول عاشق الاسكندرية وهو يصفها بكلمة «الحبيبة» :

«هنا يشم المرء الصحراء . يشم قلب افريقيا وهو ينسكب مثل الدخان فى ذلك «القمع» المسمى النيل ثم يتحول الى طمى فى هذه الدلتا الضخمة . إن مصر تبدا بعد البحر الى الداخل فى الحقيقة ، فاذا اجتزت الميناء اقتربت من ارض وتربة اخرى . ومهما كان ما فعله الاغريق «لهلينة» او «اغرقة» هذه المدينة ، فرائحتها رائحة الصحراء ، وريح الصحراء ـ الخماسين ـ ريحها ، وهى التى تكسب الهواء نوعاً من الطقطقة ويختلط بالبحر فينشط وينعش ويوتر حتى ليصاب المرء بالخبل هنا بسهولة» .

لقد اوحت له الاسكندرية بعدد من القصائد غير رواياته الاربع . وكان ذلك يوم عاش فى بيت مهندس معمارى ايطالى .. فيللا كبيرة من طابقين .. إبان الحرب العالمية الثانية .. كتب الشعر بالرغم من جو الياس الذى خيم على النفوس بفعل الحرب :

«ولكن ربما كان ذلك شيئا طيبا الى حد ما . فقد ضغطت (الحرب) حياتى واضطرتنى الى ان افعل ما يجب ان يفعله المرء دائما ، اى الا يفكر فى غده وان يحيا ليومه فحسب .. لقد كنت مسئولا عن ٢٥٠ صحفيا اصبحوا جميعا اصدقاء لى .. واوحوا لي بفقرات حول شخصية «نسيم» وغيره . وهكذا منحتنى وظيفتى هنا فرصة رائعة لكتابة الشعر والدراسة ، وفتحت لي مغاليق الاسكندرية بطريقة لم تكن لتتحقق لو لم يكن لي وظيفة فيها . حيث ذلك كله فى نطاق ضيق جدا . فمثلا كان بوسعى ان اتجول فى المدينة ، المدينة الحقيقية التى اسسها الاسكندر ، خلال عشر دقائق . فامر بالنادى اليونانى ، وارى رجال البنوك اليونانية وهم يدخنون ، ... وربما ارى صورة اخرى لكفافى الشاعر اليونانى الذى عاش فى الاسكندرية وهو يكتب الشعر ويحتسى اقداحا صغيرة من القهوة التركية . وكان فندق سيسيل هذا الذى اقيم فيه هو نقطة انطلاقى ، لم يتغير الفندق كثيرا . وفيه اقام كل الصحفيين الذين جاءوا الى هنا زمن الحرب لمتابعة اخبار الحرب وتنقلات الجيوش .

لقد نقلت الحرب لندن وباريس الى هنا .. كل أنواع الشعراء والكتاب .. اندريه جيد مر هنا مرورا عابرا .. وكان الانجليز ياتون لقضاء عطلة نهاية الاسبوع . ولذلك لم تتوقف الحياة فى هذا المكان ولا فى هذه المدينة طوال تلك الفترة . ولاشك ان الجيوش جلبت معها كل ما يتعلق باساليبها الوطنية فى الطهى .. جاءتنا «تشكيلة» ضخمة من بولندا ، وبوهيميا ، والهند ، وتركيا . ولكن هذا التنوع الدائم فى الحياة اليومية كان لذيذا . فلم يكن المرء يحتاج الى بذل اى مجهود فى سبيل امتاع نفسه . فقد كان كل شىء يشكل مشهدا للفرجة والمتعة . والحق أن افضل نصيحة يقدمها أ . م . فورستر فى دليله ، وافضل طريقة لرؤية اى مكان ، هو أن تتجول فيه بلا نهاية . فاذا بدات مهمتك ادركت ان السينما الهائلة التى تعرضها الحياة اليومية هنا كافية . فلا المرء يحتاج عندئذ الى حفلات نمطية ولا هو يفتقد ما يسليه» .

ولكن ما حكاية «كفافى» و «فورستر» اللذين جاء ذكرهما منذ قليل ؟ اما «كفافى» فهو الشاعر اليونانى الكبير الذى اقام فى الاسكندرية حتى وفاته فى اوائل الثلاثينات واما «فورستر» فهو الروائى الانجليزى الذى تطوع فى الحرب العالمية الأولى ضابطا فى الجيش البريطانى الذى بعثه الى الاسكندرية . وفيها طاب له المقام بضع سنوات التقى خلالها بكفافى ، وتصادقا . ثم كتب عن الاسكندرية وكفافى معا كتابين : اولهما «الاسكندرية» والآخر «الفنار» . وفى الكتابين سجل تجربة حب لتاريخ المدينة منذ إنشائها حتى عصر محمد على كما سجل علاقته بشاعرها اليونانى الكبير .

يقول داريل مرة اخرى إن الاسكندرية التى راها اول مرة كانت تختلف كثيرا عن الاسكندرية التى عاش فيها كفافى وفورستر . ويضيف :

«لقد وصلت الى هنا بعد ثمانى سنوات من موت كفافى . وكانت الاسكندرية التى صورتها فى رواياتى قد اختفت بالفعل على نحو ما ، بالرغم من ان اشد اجزائها حيوية وبذخا كان قد انتقل الى القاهرة . ولكنى اعدت كل شىء الى مكانه حين بدات فى الكتابة . وبجزء مختلف من عقلى رايت الاسكندرية كلها وهى تنبسط على الجانبين مرة اخرى من حولى بكل تفاصيلها الاسرة وكل غطرسة الوانها وكل فقرها المدقع وجمالها الاخاذ . ولم تكن المدينة لتتغير مطلقا مادامت الاجناس مستعرة فى الغليان هنا مثل عصير العنب حين يغلى فى إناء كبير قبل ان يتخمر . وهى لم تكن لتتغير ايضا مادامت الشوارع والميادين لم تكف عن طفح تخمرات هذه العواطف والاحقاد والثورات والهدوء المفاجىء .. اذكر أن «نسيم» قال ذات مرة ان الاسكندرية هى اكبر «معصرة عنب» للحب . ...» .

وشخصية «نسيم» هذه التى جاء ذكرها الآن من اهم شخصيات « رباعية الاسكندرية» وهى شخصية حقيقية لمصرى سكندرى قبطى عرفه داريل ، ولكنه حين صوره فى رواياته غير الكثير من ادلة وجوده الحقيقى بالطبع . ولكن الم تكن الاسكندرية التى صورها داريل على هذا النحو مدينة الياس على حد تعبير مقدم البرنامج فى سؤال اعتراضى من اسئلته التى سنتوقف عندها ؟

«هكذا كانت فى الحقيقة . ربما اكون قد بالغت فى تصوير هذه الصفات ، ولكنها .. ليست اوربا ولا افريقيا . انها تقع فى وسط الصراع بين هذين المؤشرين . وهى دائما فى حالة ياس لان قيمها عكسية تماما . انظر الى الوجوه التى تراها فى الشوارع من حولك . إن فيها من كل نوع من انواع البحر المتوسط والدول الاوربية : اسبان وإيطاليون . وهذا الغزو الذى تعرضت له الاسكندرية على أيدى هؤلاء التجار والاجانب لابد أن يعود الى زمن جنوا او ربما قبل زمن البندقية» .

إنه يقصد زمن ازدهار جنوا والبندقية فى عصر النهضة والكشوف الجغرافية وتفوقهما على الاسكندرية . ولكن مقدم البرنامج يساله سؤالا مهما يحول به مجرى الحديث قليلا :

● لقد كتبت «رباعية الاسكندرية» بعد ان غادرت الاسكندرية فهل كنت تسجل ملاحظات ، او هل كنت تحتفظ بيوميات .. ؟

ـ كان عندى كراسات ضخمة مليئة بكل شىء ، اقوال كل يوم وما الى ذلك .. ولكنى لا اكتب يوميات . لم يكن عندى اى صبر على هذا ، ولكن ربما خدمتنى تذكرة اوتوبيس او تذكرة دخول متحف الاسكندرية ، وما الى ذلك مما يشع بعد سنوات ويجعلك تتذكر كل شىء إذا رايت منه علامة صغيرة . كل هذه اشياء مفيدة .

سؤال اخر :

● أهذا هو السبب الذى حدا بك الى استخدام لغة تشبه لغة المصور من حيث انها ترسم ظلا فوق ظل ؟ ..

ـ من الصعب جدا حيث تعمل فى اربعة كتب ان تحتفظ بجدة الوانك ونضارتها .. ولذلك فمن الطبيعى ان احرك «الموتور» على قدر ما استطيع حتى اضمن الا تصبح الالوان كابية .

عاشق الأسكندرية يعود اليهـــا !



يجب الا ننسى ونحن نقرا نثر داريل او نسمع لحديثه انه بدا حياته شاعرا ، وان له ديوانا كاملا . فمن الطبيعى ان يملأ نثره وحديثه بالاستعارات والصور الشاعرية . فضلا عن ان زيارة المكان الحبيب الى النفس بعد غيبة طويلة تبعث فى نفس الكاتب ، مهما كان ناثرا جيدا اشراقات الشعر وربما غموضه المحبب . فلاباس علينا إذن إذا قرانا كلمة مثل «الموتور» فى غير سياقها !

يقول عاشق الاسكندرية وهو يتابع مع الكاميرا الاحياء الشعبية فى المدينة ابتداء من حي «الانفوشى» ليلا حيث تعلو ماذن مساجد البوصيرى وابى العباس وغيرهما

«إن الحلم يرتفع منبهرا مثل نتف الورق المتناثر الى اعلى الماذن كى يتلقى على اجنحته اخر اشعة النور . والمدينة البيضاء تضيء الاف الثريات فى متنزهاتها وابنيتها ... إنها تبدو مثل سفينة ضخمة من البللور نائمة هناك ، راسية وموثقة الى قرن افريقيا . وتظل الارصفة محتفظة بحرارة النهار مثل البطيخ حين تشقه عند الشفق . ومن حذائك تتسرب الحرارة بالتدريج من ثقوبه الضيقة . وترخى المدينة تقطيباتها كسلحفاة عجوز وهى تحدق فيما حولها» .

وينتقل داريل بالكاميرا الى حي اخر قديم هو حي «المنشية» فيصوره قائلا :

«قليل من الاوربيين جاءوا الى هذا القسم من المدينة : الحي الذى يرقد ممتدا خارج حزام الفوانيس الحمراء .. حيث يجلس العجائز المعتاودن على الجلوس وهم يلعبون «النرد» ويدخنون «الاراجيل» التى تصدر عند كل جذب او شـدة لنفس قرقعة صغيرة مثل هديل الحمام . وتصطف «الاراجيل» على حوامل ممتدة مثل البنادق، وياتى كل مدخن بمبسمه الذى يعتز به» .

ثم يصل داريل فى جولته الى الاحياء الراقية فى المدينة فى منطقة الرمل فيقول عنها :

«إن الاحياء الفقيرة فى المدينة البيضاء لا تحمل اية مشابه مع تلك الشوارع الجميلة التى صممها الاجانب . لقد كانت هذه هى القصور التى كان نسيم وجوستين يقيمان فيها الحفلات . وهنا وهناك بيوت هجرها اصحابها إما لشدة فقرهم او لشدة كسلهم . اما ابواب بيوتهم فنصف مغطاة بالزهور ، وتصدر صريرا حين تفتح على حدائق ذات جمال وحشى بلا بستانى ، حيث تجد نافورات من الرخام وتماثيل مهملة تدل على مجد غابر . واذكر العشاق وهم يتسكعون فى الاحياء الفقيرة حزانى مثل الات موسيقية لا تعرف الانسجام ، واذكر قرقعة عربات على طول شاطىء البحر . وهنا كان البحر يعلو ويلطم الرمال وقد اتخذ لون الزئبق حين يتاكسد . وكانت لطمات البحر الايقاعية العميقة بمثابة الخلفية للاحاديث التى تدور بينهم» .

● ...

ـ إن الحاضر الذى نعيش ونتصرف فى إطاره وهم مطلق . إنما نحن اشباح فى الحقيقة . وربما لا يحدث إلا فى نومنا ، او فى احلامنا ، ان نتاكد من هذه الحقيقة .

● هل تعتقد ان التاريخ والسياسة لا يحدثان نتائج كبيرة فى النهاية ؟ .

ـ لا اهمية لهما مطلقا ، لان الزمن مستمر والتاريخ هو التكرار الذى لا نهاية له لاسلوب الحياة الماضية ، وهو سيبدا مرة اخرى فى الغد مادام اليوم قد مر ، ومن ثمة فالذى يؤمن بان الحياة قصيرة ويعتقد فى ذلك على نحو جدى إنما يضيع وقته إذا اعتقد فى التاريخ ، لان عليه عندئذ ان يمسك بكل قبضة ريح حتى يحقق ذاته . وعندئذ ايضا يعنى الموت شيئا بالنسبة له ، هو ان الانسان حين يموت فمعنى ذلك انه استهلك حتى النهاية . ثم ياتى دور القاهره فيستهل داريل حديثه عنها بابيات يذكرها من قصيدة تقول :

نخيل وقبور
قبور ونخيل
ونهر يتدفق مثلما يتدفق الدخان
تحت سماء ثقيلة القوام

ويضيف الى ذلك مباشرة :

«ذلك كان وصفا للقاهرة التى لاشك انها تشبه إناء تسخين بين صحراوين . ولاشك انها فى الصيف جحيم حقيقى مع سماء لامعة مثل مرجل من النحاس الاحمر . واينما ذهبت شعرت بنقص الهواء . فقد كان كفافى يستطيع على الاقل ان يشم البحر ، وكان يستطيع الفرار الى الشاطىء إذا لم يستطع الفرار من مدينته ، ليشم اوربا . اما هنا فلا تستطيع ان تفر إلا الى الصحراء

وتنبعث فى ذاكرته صور العواصف الرملية والخماسين فى ربيع القاهرة ، فيقول :

« قبل شروق الشمس تستحيل سماء الصحراء إلى اللون البني مثل قماش التجليد ، ثم تسود شيئا فشيئا متورمة مثل الكدمات والرضوض ، ثم تصفو في النهاية. وتاتي دوامات الغبار ذى اللون البني والاصفر من الدلتا اشبه بكتلة الغبار الصاعدة من بركان . وعندئذ تحكم المدينة إغلاق خصاص نوافذها ، ولكن الرمال تغزو كل شيء ... ثم تظهر ، كما لو كان بها مس من السحر ، في الملابس التى طال حفظها داخل الصواوين . كما تظهر فى الكتب والصور والملاعق . بل تستقر فى كل مكان مثلما يستقر المسحوق ... ومن وقت لآخر تاتي ريح مجنونة من اعلى فتدير المدينة باسرها معها ، حتى تظن ان كل شيء ، الاشجار والآثار والماذن والناس ، كل ذلك تظنه قد اعتقلته دوامة مهولة . ثم تنسحب العاصفة برقة إلى الصحراء ، إلى حيث ثارت ، مرتدة مرة اخرى إلى سطح الكثبان التى نحتها فنان مجهول الاسم على هيئة امواج ، ببطء ، وبالم ، مثل باب مفتوح نصف فتحة ، يطلع الفجر علينا طاردا الظلام » .

وياتي دور النيل في هذه الرحلة الطريفة من الشمال الى الجنوب فيتحدث عنه داريل حديث خبير بالانهار الكبرى في

العالم : البانجتسي ، الجانج ، الامازون . ومن خلال النيل يبدا داريل فى تذوق الانفتاح او الانفساح الذي افتقدتـــــه في القاهرة . وينقله النيل الى اهم مراكز صناعة الحضارة فى الماضي .. طيبة او الاقصر .. التى يسميها «المركز» ، لاننا فى طيبة ـ على حد قوله ـ نصبح داخل نفوذ عدسة مصر الحارقـة . ويضيف بان قصة وجود مصر قد بدات تحت ضوء الشمس المحرقة ، ثم يتحدث عن العمارة فى المعابد هناك . يقول :

« كثيرا ما ارى ان البلاد تعكس هواجسها فى عمارتها . ويبدو انه قد سيطرت (على المصريين القدماء) فكرة الموت ، هذه الفكرة التى تبدو مركزة حول قيمة الاحتفاظ بالجسد . وعلى اية حال فهذه الحضارة العظيمة التي يشهد عليها هذا الوادي على نحو غير عادي قد انتشرت بوضوح فى جميع ارجاء الشرق الاوسط ، واخضعت القبائل والامصار ، بما فى ذلك « كريـــت » التى اشـــتهرت بالشراسة . » .

ويمضي داريل مع تاريخ مصر متتبعا ما فعله الاغريق الذين حاولوا الحفاظ على التراث المصري الحضاري إلى ان يصل إلى الرومان . فيقول :

« لقد جعلتهم الكتابة وسن القـوانين مخمورين بالقوة ، فدمروا التماثيل في كل مكان . والحق ان «الكرنك» يذكرني دائما بانه « ارض ديزني (ديزني لاند) للطغاة » ، الطغاة الذين لاقوا حتفهم ككل الطغاة إن عاجلا او آجلا . ولا شك ان الصحراء تقترب من حولهم وتحاصرهم ، والصحراء هي المتحف الحقيقي . ولكن الماء موجود دائما ، الماء الذي هو اساس الحياة ، إنه شريان الروح المصريـــة والجهاز العصبي لحياة البلد كله » .

وهنا يصل داريل إلى اعتراف خطير . يقول :

« علي ان اعترف بانني شخص غير مكترث على نحو شنيع . قد يبدو ذلك غريبا ، ولكني شديد اللامبالاة . وحياتي تجري إما فى الكتب وإما فى الاحلام . فاذا لم تسقني الظروف لا اعتقد انني اتحرك من نقطة إلى اخرى . ولو لم يكن الالمان قد ساقوني لما تحركت من اليونان . باللاسف . انظر كم كنت سافتقد ! »

سؤال مهم جدا :

● كيف يحصل الكاتب على روح المكـــان ؟ .

الجواب مختصر وذكي جدا :

ـ اغلق عينيك وابصره . فكلما قويت رؤيتك للمكان قوي نقلك له . وإذا تشوشت الكتابة ، فذلك لانك لم تذكر بما فيه الكفاية . وإذا تشوشت الشخصيات ، فذلك لانك لم تغلق عينيك وتقل : والآن ، ماذا كان لون ربطة عنقه !

سؤال اخير :

● هل يغير مرور الوقت موقفك من الاحداث او المكان ؟ .

ـ المسالة مسالة عرف او اصطلاح . تامل استخدامنا للوقت فى قول الناس : «لم يمر الوقت » ، «مر الوقت كانه لمحة» . إنه نفس الوقت . اما هنا ، فنحن نحس بان الوقت هو وقت النيل . وحين نقول إن وقت النيل يعلو وينخفض فى شرايين الناس ، فنحن نفكر مرة اخرى فى علو مد النيل وهبوطه .

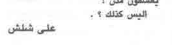
إلى هذا الحد يصل لورنس داريل إلى ختام حديثه الشاعري او شعره المنثور حول معشوقته الاسكندرية . فيقول وهو يودع مشاهد المدينة فى ختام البرنامج :

« ما إن تغرب الشمس عن ارض مصر حتى يتمثل صيف البحر المتوسط امامي بكل زرقته المغناطيسية . وهناك ، فيما وراء خط الافق البنفسجي ، ترقد الاسكندرية ، محتفظة بقبضتها الرقيقة على مشاعري ، من خلال الذكريات التى تعود ببطء إلى مجاهل النسيان : ذكريات الاصدقاء او الحوادث التى مر عليها زمن طويل ـ إن وهم الزمن البطيء يبدا فى القبض عليها (على الذكريات) وتعتيم ملامحها حتى لاتساءل احيانا عما إذا كانت هذه الصفحات تسجل اعمال مخلوقات بشرية حقيقية ام ان هذه ليست قصة بضعة اشياء غير ذات حياة رسبت الدراما حولها اعني اشياء مثل رقعة سوداء ، سلسلة ساعة ، خاتمي زواج مفقودين .. » .

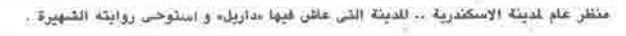
وبهذا ينتهي حديث صاحب رباعية الاسكندرية عن المدينة التى الهمته عمله الروائي الرئيسي ، وصنعت صيته ، وشجعته على الاستمرار فى حرفة الكتابة . وربما شجعنا حديثه هذا على القول بان وراء كل كاتب عظيم مدينة .

وربما يصـــدق هذا ايضا على كتاب آخرين عظماء من امثال بلزاك الذي عشق باريس ، وديكنز الذي عشق لندن ، ونجيب محفوظ الذي عشق القاهرة ، وللكتـــاب احيانا فيما يعشقون مدن !

اليس كذلك ؟ .



علي شلش



منظر عام لمدينة الاسكندرية .. المدينة التى عاش فيها «داريل» و استوحى روايته الشهيرة .



شاب نضج قبل الأوان ومات في العنفوان

بقلم : حامد بدر

ذلك الشاعر هو صالح بن علي الشرنوبى ، من بلدة بلطيم التابعة لمحافظة كفر الشيخ بمصر ، والواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط

ولد صالح فى السادس والعشرين من شهر مايو سنة الف وتسعمائة وأربع وعشرين . وتوفى فى السابع عشر من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخمسين . أى أن الشاعر مات وعمره سبع وعشرون سنة . وفى ذلك العمر القصير قاسى الكثير من المحن والآلام . وفى خلال الفترة من سنة ألف وتسعمائه وأربع وأربعين حتى وفاته سنة الف وتسعمائة واحدى وخمسين ، نظم ديواناً ضخماً من الشعر القوى الرائع ، يضم أحد عشر جزءاً هى : (أصداف الشاطىء) و (الأمواج) و (نسمات وأعاصير) و (فى موكب الحرمان) و (وطنيات) و (أقاصيص فى الحب والحياة) و (أشعار ورسوم) و (ظلال وألوان) وجزءان بلا عنوان ، والجزء الحادى عشر والأخير (مع الريح) .

تمثل هذه الأجزاء الاحد عشر (ديوان صالح الشرنوبى) تحقيق الدكتـــــور عبد الحى دياب ، ومراجعة الدكتور احمد كمال زكى . طبع ونشر دار الكاتب العربى بالقاهرة وقد قال الدكتور احمد كمال زكى فى تقديمه للديوان :

« كان الشاعر إنساناً فذاً ، وكان فناناً لا يشغل نفسه باكثر من انه يريد ان يقول ، وسيقول رغم كل شىء ، وسيسمع الناس منه اليوم او غداً ، ولما مات بكاه عارفوه ، وقال بعض النقاد : إنه لو عاش لبز اعلام الشعر قاطبة » .

ولا أحسبنى مسرفاً إذا أيدت هذا الرأى ولست بصددمقارنة بين صالح وشوقى مثلا وان كنت استطيع أن اقول : إن المقارنة

لا تضيف زيادة إلى وزن صالح ، ولا تنقص من وزن شوقى . على انه لو جاز لنا ان نقارن بينهما فلابد ان ناخذ فى الاعتبار ان صالحاً عاش عمره القصير فى شظف وحرب مع الحياة . بينما عاش شوقى حياته الطويلة العريضة فى ترف وسلام .

واعتقد ان شوقى لو ادرك صالحاً لأنصفه ، وشهد له بالعبقرية المبكرة ، فقد كان شوقى رحمه الله لا يضن بالتقدير على مستحقيه شباباً او شيوخاً . كذلك كان صالح رحمه الله وفياً ومحباً لشوقى كل الوفاء والحب ، فنظم اصدق الشعر فى ذكراه .

نشا الشاعر فى بيت عريق فى الكرم ، فيه للضيوف طابق خاص . وكان والده الشيخ على الشرنوبى تاجر الاسماك ـ رحمه الله ـ رجلا متديناً متمسكاً بتقاليد الأسرة المصرية الاصيلة . كذلك كانت والدته ـ رحمها الله ـ بل اشتهرت اسرته كلها بالتدين والتقوى .

حفظ صالح القران الكريم فى العاشرة من عمره ، وتلقى العلم بالمعاهد الازهرية حتى حصل على الشهادة الثانوية من معهد طنطا الدينى فى عام الف وتسعمائة وسبعة واربعين . ثم اراد الالتحاق بكلية دار العلوم فلم يوفق ، فدخل كلية اصول الدين ولم يستمر فيها ، ثم دخل كلية الشريعة ولم يستمر فيها ايضاً .

كان ينظم الشعر باقتدار عجيب ، وقد صور آلامه فى قصيدة عنوانها (حياتى) قال فيها :

الحمد الله على ما قضى
والشكر لله على ما امر
فما اظن الأرض تحوى فتى
وجوده قد كان احدى الكبر
مثل فتى يدعونه شاعراً
وما بغير الموت يوماً شعر
حياته ليل دميم الرؤى
مروع الاشباح كابى الصور
تفترس الآلام احلامه
وترتوى من دمها المنهمر
احمق منه وهو يبنى المنى
تلك المنى إذ تتحدى القدر
يبكى بلا دمع وفى قلبه
مايغرق الدنيا إذا ماانفجر
وربما زان له ضعفه
ان يشتكى الامه للبشر
لكنه يخشى مواساتهم
فى محنة .. الصبر فيها انتحر

وقد كانت هذه الموهبة عند صالح اقوى من كل شىء حوله ، فهو فى حالة شرود شبه دائم ، مما جعل اسرته ترتاب فى سلامة عقله . وبتوصية من طبيب الأسرة دخل صالح مستشفى الامراض العقلية ، ثم خرج من المستشفى بعد ان تبين انه عاقل تماما ! ومن هنا نعرف بداية القسر الذى وقع على شاعرنا العبقرى فاحاط حياته بعوامل التعقيد والتشاؤم .

ويقال ان سبب الشرود الذى اصاب الشاعر هو تاثير المخدرات ، وربما لجا إلى هذه السموم عندما ضاق بالحياة وضاقت به . ويبدو انه كان فى حيرة تتنازعه عوامل الشر والخير ، فقد جنح اخيراً الى التصوف باحساس صادق ، وهم باحراق شعره ، لولا ان والدته التى كانت تعرف قيمة هذا الشعر عنده منعته ، واخفت مخطوطاته فانقذتها من الحرق . وكان يقول : اللهم إنى تبت إليك من ذنوب انت تعلمها وقدرتها وكانت ، فاجعلها كان لم تكن لانى اريدها ان لا تكون ، وانت ربى وانا عبدك .

اشتغل صالح مدرساً فى مدرسة بنات بلطيم الابتدائية ، ثم تركها وذهب إلى القاهرة ، وفيها التقى باصحاب له ، ولقى صعوبات فى الرزق واسبابه ، وكان يعيش على معونات من ابيه ، ومن تاليف اغان للأفلام لا عن رضا بل للضرورة ، لانه كان يؤثر الشعر ، ولا يحفل بالزجل .

حاول الزواج من فتاة ببلدته بلطيم فلم يوفق ، وراح يطلب العيش فى القاهرة ، ولكن سوء الحظ كان يرافقه . وقد كف والده عن مساعدته بالمال ليرغمه على العودة إلى بلطيم والعمل بالتدريس كما كان . ولكن صالحاً راى انه لا يستطيع العودة إلى بلدته بعد ان نبذته ورفضت تزويجه . وهو انيق وسيم لم يقلل من وسامته شيء سوى ان في وجهه بثوراً زعم انها سبب نفور الفتيات منه فهجا وجهه قائلا :

لك يا وجهي التعيس هجائي
فى صباحي ومغربي وعشائى
انت يامتحف الدمامة والقبح
تنزهت عن صفات البهاء
إننى كلما لقيت فتاة
صفعتني بالنظرة الشزراء

وكان لابد من أن يعمل ليعيش فعاد إلى التدريس مرة اخرى بمدرسة اجنبية بالقاهرة ، ولكنه فصل منها بعد شهور ، ولما لم يقدر على دفع أجرة غرفة فوق سطح بيت لم يجد بدا من ان يحمل متاعه المتواضع ويلجا إلى جبل المقطم ، أو ما سماه الجبل المضياف ، فياوى إلى مغارة بجوار مقابر الغفير ، وعلى مدى شهرين يعود كل مساء ليرقد فى احضان الجبل . وفى ذلك يقول :

إلى هنا ياجنة الحقير
اكل جوعي واضم نبري
وليس لي فى الأرض من نصير
إلا ضميري آه من ضميرى
البسني ممزق الستور
وجاء بي حيا إلى القبور
اقرا فى ظلامها مصيري
واعرف الغاية من مسيري
من احتراق الامل الاخير
وفرقة الصاحب والعشير

وعندما تنكر له صديق فى محنته قال فى قصيدة عنوانها (الصديق) :

ذهب الصدق والصديق فدنيا
الناس دنيا الذئاب والاغنام
كم صديق محضته الود صرفاً
كان اقسى علي من ايامي
وصديق سقيته من حناني
فسقاني كؤوس موت زؤام
وصديق حميته من ضياع
فبنى صرح مجده بحطامي

ورغم هذه النظرة التشاؤمية إلى الاصدقاء يحدث ما يثبت له ان الدنيا لم تقفر من الوفاء . ويعرف احد اصحابه انه ياوي إلى مغارة فى الجبل فيذهب إليه ويقنعه بالسكن معه فى بدروم لم يختلف عن كهف الجبل إلا فى انه سرداب مظلم تحت الأرض .

ويعلم الشاعر الانسان المرحوم كامل الشناوي ان صالحاً لا يجد عملا فيلحقه بعمل فى صحيفة الأهرام .

وقبل وفاته بيومين قال لصاحبه الذى يسكن معه فى البدروم المظلم : إنني ذاهب إلى بلطيم ومعي إحساس غريب اننى لن اعود .

ويذهب صالح إلى بلطيم مدفوعا بشوق شديد إلى أمه التى استقبلته بشوق أشد .. وكان اللقاء الاخير الذى خرج بعده إلى مكان حبيب له بجوار بحيرة البرلس .

وعلى شريط قطار الدلتا جلس مستسلماً لتاملاته ، غارقاً فى شروده .. إلى أن جاء القطار الذى دهمه وانهى حياته !

وانطوت صفحة الشقاء ، ولكن صفحات الخلود لن تنطوي ابداً .

رحم الله الشاعر الذى نضج قبل الأوان ومات فى العنفوان .

حامد بدر

في هذه الدراسة القصيرة لشعر الشاعر السوداني الراحل محمد المهدي المجذوب ، في ديوانه «نار المجاذيب» .. لم ألق بالا الى التصنيف الزمني للقصائد ، بل عنيت بمتابعة وإيضاح الايقاع الداخلي لرؤيا الشاعر ، التي جوهرها توتر بين قطبي البراءة والتجربة ، اتخذ عدة اشكال تجسدت في شكل رمزي هيكله قصة خلق الانسان من حما سرت فيه الروح ، ثم سقوطه في الزمن ، ثم إحساسه بغربته عن وطنه الروحي ثم محاولته استعادة براءته بمواجهته الشجاعة لجحيمه الخاص ، وجعله الندم محوراً يعود به الزمن ، والذات الى جذورهما وينبوعهما الأول .

رحلة فنية وفكرية مع شاعر سوداني كبير

البراءة والتجربة في «نار المجاذيب»

بقلم : الدكتور محمد عبد الحي

وهَمٌّ وعيشي كلــه وَهَــمُ ... وتعلــة لكنهــا حلــمُ
كــم طُــلَّ فيها-لا تُنَال ـ دَمٌ ... وهــوًى تفتّح فــي ثــرى إرمٍ

ارم ذات العماد ـ كما تسمى في القرآن ـ هي الروح في الاساطير العربية مبنية على حافة الفردوس ، ويقال انها مازالت في مكان ما في الصحراء ولكنها خافية عن اعين البشر ـ ويراها بعين بصيرته من تطهرت روحه من ادران الحياة وسخامها .

ومحمد المهدي المجذوب الذي تفتح في ثرى «ارم» هو حال النفس الشاعرة في براءتها الأولى وقد وقفت كما يقول في قصيدته «زهد» :

عريانــة كمحيــا النبــع مقتنصــا
عُــرْيَ الازاهــر لم تحفل بقطاع

وذلك قبل ان نسقط في حمى التجربة حيث الاحساس (بالسجن) : (انا السجين وكم حاولت من هرب) . وللتجربة هذي ابعاد من الفوضى والرعب :

هوة في الزمــان لا يعــرف
الصبح مداهــا ولا تطيق الدجون
حيث لا تعصــف الريــاح ولكن
يعصف الخوف والردى والجنون

الشاعر تجسيداً لثنائية حادة في الذات وتعبيراً عن محاولة دائبة لتحقيق الحلم المتفتح خارج مجال التوتر بين الحرية والبراءة وبين الضرورة والتجربة . فمصدر الشعر شق كبير في نفس الشاعر :

وقــد اهــب الآفــاق نفسي وانثني
باخــرى متى تصبح على الأرض تفسد

تتخذ هذه الرؤيا المنقسمة على نفسها عدة اشكال : فهي قد تتخذ شكلا ذاتيا ـ او تاريخا فرديا ـ محضا ، يصبح فيه الصبا الأول او الطفولة ، في براءة الاولى بينما تتمكن التجربة من نوازع الشهوة والشك المصاحبة لنمو الوعي بالذات . فماضي الروح طاهر نقي (بالمفهوم الديني) ملتئم التئاما عضويا بالعالم ـ إنه كنز الروح المدفون في اعماق الزمن :

خدين الصبا اين الليالــي مضيئة
هنالك في كنــز لــدى الامس مقفــل
اتذكرُ نــارا اوقــدت عنــد خلــوة
عشــاء تغنــي بالكتــاب المنــزل
هنالك اوطانــي وبدلــت جيــرة
لهم كل يوم حالــة مــن تبــدل

ويظن الشاعر ان خلاصه في استرجاع الصبا وبراءته كما في قصيدته . «الكون الفاسد» :

اه لو يرجــع الصبــا مــن جديــد
فهــو حسبــي مــن الهــوى والرشاد
رف لــي بسمــة واعرض كالبــرق
فــزاد الظــلام عمــق ســواد

واحيانا قد تتخذ البراءة والتجربة شكلا اجتماعيا رافضا لمظاهر التقدم الحديثة ، وطامحا لحياة ريفية وادعة . ففي قصيدة من «نافذة القطار» يجعل من القطار رمزاً للتقدم العصري الذي يعتدي على براءة الطبيعة ويشرخ الصلة بين الانسان وبينها ـ فالقطار المشيح (عبست فوقه الذرى .. والجلاميد حانقات) عليه وهو (مارد اتى بافعوان) المدينة ليسمم ـ كما تستنتج ـ براءة الطبيعة الريفية . إنه يجيء : (صارخا ياكل الطريق وينسلح بكل افق



محمد المهدى المجذوب .. شعره معين حكمة ونور وجمال

دخانه) وقد (رمقته الذرى كما يرمق الصياد وحشا جفوله واكتنانه) ، وهو فى (مرة ينهب العيون فلم تعلق بسدر ولا المت ببانه) ... وفى القطار ـ رمز الحياة الحديثة ـ يمتلىء الشاعر بحنين الى الايقاع القديم قبل ان تبدأ فى قعقعة التحديث التى فصمت وشائج القربى بين الانسان والعناصر الاولى العالمة :

اين من خطفة الجمال وحاد
مد فى المجهل السحيق عنانه
يرمق الثاقبات كالودع المنبى
ويرتاد غيبها بالكهانه
واحد عيشه لدى المهمه الكز
رضيا وفى اخضرار البطانه
ليت لى رجعة الى ذلك العهد
أماشى على اختيار زمانه
ريثه امهل القلوب فللنجو
ى وللود آنة بعد آنه
وفؤادى تشوق وسع الكو
ن وعينى تطلع واستبانه

ويتسع هذا الشكل الاجتماعى ليصبح رفضا للمدنية وتقمصا لروح بدائى لم تفسد براءته بعد ـ فالشاعر يرى احيانا فى النزوح من المدينة الى اعماق الغابة «العذراء» تحررا نفسيا من الذات التى افسدها المجتمع الحديث المعقد ، واستعادة للبراءة طابعها البساطة فى العيش والتحلل من الفروض الاجتماعية وقيودها الاخلاقية. فالاخلاق» و «المجتمع» و «القوانين» امر صعب ، فيه الدين وفيه العدل ، نقرأ فى قصيدة (انطلاق) ، «رومانتيكى» محض :

ويوم «التنتج» حيانى خيال
غريب ليس يعرفنى حميم
تعرّى ليس تحرجه عيون
طليقا فى شبيبته يحوم
تخطّر فى محاسنه بريئا
ينسّى العار منظره الوسيم
فيا ليل الجنوب وانت حان
خرائده اللذائذ لا النجوم
نسيت بك العواصم قاسيات
وفى حاناتها رخم وبوم

وفى قصيدة (بين المالح وبحر الغزال) يؤكد هذا المعنى :

تركت بلادا فى الجلابيب عوما
الى بلد فيه الثياب قلائد
ولا يعرفون العار والثوب خادعا
هو العار كم تخفى لديه المكائد

ويتخذ شكل الانفصام بين الفعل والفكر او المظهر والمخبر او الظاهر والباطن . فالشاعر يرى احيانا ان هذا الفصام جاء نتيجة لابتعاد الانسان عن طفولته على الصعيدين الفردى والاجتماعى . مثلا ، فى قصيدة (انطلاق) التى سبقت الاشارة اليها يقول :

عييت الناس قد لبسوا قلوبا
كاعينهم تنم بما تروم
فبات الناس اطفالا وراحوا
ولم يخرج تطلعهم كتوم

وفى قصيدة (ملامتى) يعبر عن الفصام بين براءة نبع الفكر الباطنى ، وقشرة الفعل الظاهر :

انا شيخ ملامتى ومهما
قال فىّ العباد فهى اجور

والملامتية (هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما فى بطونهم اثر البتة (وهنا) فرق بين الملامتى والصوفى) . ولكن محمد المهدى المجذوب شاعر ، اولا ، وليس بصوفى وملامتى، وان كان بينه وبين المتصوفة او الملامتية وشائج ـ واعلانه انه شيخ ملامتى يجب ان يفهم فى نطاق انفصامه عن البراءة والتجربة : فهو كما فى قصيدته (العرّافة) يؤكد ان له قلبا بريئا ، وفى قصيدة اخرى يعبر عن ذلك تعبيرا جميلا :

وفى الضلوع مقاصير محجبة
فاسرب اليها وفيها بهجة ودد
وانت لؤلؤة يا قلب عامرة
للنور والطهر فى ارجائها ابد

ـ ٢ ـ

هذه الأشكال الثلاثة تتبلور كلها فى شكل متسع واحد : البراءة والتجربة ، وتتجمع فى هيكل رمزى اكبر يخرج بها من النطاق الفردى الى النطاق الانسانى العام، ويمنحها عمقا دينيا متميزا . هذا الهيكل الرمزى المتسع يستمد عناصره من الشكل الدينى لتاريخ الانسان بداءة فى الفردوس وسقوطا منها بعد ان اكل فاكهة الشجرة المحرمة ـ ثم متابا وأملا تجسد فى الانبياء ولكن ليس هذا اكثر من هيكل رمزى عام . اما الاسلوب الخاص والملامح المتميزة التى يمنحها الشاعر لهذا الهيكل كى يعبر عن دقائق تجربته فى خصوصيتها وتمييزها ـ فهذا ما ساحاول اظهاره فيما سياتى :

الشاعر يرى فى السقوط من الفردوس وتجربة الحياة والخطيئة مظاهر متلازمة لفعل واحد :

ويا رب هذا الوحل فى النفس فائح
تنفسته فى جنة وخبال
وكيف نجائى منه والروح قطرة
عليها جبال اوقرت بجبال
وإنى كاهل النار عضوا لهيبها
ومن فوقهم روض الفرادس حال

البراءة والتجربة في "نار المجاذيب"

وهكذا تصبح الحياة مجالا يتكرر فيها فعل السقوط الاول ورمزاه الاولان : التفاحة والحية

وهنا يكمن ازدواج معنى الحيَاة عند الشاعر . فمن ناحية اخرى هى هدية الله للانسان كي يكشف فيها نفسه :

لنا وهَبَ الدنيا جميعاً تحيةً
لذائذها. صبحٌ على الحبِّ خالدُ

فالشاعر لا يرفض الحياة بل يعيشها ـ كما يقول ـ (فى شهوة لا تنطفىء) (وهو عشقى الحياة من فضلك الغمر وحرص على البقاء تليد) . ومن قصيدته (الفراشة) (اين الفرار من الحياة وسحرها نفسى بنافح عطرها يتروح) . ويمجد مظاهرها الخلاقة فى البشر والطبيعة . فدم (المخاض) : (حمرة الشفق ـ مهد فجر منعم) والوليدة نجمة حياة (جحدت ظلمة الابد) والسحب على التلال : (مواكب عرس) والارض تستلقى تحت البروق راعشة كالحسناء مذعنة للمس . وكل شيء يتوهج فى خدور الإشتهاء ، ومهرجان الخصوبة . هذا التمجيد للحياة اثار اجمل الشعر النابع من كل الجسد المغتبط بتدفق الأشياء حوله وروائحها والوانها وكثافتها . انه لا يفكر فى الحياة فحسب ، بل يحس بها إحساسا عميقا يستوفز كل جسده :

زهرة فى جُنوبها العسلُ
الخفاقُ روض بقطرةٍ مستكنٌ
نَفَسى عبٌّ فيه من دمِى
المحرورِ نفحٌ اشمُّه واجَنُّ
فى حَشَاى المشوقِ سحُبٌ
ولا تَهمى بارضٍ تخاف لمعَ البروقِ
جنةٌ حلوةُ الثمارِ بها الغدرانُ
تَغْنَى عن السحابِ الدَّفُوقِ
يشتهى قطرةً من العسلَ
المخبوءِ نحلٌ مُنَوِّرٌ فى عروقى
وحشَاىَ المشوقُ سُحُبٌ من الريح
بها الشوقُ صرخةٌ من غَرِيقِ

ولكن هذا التمجيد للحياة لا ينفى التناقض الذى يرى فيه جوهر الوجود الانسانى بعد انفصال هذا الوجود عن زمانه الفردوس الاول . ان كل هذا الجمال الى زوال بعد ان سقط عن خلود بدايته :

حبب هذه الحياة وعطر
وخيال يريد وصل خيال
وصدى للنواح فى الأبد الخالى
ورثناه عن قلوب الأوال

الحياة مثل (الحبب) ، و (العطر) و (الخيال) تلمع برهة بجمال اخاذ ثم تتلاشى ـ لا يحميها جمالها من تفتق بذرة العدم الكامنة فى وجودها الزمانى . واهتمام الشاعر بالتصوير الدقيق للاشياء محاولة منه لمنح الاشياء خلوداً فى الشعر ، فقدته فى وجود حياتها .

الأشياء ـ والحياة كلها ـ تضمحل وتتلاشى مع تلاشى لحظات الزمن ـ الاحساس بالزمان عنده ملازم للاحساس بالعدم . وهكذا تصبح الشمس ـ المصدر الأسطورى للخصب (العنكبوت على هوة ليل نسيجها يتتالى) إذ تسقط الايام كل مساء فى عدم سحيق .

هو العيش خدن الموت والحب خدعة
فهل تعشق الموتى القبورُ الكوالحُ
وهيهات شَابَ القلبُ فى كل نبضة
ماتمٌ جسم كل ما فيه نائح

ولهذا فهو لا يستطيع ان ينعم بالحياة دون توجس فاللذة فيها مشوبة بالالم دائما :

فساعتى وشجانى اننى بشرٌ
اشجج بالالم الحراق إمتاعى

(وما الشوق إلا حرقة النفس فاتها (...) خلود) .

ونتساءل عن مصدر هذا التناقض بين عناصر الوجود الانسانى ، والاجابة التى نستخلصها من القصائد تظهر لنا الجوهر الدينى لرؤيا الشاعر ولتفسيره الرمزى للوجود .

والخطوط العامة لما اعنيه بالتفسير الدينى الرمزى للوجود الانسانى تتلخص فى ان الانسان يعيش فى عالمين فى نفس الوقت عالم الأبد ، وعالم الزمان ... فالانسان ينتمى الى الطبيعة والتاريخ ولكنه يعلو عليهما ويمتد وجوده وراءهما

الروح لله من انواره ينَعَتْ
فنورت اعينا سوداً واحداقا

ولكنه يعرف ان هذه البراءة مشبوبة ، فهو يتساءل ويجيب :

أاترك سر الدود للطين إننى
شريكٌ له كل على الطين فارحُ

محمد المهدى المجذوب لا يحس انه يعيش مجالى البراءة والتجربة فى نفس الوقت ـ بل يعيش انفصامها و «غيرتيهما» . إحساسه «بالثنائية» بين عالم الفردوس وعالم السقوط هو مصدر ما يمكن ان نسميه «بالغربة الميتافيزيقية» فى (نار المجاذيب) إنها غربة الانفصال عن البراءة الأولى .

رب ما اعذب النداء بيا
رب ومعناك فى الضمير حيالى
نفحة داعبت كرى الظما المسنو
ن يسعى اليك بعد انفصال
هى جازت بادم جنة الخلدَ
ضراراً لجنة فى زوال

ومن قصيدته (غريب) : (وطنى اين ليس فى شاطىء النيل فلي غيره ينفسى نيل) حنينه لذلك الوطن الذى هو حالة من «الوجود العينى» تعيش الذات باحساس عميق بالبراءة والهوى المتفتح على ضفاف الينبوع الأول .

الشاعر يعرف ان جذوره فى ماء ، وان امله الخالد ان يعود بالنفس الى جذورها فتلتئم :

انت الغريب على الدنيا باجمعها
على فؤادك لا يبلوك دقَّاقا
سيغمض الموت اجفانى وافتحها
طفلا يعود الى الجنات مشتاقا
مثواى جنة عدْن سوف يفرحها
عودى انَفُضُ سترَ البين اخلاقا

وايضاً :

قربى للخيال يا جنة
الخلد وعودا ممضة كالعوادى
اظماتْنا ونحن نعثر بالايام
مثلَ الرياح بالاطواد

انها رحلة يستدير فيها الزمن الى بدايته . ولكن الشاعر الذى يعيش فى عصرنا الحديث يعرف أن رحلته أصعب من رحلة الانسان فى عصور النبوة حيث كانت يد الله تتدخل مباشرة لتطهير الارض من طغيان الدرن.فى قصيدة (الطوفان) تعبير عن الولادة الدائمة للحياة خلال الانبياء فى زمن مضى ، ورفض الحلول الحديثة التى ترى فى التقدم العلمى انقاذاً للبشرية لان هذه الحلول لاتقتصر على معضلات الوجود وانما على معضلات الطبيعة :

ـ ٣ ـ

اذن ،كيف يرى الشاعر خلاصه وتطهره من عناصر الخطيئة التى تشج وجوده وتمسخه ؟

هناك الشعر .. وربما فيه وسيلته الوحيدة لادراك الحلم الغارق فى الاعماق ، فالشعر ليس هدفه بقدر ما هو وسيلته لاكتشاف الذات وتطهيرها ، وسلمه الذى يرقى به الى مكامن جذوره .. الشعر عند محمد المهدى المجذوب اعتراف او تطهر من دمغة الخطيئة بالاعتراف بها ، وانتصار شجاع على النفس الامارة بالسوء بمواجهتها بجحيمها الخاص .

وفي جبهتي وشم ولم اخف لونه
ورحت به من دون ثوبي ارتدي
دخان باعراقي وجلدي ازاقه
دوائرَ ضمت كل سهم مسدد
حملت صليبا من سقامي رامته
وعدت باوزاري الى باب مسجد

هذه المقدرة على مواجهة الجحيم الداخلى تجربة تقف فيها الذات وحدها امام مصيرها دون لجوء الى نهنهة الجرح او إخفائه او تجاهله .. إنها معاناة فيها الجريح وفيها الجارح شخص واحد .

فى قصيدة (النار والشعر) يؤكد انه يطهر جرحه بالنار ولايخفيه عنها . فالنار التى احرقت الشعر تصبح رمزا للنار التى تتطهر فيها الروح .

حملت سرِّىَ مفضوحا اكاتمه
جرحا بسيل فطهّرنى بغفران
امنت بالله نفسى لست املكها
وما نسيت وقد همّت بعصيان
عَيْشى الندامة مشغوفا بصحبتها
مع الذنوب وهذا العيش اعيانى
يارب حسبىَ من شجو انوء به
انى غريب وما فارقت اوطانى
نار تَاكّلُ فى نار وما وَلَدَتْ
الا رمادَ حزازات واشجان
... ...
كهل ينادم اشعارا حوت بها
نارا لديك فقد ضيعت ندمانى

الشعر الذى يفضح جرح الروح ويقر بالوحل الفائح من النفس وقد عضت لهيب النار ، (عبء على النفس) فان فيه ضوءا حارقا يقع على الاعماق ويكشفها . يقول انه كلما ناء بشعر يستنزف القلب تملكه (خوف من الشعر فادح) ، فكرة الندم هى محور ذهن الشاعر . والندم ـ بالمفهوم الدينى ـ اقرار بالذات اسدلت الاستار بينها وبين الالوهة . وهذا الاقرار ـ او الاعتراف ـ بداية للتطهر والسعي للحرية التى هى ايضا للبراءة من اوضار الخطيئة فالندم هو نقطة دوران الزمان الذاتى فى رحلة العودة للجذور فى الوجود الانقى . وفى قصائد (نار المجاذيب) ، نجد تصويرا دقيقا لتجارب حسية هو بمثابة الاعتراف بها ، فمن خلالها يستثير نوازع الندم عنها :

صليت بين مآثمى ومدامعي
تبكى علىَّ وكل ذنب مذبَحُ
وحملت قبر ندامة فى منكبٍ
يَبِس على اثقاله يترنح
يارب يا نور العيون وانسها
حتّامَ يحفزنى المتابُ واصبح
وعقمت رغم هدايةٍ صاحبتها
طفلا وقلبىَ عن نصيح يجمح
فسمل عيونى بل عيون مشاعرى
اعراسها بخواطرى تتصيح

فكرة (الندم) هى الايقاع الرئيسى فى حركة الروح المفلتة للبراءة رغم شبكة التجربة :

وكم ذنب يخادعنى شذاه
صحبت له الندامة فى حياتى

واخرى :

واوقد عقلىَ مصباحَه
بصيح بقلبىَ فى المآثم
فيا ويح عقلىَ من راهب
اخوه فؤادىَ لم يندمِ

من (الخلود) و (الذنوب) ، يقف الانسان (مريضا) يامل (الخلاص) :

هيهات اخلد والذنوب عتية
خرقاء تبرق فى حشاى وتزأرُ
وانا المريض فكيف اخلص ناجيا
والنفس فى قفص المتاب تنمّرُ

ومثال اخر :

اطهر جسمى اسال الله رحمة
لقلب باوضارِ الاماني مجهد
ولا عدت ذنبى وهو ذنب « منافق »
متى ما رانى نادمَ النفس يسجد
واصبحت فى اعماق روحى مرارةٌ
لها زبَدٌ ان تصبرِ النفسُ يخمُدِ
والندم والاعتراف مطهران لفعل تطهري واحد :

رب ضيعت فى الذنوب اماسىَّ
وصبح التقى لهن طريد
ليس عذرى من المآثم اقرارى
ولكنه العِزامُ البعيدُ

– ٤ –

بعد الاعتراف والندم تقف النفس كالارض البوار جرداء فى انتظار اخضرار وازدهار لا ياتيانها إلا بغفران هو هبةٌ وفيض من الملأ القدسى للنفس المتفتحة نحو السماء . فى قصيدة (سلوى) يقول : (انا الآن يابس) :

اضلعي كالفلاة فى السُّعُر
الضحيان قد ترتجى فلاة بلالا
اكلت نبتَها واخلفها الغيثُ
ولامت بها الرمالُ الرمالا
وترامت على السرابِ لتستجديه
رِيًّا وهل تمنّت محالا
سكرت من عذابها فتظنّنته
بَرُوداً على يديها زُلالا
... ...
وارى شهوة الكمال تزيد المرء
عجزا يردُّه عنه الكمالا

وها هو ذا الشاعر يدير قلبه نحو الاله الرحمن الرحيم مناجيا :

بين عينى حسن خلقك ياربى
وبين الضلوع قلبٌ عميدُ
اخطا الناس ما إرادتك الكبرى
شقاء العقول وهى قيودُ
رب عذرى اليك شكرى وما جحدُ
النعمة الا مخيب او كنودُ
... ...
انت سقيتنى فلم تظما النفس
ويناى عن الخيال الخلود
غير انى احسنت ظنى بالله
وخلف التراب بعث جديد

اذن ، ليس لديه غير الانتظار والايمان ، ففيهما قبول وراحة للنفس التى احهدها الظما والشوق فى توترها بين قطبى البراءة والتجربة . وبهذا الاخلاء الاخير الى القد، الالهى بعد ان انفتحت الذات متطهرة لاستقباله ، ينتهى ديوان (نار المجاذيب) وبعد ان ادى الشعر مهمته لم يعد الا (قوقعه فارغة) عليها خطوط ونقوش والوان مما تركت حركة اصطخاب الروح فى الاعماق (لقد كانت فى اعماق هذا البحر المائج ـ ومن حركته فى الاعماق اتخذت شكلها ـ واتخذت حيلتها) .

إنه الآن (ساكن وفى سكونى خواء متعب ـ وذكرى غامضة) لاتوتر الآن . وانما انتظار ساكن لشيء يعرف انه سيحدث . وهو يحيا حياته العادية فى هذا الانتظار الساكن . وفى مكان ما من وجدانه يتفتح ـ رويدا رويدا ـ بذور الشعر الجديد . لقد لزم داره كما يقول فى قصيدة العودة ـ اخر قصائد الديوان ـ وباطفاله (امنت) نفسه الحزينة (من هم وبلبال) ـ وقد هجر (سراب الشعر) ـ لان الشعر كان تعبيرا عن ظما لايرتوى وتشوق الى وطن بعيد لاينال ، وزلفى لفردوس مفقود وتطهرا من خطيئة الذات المغامرة ـ ولكنه ادرك الآن ان ملكوت الله يتجلى فى كل شيء ، وان الحياة البشرية العادية تضم فى خلاياها براءة ذلك الملكوت فهى جزء منه . وقد ظفرت نفسه الآن بوطنها (حلو البشائر) فى داره واطفاله ـ ويختتم بالحمد والشكر .

إن رؤيا محمد المهدى المجذوب ولدت من مشيمة التراث الدينى للشعر فى السودان ، واضافت لهذا التراث ووسعت من مجاله التعبيرى . وهى معين حكمة ونور وجمال .، .

د. محمد عبد الحى – الخرطوم

قصــــة



نشيد آخر الليل

بقلم: عبد الله الطوخي

كنت اظن انى الوحيد الخارج من بيته فى تلك الساعة المتاخرة من الليل ، او المبكرة جداً فى الصباح .. تلك الساعة الفاصلة او الواصلة بين الليل والنهار .. هى ساعة النوم العميق . لكنى وقت النوم احب الاستيقاظ .. استمتع بحريتى الكاملة فى مدينتى .. استطيع ان افعل كل شىء إلا ان اخرج او اصيح .. ذلك سوف يزعج راحة النيــــام ، وحريتى لا يصح ان تكون عــــذابا للآخرين .. الف شكل وشكل للحرية ، فى تلك الساعة المتاخرة من الليل ، او المبكرة جداً من الصباح : ان اسمع وقع خطواتى على اسفلت الشارع ترن فى ابهاء الليل .. اننى فى النهار نادراً ما اسمع صوت نفسى .. مدينتى بالنهار ماكينة ذات صوت رهيب ياكل ويهضم كل الاصوات .

بؤس كبير ان يحيا الانسان دون ان يسمع صوت نفسه .. ومن لا يسمع صوت نفســـه ، هــل يمكنـــه ان يسمع صوت الآخرين ؟!

خرجت إذن من بيتى فى تلك الساعة الرائعة الفريدة من الليل كى اتفرد واسمع صوت نفسى . كنت اظن اننى السائر الوحيد لكنى فوجئت بعد قليل ، بصوت خطوات اخرى يختلط بصوت خطواتى . توقفت منزعجا ونظرت . كان يمشى على نفس الرصيف الذى اسير عليه .. خلفى بمسافة غير قصيرة ، لكن عمق السكون اوصل خطواته الى إذنى ، لم استطع ان اميز فيه غير انه يرتدى بنطلونا وقميصا ، ومتوسط العود ... ويسير على مهل بما يوحى انه يتمشى بغير هدف .. او من يدرى سر خروجه فى تلك الساعة ؟!

للحق اقول إن منظره من الوهلة الاولى ضايقنى .. إننى لست منفرداً فى ليل المدينة . وإذن فنشيد تفردى لن يكون .

يحيا الناس احيانا فترة من حياتهم بفعل او بسحر بعض كلمات . وانا فى تلك الفترة من حياتى كان قد سيطر على شعار قراته لكاتب نرويجى عظيم .. هو «هنريك إبسن» الرجل القوى .. هو الرجل الوحيد !

اقول سيطر على هذا الشعار على الفور كبذرة وجدت ارضها فراحت تشق طريقها فى الباطن ثم استكنت وراحت تغلف نفسها بكل عناصر الأرض : الرجل القوى ، هو الانسان الوحيد !

من اجل هذا خرجت من بيتى فى تلك اللحظة البعيدة من الليل .. القريبة من الفجر ، ظانا اننى وحدى .. اسمع صوت نفسى ، على ايقاع خطى قدمى ..

ها انا لست وحدى .. والمزعج اكثر ان خطواته ، رغم انه كان يمشى على مهل ، كانت تحدث رنينا رتيبا فى صمت الليل . ولان الشارع كان طويلا وممتداً ولا ينتهى إلا بكورنيش البحر ، فقد فكرت ان ادخل فى شارع جانبى ، او اعود الى وحدتى .. فى بيتى .

وخطر لي خاطر : سوف اتمهل جداً فى السير حتى يتجاوزنى ويبتعد بوقع خطواته تماما .. كانت خطواته تقترب منى وتقترب ، وما إن احسست به يكاد يمر بجانبى حتى استدرت لآخذ منه نظرة ، وإذا بى امام مفاجاة لم تخطر على البال . لم يكن رجلا .. بل كانت امراة . مقصوصة الشعر على طريقة الرجال ...

يا إلهى .. كل هذا الجمال يتجمع فى امراة واحدة ؟!

وإذ نظرت اليها ، التقت عيناى بعينيها . كان فيهما الفة . واحساس بالغ بالامان ، حتى خيل لي انها تلقي علي التحية بلا كلام . فابتسمت لها .. وابتسمت لي ، لكنها سرعان ما تجاوزتنى وواصلت سيرها وحيدة فى الشارع الطويل الممتد ..

• • •

لم يكن سحر عينيها وحده الذى اخذنى واوقف نهائيا فكرة تغييرى للشارع او عودتى الى البيت .. لقد بدا الموقف باكمله مثيراً للغاية ، ان تخرج امراة بكل هذا الجمال والشباب تتمشى وحدها فى هذه الساعة المتاخرة من الليل ..

حقيقة هى تكاد ان تكون متخفية كانثى بشعرها المقصوص ، وزيها الرجالى : البلوزة القريبة من شكل القميص ، والحذاء ذو الكعب الخفيف الصغير .. ونظراتها المباشرة الجادة او الحادة .. لكنى بسبب هذه النظرة ، او بفضلها ، ادركت على الفور انها انثى . وتذكرت : لقد بدا اعظم عشق فى حياتى ذات صباح بنظرة عين !

تراه عشقا جديداً ترسله الحياة لي مع بوادر فجر يوم جديد ؟!

لكنى لم اخرج فى هذه الساعة الساكنة من الليل لابحث عن عشق جديد ، وان كان عشقا فهو ليس لامراة او لحواء .. عشقى الذى انشده اليوم من نوع اخر .. ابحث عنه دون ان ادريه !

او ربما .. هو التحرر من العشق واصبح طائر ليل طليقا !

غير ان الشعاع الذى انطلق من عينيها وهى تنظر لي ، بدا وكان له صوتا اقرب ما يكون الى الزغاريد .. او الاغاريد !

وفكرت ان التحرر من العشق حماقة ، وان الجميلة التى تعطى البهجة للروح هى خير عطايا الحياة .. وهذا هو ما اصبو اليه .. ذلك وحده ما يجعلنى اعطى نفسى للعبة العشق العظيمة من جديد .

اندفعت خلفها لالحق بها .. احست بحركتى فتوقفت واستدارت نحوى .. توقفت انا ايضا وبحثت عن كلمات فلم اجد ابتسمت لها . لم ترد الابتسامة . كانت تنظر فى عينى بثبات لم احس معه بالاحباط . بالعكس . قدرت ان امراة جميلة مثلها لا تعطى الامان ببساطة لرجل غريب مجهول وفى ساعة مثل هذه من الليل .

بلعت ابتسامتى . اننى لا احب ان اتطفل على الآخرين ولو بابتسامة .. كانت

ماتزال تنظر لي .. واحسست بجراتها تتحدانى ، فتحديتها ومضيت انظر اليها .. اشتبكت النظرتان .. واشتد بى احساس باننى داخل على معركة لا اعرف اى شكل للنصر او الهزيمة فيها .. إلا اننى سرعان ما لمحت فى ضوء النجوم ثغرها يفتر عن ابتسامة خفيفة .

تعالت الزغاريد فى قلبى والاغاريد .. قلت رداً على ابتسامتها :

ـ يا صباح الخير .

قالت وقد اتسعت ابتسامتها قليلا :

ـ لم يأت الصباح بعد .

قلت : إذن مساء الخير .

قالت : والمساء ايضا مر من وقت طويل . الا تعرف الزمن الذى نحن فيه ؟!

احسست فيها بروح وعطر الفلسفة . ومر بذهنى انها شهرزاد هاربة من ليالى شهريار

آه .. انه ليكون الحدث العظيم . انا ايضا تركت كل شىء خلفى .. فهل يمكن ان يلتقى اثنان لا يملكان من الحياة شيئا غير الثورة على الماضى ، وغير الحنين لشىء جديد ؟!

قلت لها : نحن فى زمن الميلاد .

قالت : انت تتحدث رمزاً .. والاجمل هو التحديد . إننى اسالك عن الوقت الذى نحن فيه ، فتحدثنى عن الزمان البعيد . لهذا لا تعرف ماذا تقول لي : صباح الخير أم مساء الخير .

قلت : إذن فلتقولى لي انت ..

قالت : لقد قلت الكثير ، حتى اصبحت روحى عازفة عن الكلام ..

قلت : اننى احس بالكلمات تخرج من بين شفتيك كضوء النجوم ..

قالت : كلامك دعوة لي للكلام .. فى ليلة نذرت فيها نفسى للصمت ...

قلت مبهوراً : انه حقا لنذر عظيم . وإنى لاحترمه . وساكف انا ايضا عن الكلام ...

قالت : اريد أن اسمع وقع قدميك .

: وقع قدمى انا ؟!

: مع وقع قدمى .. هذا هو الامتحان !

: امتحان ؟ اى امتحان ؟!

: لو توحد ايقاع خطواتنا . لو خرج منه إيقاع واحد .. نواصل السير معا .. أما إذا لم يتوحد الايقاع .. فساترك لك هذا الشارع .. وليمض كل منا .. كما كان فى طريق ...

● ● ●

ارتفع قلبى وسقط فى آن واحد .

لم يكن سقوط القلب خوفاً فقط من ان تتركنى وتصبح حلما جميلا كان ومر ، كان خوفى ايضا ان ينتهى هذا الموقف السحرى الغريب الشبيه بحكايات الصبا وعمر الخيال البرىء ، حين كانت الجميلة تضع حبيبها فى امتحان صعب لتختبر مدى صدق حبه : بحر شاسع يعبره ، او جبل شاهق يصعده ، أو جناح نسر عظيم يمتطيه .

ها هى جميلة آخر الليل تضعنى فى امتحان ليس اقل صعوبة : ان يتوحد ايقاع خطى اثنين غريبين .. رجل وامراة .. فى سكون الليل ، ويصبح ايقاعا واحداً ، كانهما مخلوق واحد ؟!

وبدا لي فجاة ان السكون العميق المحيط بنا هو الخطر الاكبر . فابسط وادق الاصوات ستسمع فيه .. اقل نشاز سيدوى معلنا الفشل ، ومن ثم الافتراق .

قلت : معذرة يا أميرة الليل . اكان لابد ان تضعى الامر على صورة امتحان ؟ معذرة فانا اكره الامتحانات !

وضعت عينيها فى عينى وقالت بجدية : الامتحان ليس لك وحدك . الامتحان لى انا ايضا . ومع هذا ، فانا لا احب ان اسمى ما نفعل امتحانا . دعنا نسير بتلقائية ،



التلقائية قرينة الصدق . (واشارت بكفها) : هيا نبدأ السير .. ام انك لا تريد ؟!

قلت وانا أكاد أصيح ، متحكما فى طاقات بدأت تنفجر بداخلى : كيف لا أريد ؟!إننى يا جميلة الليل ، بعد هذا الذى حدث أصبحت أؤمن انك قدرى .. واقولها لك : حتى لو جاء وقع قدمى نشازاً مع وقع قدميك فلن اتركك تمضين عنى . لن اسمح لك ان ترمينى بسحرك الرائع هذا ثم تمضين عنى .. فقد ..

قالت مقاطعة وقد اطل من بريق عينيها غضب خطير : إذن فقد انتهى الموقف بيننا. انهيته انت قبل ان يبدأ !

وشدت من قامتها لتواصل سيرها وحيدة فاندفعت واقفا امامها .. لا لا .. انا لم انه شيئا . إنما كنت اتحدث بانفعال ..

قالت : هذا هو ما لا أريده .. انا لم اخرج الى الليل لأفقد فيه حريتى .. واختيارى ... تحت سحر اى انفعال ..

قلت : دافعا عن نفسى تهمة خطيرة : إنك ترميننى بابشع اتهام يمكن ان يوجه لي وانا واقف فى العراء تحت النجوم . اننى لست ضد حرية الانسان وحقه فى الاختيار. لكننى كنت اعبر عن احساس صادق . لا احب ان افقدك هكذا سريعا ، واخاف ان افشل فى الامتحان . فقد تخوننى قدماى .. وانا رجل فى الاصل فلاح ، واتطوح وانا اسير فى الهواء ، وادب فى الارض كيفما كان . بل اننى كثيراً ما اجدنى سائراً فى جميع الاتجاهات فى وقت واحد .. (وازداد انفعالى) اكان لابد ان يكون الامتحان بتوحد ايقاع الخطوات ؟! لم لا يكون بتوحد ايقاع النظرات ؟

قالت : توحد ايقاع الخطى بين الناس ، لا يتم الا اذا توحدت بينهم كل الايقاعات الأخرى .

قلت وقد سطع سحرها اكثر فى نفسى : اقسم إنك لفنانة . لم اتشرف الى الآن بمعرفة حضرتك . هل ابدأ انا بتقديم نفسى ؟ !

رفعت ذراعها : ليس الآن . هذا هو آخر شىء نفعله . ايقاع الخطى سيتكفل بكل شىء . هيا نبدأ السير . نمضى فى اتجاه البحر .

وبدأت السير بالفعل ، فتحركت معهـا على الفور . كان كل خوفى من الانفعال الذى يسيطر على . أن يفسد ايقاعى . يعطى لخطواتى سرعة اكثر ، أو صوتا أعلى .

نشيد آخر الليل

وضعت كل احاسيسى فى خطواتى ، متتبعا ايقاع خطواتها . كانت تسير بهدوء .. وبدا لى ان الأرض تحتها سحاب هى تسير عليه .. هونا .. بايقاع .. تعزف على بيانو سماوى .. تركزت نظراتى على قدميها .. ترانى استطيع مصاحبة هذا اللحن بقدمى .. فجاة أحسست بوقع خطواتى يضطرب . هل أسرعت ام ابطات ؟ !

احست باضطرابى . قالت : لا انظر الى قدميك وانت تسير .. فلننس اننا نسير ونحن نسير . اجمل الاشياء ما يحدث بتلقائية .

كانت ماضية فى السير .. شاخصة بنظراتها الى الامام .. فاتنة الملامح بشعرها المقصوص . وانفها الدقيق ، وخديها المكورين الورديين .. اننى رجل من برج الأسد .. شديد الاحساس بالجمال الانثوى العالى المستوى . كانت ماضية فى سيرها الهوينا .. منتشية بمجرد السير على الارض . بجوارى .. وفكرت ان اصرخ من السعادة .. وفكرت ايضا : تراها من برج اخر غير برجى . واوشكت ان اسالها من اى برج هى ؟ ! .. لكنى فوجئت بها تتوقف وقد شع وجهها بسعادة كبرى : هل تسمع ؟

من احد البيوت كان يتصاعد لحن موسيقى . صحت على الفور فرحاً .

ـ انه لحن «قداس الحياة» لسباستيان باخ .. عازف الارغن العظيم .. يا للحظ السعيد . اللحن ما يزال فى اوله .

قالت : فلنبطىء الخطو . نسمع ونحن نسير .

قلت : بل نتوقف لحظات لو سمحت . أحب جدا افتتاحية هذا اللحن . انه عندى فى بيتى .

قالت : وهو ايضا عندى .. فى بيتى .

بيتها .. وبيتى .. يضمان لحنا واحدًا. كدت اقول لها : لماذا اذن لا يصبح البيتان بيتا واحدا ؟ لكن روعة اللحن اوقفت كل الكلمات . وفكرت مع ابتهاج الروح : العالم هو بيتنا . مثل هذا اللحن لا يسمع داخل جدران .

كانت قد استجابت لطلبى وتوقفت . وقفنا متجاورين نسمع افتتاح اللحن معا . لكم سمعته من قبل وحدى ، وكم حرك فى نفسى من مشاعر . ولكن اية مشاعر كانت ؟ . مشاعر رجل يعيش وحده .. وباختياره .. فى غار ..على بابه ينسج العنكبوت بيته



باطمئنان .. وهو سعيد .. فرصة للتعبد وللوصول الى معرفة الحياة الحقه ..

اية معرفة واى تعبد فى ظل حراسة عنكبوت ؟! العبادة فى الهواء الطلق ايها البشر . واضواء المعرفة تتبدى اسرارها من خلال ظلمات الليل . الحياة الحقة ما انا فيه الآن معها .. كانت موجات الارغن تتوالى وتتدفق .. وبدا اللحن مخاطبة للكون باكمله : انتباه ايها البشر شىء رائع جديد يولد . من رحم اخر الليل يخرج. تراها تحس بنفس إحساسي ؟ !

كانت الموجات تتابع مسرعة وتتقافز إثر بعضها البعض ، تتدفع النشوة فيهتز كلانا على ايقاع الموجات .. على البعد .. شكراً لك يا سباستيان العظيم . كنت خائفا من الا يتوحد وقع اقدامنا . الآن وحدت فارغنك روحينا فى ايقاع موسيقى عظيم .

كان راسها يتمايل ويتماوج من الانغام .. لولا الاقدام على الارض لسبحنا معا فى الفضاء . لا باس .. فجاذبية الارض مازالت هى قدر الانسان .. ثم حين انتهى الافتتاح العظيم ، ودخل اللحن فى نوع من التتابع الهادىء الرقيق .. وجدت خطواتى مع خطواتها فى نفس اللحظة تواصل المسير .. على ايقاع بقية اللحن المهيب . ثمة نشوة عميقة كانت تملأ روحى ، وتفاءلت بالمصير ها هى الحياة تبعث الينا بصوت حبيب مشترك نضبط عليه إيقاع خطواتنا . ولم أعد انظر الى وقع قدمى وقدميها ، بل تعلق احساسي بموجات الارغن الجميل .. كما لو انى فى حلم واطير .. ومضينا نسير ..

كان اللحن يتراجع ويبتعد بالتدريج .. وبالتدريج ايضا كان ايقاع خطواتنا يعود فيسمع فى السكون . وخشيت ان ادخل مرة اخرى فى الامتحان ..

لكنى وجدتها تكاد تجرى .. اسرعت اجرى معها .. كانت حركتنا تشبه الجرى بالتصوير البطىء .. فجاة تمهلت وقالت وهى تجذب نفسا عميقا الى صدرها : اقتربنا من البحر . يالها من رائحة عظيمة احبها .. رائحة اليود .. والماء المالح .. املأ صدرك .. شهيق .. زفير شهيق .. زفير .. واغمضت عينيها ومضت تتنفس .. اغمضت عينى انا ايضا ورحت اتنفس بعمق : شهيق .. زفير .. شهيق .. زفير .. لا صوت غير صوت الانفاس .. انفاسنا .. نفس واحد يروح ويجىء .. انها ملحى ويودى .. وانا .. ملحها ويودها .. وضج صدرى بالحنين . ففتحت عينى لكى امد لها ذراعى . غير انى ما ان فتحت عينى ونظرت حتى وجدت المكان والشارع باكمله قد خلا منها . سقط قلبى .. ومضيت اصيح فى جميع الاتجاهات : انت .. يا انت .. اين انت ؟ ! .

لكن لم اسمع غير رجع صوتى ! ! كيف .. كيف حدث هذا فى لحظات وانا مغمض العينين ؟

وقدرت انها لابد دخلت شارعا جانبيا قريبا ، وتلعب معى لعبة الاستخفاء .. امتحان جديد للتوحد .. اى شارع دخلت ؟ الى اليمين ام الى اليسار ادخل ؟ !

واندفعت أجرى .. اتخبط فى البشر الذين بداوا يخرجون من بيوتهم مع طلوع الفجر .. اهذا هو سر اختفائها ؟ ! ووجدتنى فى شبكة متداخلة من الشوارع والحوارى ولا اثر .. تذكرت كلماتها عن البحر .. اندفعت جريا اليه .. ليس غير الشاطىء والموج العالى .. ورائحة اليود والماء والمالح .. وانا وحيد ..

أهى قسوة منها .. ام لحكمة جليلة فعلتها ؟ !

ولاحت لى بوجهها فى الفضاء .. فاتنة مبتسمة : املأ صدرك .. شهيق زفير .. شهيق .. زفير .

اغمضت عينى .. ورحت املأ صدرى .. شهيق .. زفير .. شهيق .. زفير .. وعلا صوت الارغن .. متناغما مع صوت البحر الكبير .

« عبد الله الطوخى »



ومسيرة ١٢ عاماً على استقلال دولة قطر

لقد بذلنا في سبيل القيام بواجبنا الوطني كل جهد ممكن لتحقيق أعظم قدر ممكن لبلدنا ورفع مستويات شعبنا في كل الميادين ، وتحدثاً بنعمة الله ، يحق لنا أن نفاخر بالثمرات الطيّبات التي أثمرها هذا الجهد .

خليفة بن حمد آل ثاني

٦ ديسمبر ١٩٨٢



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة





حول أهداف التربية في قطر

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

ليس من شك فى أن الهدف الاستراتيجي الأساسي للعملية التربوية الصحيحة برمتها مهما اختلف مكانها وزمانها ، هو النهوض بالمجتمع ككل ، ودفعه إلى الامام لكى يستوى كائناً عضويا متكاملا وقويا ، وقادرا على حماية ذاته ومواجهة تحديات العصر وتعقيداته التى تجد يوما بعد يوم .

ولكن كيف يمكن للعملية التربوية ان تنهض بالمجتمع إلى مثل هذا المستوى ؟! فالمجتمع كما هو معروف للباحثين السوسيولوجيين ، ليس كائنا ذا وجود حسي قائم بذاته ، حتى ان الكثير من علماء السوسيولوجيا باتوا ينكرون وجوده كلية ، ويعلنون انه ليس ثمة مجتمع فى الواقع المادى المباشر ، وانما مجموعة من الافراد او الاعضاء او البشر يعيشون فى ظروف مكانية وزمانية معينة ! ولئن صح ذلك – وهو لاشك صحيح من زاوية ما – فان العملية التربوية حين تهدف إلى النهوض بالمجتمع ككل ، فانما لا يكون امامها من سبيل لتحقيق مثل هذه الغاية العظمى الا من خلال النهوض بافراده لاسيما الناشئة ، عن طريق تهذيبهم وتعليمهم وتثقيفهم . واعدادهم فى النهاية لكى يكونوا اعضاء صالحين فى مجتمعهم ، وكل منهم قادر على ان يقوم بالدور المؤهل له فى الحياة على خير نحو ممكن .

وعلى هذا ، فالتربية فى نهاية الأمر ليس لها من مجال سوى الانسان ، وليس لها من هدف سوى نهضة المجتمع والوصول به الى أقصى درجات الرقى والتحضر . فتربية الانسان والتحضر عمليتان متلازمتان كما يعلمنا التاريخ وهذه هى الامم القديمة صانعة الحضارة ، فى مصر القديمة والعراق واليونان ، تشهد حضارتها العتيقة على انه لولا فعالية النهضة التربوية لما كان من الممكن ان تصل كل من الحضارة الفرعونية والسومرية واليونانية إلى الدرجة التى وصلت اليها بالفعل .

ولم نذهب بعيداً ؟ وهذه هى حضارتنا الاسلامية قد سادت العالم فى الأمس القريب ، وحملت لواء العلم والحضارة ردحاً طويلا من الزمن ، فاشعت بنورها على ربوع العالم المعروف انذاك ، من الصين والمحيط الهادى شرقاً ، إلى اوروبا والمحيط الاطلنطى غرباً . ولعل الباحث المدقق المنصف لن يجد وراء ذلك من سر ، اللهم الا الاهتمام بالانسان الفرد ، والعناية بتهذيبه وتثقيفه وتوجيهه الى طلب العلم والدأب على المعرفة ، وتنظيم علاقاته بنفسه وبالآخرين وبالكون كله ، وبخالق الكون سبحانه وتعالى .

ولاننا جزء حي من هذه الحضارة الاسلامية الزاهرة ، وامتداد حقيقي أصيل لها ، فلا غرو ان نعمل فى بلدنا على توجيه العملية التربوية على ضوء هذا الارث الخالد ، فنجعل من الانسان القطرى لب اهتمامنا ونخصه بجل عنايتنا ، وليس لنا فى النهاية من هدف ، سوى الوصول بمجتمعنا الى ما نرجوه له من رفعة وسمو يليقان بارثه التليد ومجده الغابر .

وبالطبع ، هناك الكثير من الانجازات الرئيسية التى تم تحقيقها فى مجال التربية والتعليم ، لاسيما منذ شروق فجر الاستقلال فى ١٩٧١/٩/٣ م وحتى اليوم ، ولكن فى مقابل ذلك ، هناك الكثير مما نصبو إلى تحقيقه بعد ، وهذه سنة الله فى خلقه ، أن يبقى دائماً بينهم وبين طموحاتهم مساحة للكد والعمل ، والا فانه لو تطابق الواقع مع الطموح ، لما بقى مبرر للعمل ، ولا عاد هناك مسوغ للمزيد من الانطلاق نحو الأفضل .

ولعل الأرقام وحدها ، هى التى تستطيع ان تكشف باختصار بليغ عما تم انجازه بالفعل ، فلنترك الأرقام تتحدث عن هذه الانجازات التى تمت فى أمد وجيز ، وبالتحديد فى اثنى عشر عاماً هى عمر الاستقلال القطرى حديث العهد .

ففى العام الدراسى ١٩٧١ – ١٩٧٢ ، كان عدد الطلاب القطريين فى التعليم العام والتخصصى (٢٠٩٧٩) طالباً ، فارتفعوا فى العام الدراسى الماضى (٨٢ – ١٩٨٣ م) الى (٤٥٦٧٩) طالباً بنسبة زيادة قدرها ١١٧٫٧٪ .

وكان عدد المدارس ٨٩ مدرسة ، فاصبح





احتفالات يوم العلم



الدفعة السابعة من خريجى جامعة قطر .

١٦٨ مدرسة ، بنسبة زيادة مقدارها ٨ر٨٨٪ .

وكان اجمالى عدد المعلمين ١١٦٥ معلما فاصبح اجمالى عددهم ٤٢٥٧ معلما ، بزيادة نسبتها ٥ر٢٦٥٪ ، مع ملاحظة ان المعلمين القطريين منهم كان اجمالى عددهم ٢٩٤ معلما قطريا ، فاصبح اجمالى عددهم ١٣٢٧ معلما قطريا ، اى ان نسبة زيادتهم قدرها ٤ر٣٥١٪ ، مما يشير الى ان نسبة الزيادة فى المعلمين القطريين تطرد بمعدل يفوق كثيرا نسبة الزيادة العامة فى العدد الاجمالى للمعلمين .

وكان عدد المبعوثين من الطلاب الجامعيين ٤٠٢ مبعوثا ، فوصل عددهم الى ١٢٢٣ مبعوثا ، بنسبة زيادة قدرها ٧ر٢٠٦٪ .

اما عن التعليم الجامعى ، فقد اقتصر عدد الخريجين عام ٧٢/٧١ على ١٠٩ خريجا ، فوصل عددهم علم ٨٣/٨٢ الى ١٦٤٠ خريجا ، بزيادة نسبتها ٦ر١٤٠٤٪ ، وقد كان لانشاء جامعة قطر اسهام اساسي فى وصول حجم الزيادة الى هذا المستوى .

وكذلك فقد كان عدد الدارسين فى تعليم الكبار ١٧٨٠ دارسا ، فصار عددهم ٨٣٣٤ دارسا ، بزيادة نسبتها ٢ر٣٦٨٪ . وقد كان لابد ان تواكب هذه الزيادة المطردة ، زيادة كافية فى حجم الجهاز الادارى ، وقد وصل حجم جهاز الادارة التربوية الى ٩٥٠ موظفا ، بينما لم يكن هناك عام ٧٢/٧١ سوى ٢١٣ موظفا ، اى ان نسبة الزيادة ٣٤٦٪ .

وقد كان من المتوقع ان تتطلب هذه الانجازات انفاقا باهظا ، وبالفعل ، فان الدولة لم تبخل بأى شىء فى سبيل توفير كافة الامكانات المادية التى تكفل سير العملية التربوية فى خطها المطرد المنشود ، ويكفى ان نعرف ان ميزانية التربية والتعليم تضاعفت عما كانت عليه عام ٧٢/٧١ بنسبة ٢٤٠٠٪ .

وقد واكب هذه الزيادة فى الكَم تطوير نوعي ملموس فى عناصر العملية التربوية من المناهج والكتب المدرسية ، الى الوسائل التعليمية واعداد المعلمين والبيئة المدرسية وغيرها ، ذلك ان الزيادة الكمية وحدها لن تصل بنا الى الغاية المنشودة من العملية التربوية ، وهى بناء الانسان القطرى ، ما لم يؤخذ فى الاعتبار مثل هذا التطوير النوعى ، حتى يكتمل للعملية التربوية قطباها : الافقي والراسي .

ولئن كان هذا هو اهم ما تم إنجازه ، فانه لا يزال امامنا الكثير عن المشروعات والأهداف القريبة والبعيدة ، سواء فى حقل التعليم العام او فى حقل التعليم العالى ، ففى الحقل الأول مازلنا نصبو إلى مزيد من الافادة بكل ما يجد فى الافق حول تكنولوجيا التعليم . ومازلنا ندرس سبل توحيد المناهج بيننا وبين جيراننا من الاقطار الخليجية الشقيقة ، التى تحكمنا وإياها ظروف واحدة ، وحاجات واحدة ، وبيئة واحدة ، وينتظرنا معا مصير واحد ، كما اننا مازلنا نطمع فى التغلب على بعض الصعوبات التى تواجه التعليم الفنى فى البلاد ، واهمها العزوف النسبى من قبل الطلاب عن مثل هذا النوع من التخصص .

اما فى الحقل الثانى اى حقل التعليم الجامعى ، فاننا عاكفون على دراسة اقوم الطرق لتطوير الجامعة بحيث تتلاءم مع الحاجة الفعلية للواقع وعلى ضوء ذلك فسوف يتم انشاء بعض الاقسام الجديدة فى الكليات الخمس القائمة الآن : كلية التربية للمعلمين والمعلمات ـ كلية الشريعة ـ كلية العلوم الانسانية ـ كلية العلوم ـ كلية الهندسة ، كما سوف يتم باذن الله إنشاء كلية جديدة سادسة هى كلية الادارة والاقتصاد ، وما ذلك إلا مجرد امثلة من مشروعات المستقبل فى المجال التربوى عامة . وباذن الله تعالى ومشيئته فانه لن يمر عام جديد إلا وهناك جانب من هذه الخطط والمشروعات قد تحقق وخرج إلى حيز الوجود .

نامل ان يسدد الله خطانا ، ويمكننا من تحقيق ما نصبو اليه من رفعة وسمو لهذا الوطن الكريم ، فى ظل قيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، امير البلاد المفدى وسمو الشيخ حمد بن خليفة ولي عهده الامين .. والله من وراء القصد .

محمد بن حمد آل ثاني






التعاون الخليجي هدف تسعى إليه قطر

بقلم: الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

قال الله تبارك وتعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » صدق الله العظيم .

من هذا المنطلق الربانى وبهذه الاصالة التاريخية سعت قطر جادة جاهدة فى سبيل التعاون العربى الخليجى كوسيلة مقربة لتعاون عربى اكثف واوسع باعتبار ذلك هدف من أهدافها النبيلة التى تسعى بكل ما اوتيت من قوة ومن طاقة لتحقيقه .

ولقد كان دورها رائداً فى هذا السبيل فبذلت جهداً جباراً ومساهمة قوية رائدة فى سبيل ابراز اتحاد الامارات الذى كان مطروحاً فى ذلك الوقت ليضم بالاضافة الى قطر والبحرين امارات الساحل التى تتكون منها الآن دولة الامارات العربية المتحدة ولم تدخر جهداً فى ذلا المسعى، ولم تبخل بتضحية بل ان دستورها المؤقت الصادر فى تلك الفترة نص على ان : « قطر دولة عربية مستقلة ذات سيادة عضو فى اتحاد الامارات العربية .. »

وعندما لم يكتب لذلك الامل ان يتحقق لم تفقد الأمل فى الوصول الى وسيلة تحقق بها هدفها السامى فاخذت تساهم مع شقيقاتها العربيات فى هذا الخليج الطيب فى طرح وبلورة هذه الفكرة، يغذى ذلك الطرح اصرار قوى على الوصول لنتيجة يفرح لها جميع ابناء هذا الخليج وتكون نواة خير فى سبيل اتحاد الأمة العربية من مشرقها الى مغربها .

وحالما تبلورت ونضجت اطروحة انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية كانت دولة قطر مشاركاً فعالا بكل الجهد والجد لابراز المجلس للوجود، وبذلت لذلك وفى سبيله كل ما تملك من طاقة وامكانيات فكانت وفودها وعلى أرفع المستويات دائمة التنقل والترحال لعقد الاجتماعات المتوالية فى عواصم دول الخليج العربية تمهيداً لهذا الحدث الجليل .

ولقد كان يوم توقيع اتفاقية انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى أبو ظبى المصادف للحادى والعشرين من شهر رجب لسنة الف واربعمائة وواحد (٢١ / ٧ / ١٤٠١) الموافق للخامس والعشرين من شهر ايار ـ مايو ـ سنة الف وتسعمائة وواحد وثمانين (٢٥ / ٥ / ١٩٨١) من قبل اصحاب الجلالة والسمو ملوك وامراء دول المنطقة والذى قام فيه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير دولة قطر بالتوقيع عليه باسم دولة قطر كان ذلك اليوم من الايام المجيدة المشهودة ، فرح له الشعب العربى فى منطقة الخليج العربى وكانت فرحة دولة قطر بهذا الانجاز فرحة كبيرة لها ما يبررها حيث تحقق بذلك حلمها الكبير الذى سعت اليه وبذلت فى سبيله الغالى والنفيس .

وكان ما ورد فى ديباجة تلك الاتفاقية المباركة يمثل تمثيلا حيا طموحات دول المنطقة وآمال شعوبها حيث اوضحت بكل جلاء ان توقيع هذه الاتفاقية كان ادراكاً منها لما يربط بينها من علاقات خاصة وسمات مشتركة وانظمة متشابهة اساسها



سمو امير البلاد المفدى اثناء مشاركته لاخوانه اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى اجتماعاتهم التاريخية



العقيدة الاسلامية ، وانه ايمانا بالمصير المشترك ووحدة الهدف التى تجمع بين شعوبها ورغبة فى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بينها فى جميع الميادين واقتناعا بان التنسيق والتعاون والتكامل فيما بينها انما يخدم الأهداف الساميةللامة العربية .

واستكمالا لما بداته من جهد وفى مختلف المجالات الحيوية التى تهم شعوبها وتحقق طموحاتها نحو مستقبل افضل وصولا الى وحدة دولها،كل ذلك تمشيا مع ميثاق جامعة الدول العربية الداعى الى تحقيق تقارب أوثق وروابط اقوى بين اعضاء دول الجامعة،هذا غيض من فيض وقليل من كثير سعت اليه قطر وتحقق بعضه بحمد الله ومنه ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يحقق وحدتنا الكبرى لنضع امتنا العربية المجيدة فى موقعها اللائق بها تحت الشمس وبين الأمم والله المستعان ونعم الوكيل .

احمد بن سيف آل ثاني





العمل الاجتماعي وانطلاق الطاقات البشرية

بقلم: علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

كثيراً ما يتحدث النـــــاس وفى اكثر المناسبات عن الشئون الاجتماعية . وكثيراً ما يطالب الناس للحصول على الرعاية الاجتماعية ، وكثيراً ما يلجأ البعض للاستفادة من المساعدات الاجتماعيـــــة بشتى معطياتها ، وهذه ظاهرة بديهيـــــة لا اعتراض عليها لانها خلقت مع الانسان ، ولا يمكن أن تستقر الحياة بدون عمـــــل اجتماعى .

فالعمل الاجتماعى الحكيم المتقن هـــو السبيل الوحيد لخلق مجتمع متعاون متكـــاتف صحي يســـوده الاستقــــرار والاطمئنان بل ومن أهم مميزات الدولة الواعية المتجهة نحو التنمية الشاملة الجاده والتطور الاجتماعى السليم هو ايجاد نظام اجتماعى متكامل يكفل للمجتمع الرعاية الواجبـــــة بسواسيـــــة متزنـــة بقدر المستطاع .

وللعمل الاجتماعى مجالات واسعة ومتعددة ، وللعمل الاجتماعى مفهوم واضح معروف . وقد تكون الاطالة مملة لو اردنا شرح جميع جوانب هذا العمل ومنافعه الجمة ابتداء من نشاته حين خلق الله ادم عليه السلام وامنا حواء . وقد يكون لذلك مناسبة أخرى انشاء الله .

وكثيرا ما ترد هذه الجملة مقترنة بعبارة النمو الاقتصادى لانهما صنوان لا يكتمل احدهما الا بوجود الآخر .

لذلك فان العمل الاجتماعى يعتمد قبل كل شيء كما هو معلوم على قاعدتين اساسيتين . اولهما القاعدة الاقتصادية وهى الأهم ، وثانيهما قاعدة العـــدالة الاجتماعية التى بدونها لن يستوفى العمل الاجتماعى الشروط المطلوبة لطبيعته .

فمتى ما توافرت فى الدولة المــــوارد الاقتصادية الكافية ، ومتى ما وجد العزم الأكيد والنية الصادقة . اذا تم كل ذلك فقد آن الاوان لانشاء اجهزة فعالة ووضع تخطيط علمى سليم مستوفى الدراسة للعمل الاجتماعى والعمل على تنفيذه .

وهكذا فان دولة قطر منذ بداية عهدها التشريعى وانطلاقا من واقعها الاقتصادى وما يتحقق فى البلاد من تطورات بارزة فى كافة الميادين العملية ، عكفت على وضع استراتيجية محددة للعمل الاجتماعى الذى اضحى فى مفهوم الاقتصاد الحديث من أهم اركان التنمية فى أى مجتمع .

ولذلك كان اهتمام الوزارة منذ البداية ، العمل على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والمادية الى اقصى قدر ممكن . واتجهنا نحو التخطيط العلمى المدروس لنتخذ منه اسلوبا للعمل تتحدد من خلاله المبادىء والأهداف والبرامج والمتابعة والتقييم ، كمـــا اعطينـــا اهتمامـــا كبيـــرا لقضايـــا العمل والشؤون الاجتماعية والتعاون والجمعيات الخيريـــــة وغــير ذلك من الانجازات المثمرة النافعة التى تعود على وطننا الحبيب بالتقدم والازدهــــار والاستقرار ، فى ظل قائد البلاد واميرها المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى .

إننا ندرك تمام الادراك أهمية الربط بين النمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية ، ولهذا كان هدفنا الاول هو حماية العامل والسهر على امنه وسلامته وتامين مسكنه وغذائه وملبسه ، لاننا عندما نرفع مستوى نوعية الجهد البشرى نكون قد اسهمنا فى توفير الارض الصلبة التى تخلق مناخا اجتماعيا يخدم أهداف التنمية بوجه عــام والتنمية الصناعية بصفة خاصة .

وقد راينا خلال السنوات الماضية ، كيف كان الاصلاح الاجتماعى فى طليعة الأهداف التى تبنتها دولة قطر ، خاصة وان القيادة السياسية فى البلاد تؤمن بان هذا الاصلاح هو المنطلق الاساسى للتطـــور الحضارى ، ولذلك تبنى النظام الاساسى المؤقت المعدل للحكم فى البلاد فى صلب مفاهيمه ومبادئه الاساسية القدر المناسب من الاهتمام باهداف خدمات التنمية

الاجتماعية وتوفير افضل الرعاية للمواطنين ، واعتبر الاصلاح الاجتماعي - بنواته الفرد - يشكل طليعة الأهداف المنشودة للتنمية البشرية باعتباره المنطلق الأساسي للتطور الحضاري والعدالة الاجتماعية .

ومن هذا المنطلق الذي رسمته السياسة العامة للدولة ، كان على وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أن تبذل أقصى الجهود لتوفير شتى الخدمات للمجتمع القطري ، بداية من تطوير اداراتها المختلفة وانشاء إدارات جديدة لتوجيه وتطبيق السياسة الاجتماعية الملازمة للتنمية الاقتصادية ، الى وضع تخطيط اجتماعي متكامل وشامل يضمن سلامة التنفيذ وتحقيق الأهداف في أقصر وقت ممكن وباقل التكاليف .

وقد حظيت الوزارة بلفتة كريمة من لدن حضرة صاحب السمو امير البلاد المفدى بتحقيق التنظيم المنشود في العمل الاداري ، وذلك بصدور القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ الخاص بتنظيم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وتحديد اهدافها وصلاحياتها وتنظيمها الداخلي ، فقد أعطى هذا القانون دفعة قوية للنهوض بمسئوليات العمل الاجتماعي من اجل تحقيق اهدافه النبيلة . وقد اشتمل هذا القانون على انشاء ادارة جديدة للتخطيط والشؤون الفنية تنسق مع الأجهزة المختلفة في الدولة لوضع السياسة العامة بشان العمالة والاسكان والضمان الاجتماعي والتعاون ، وتضع البرامج اللازمة لتنفيذ مشروعات الوزارة ومتابعة تنفيذها ، وتتعاون مع الجهات القانونية المختصة في اعداد التشريعات اللازمة لسير العمل بالوزارة ، واعداد وثائق البحوث والاحصائيات ، وتدرس وتحلل المعلومات والبيانات والتقارير المتعلقة بنشاط الوزارة مع اصدار التوصيات بشانها ، وذلك بالاضافة إلى دراسة كل ما يصدر عن المنظمات الدولية والعربية من توصيات واتفاقيات .

وتنفيذا لسياسة الدولة لتطوير المستوى الصحي والاقتصادي والاجتماعي استمرت الوزارة - بالاشتراك مع وزارة الاشغال العامة - في تنفيذ انشاء المزيد من المساكن الصحية والعصرية ، حيث تم خلال العام الماضي تسليم ٦٥٠ مسكنا منها ٤٧٥ مسكنا شعبيا و ١٧٥ مسكنا مجانيا ، وتم خلال هذا العام تسليم ٦٠١ مسكنا في منطقة الخليج الغربي (الدفنة) ، وهناك الآن قيد الانشاء ٩٧٣ مسكنا شعبيا ، ويعطي نظام المساكن الشعبية لذوي الدخل المحدود من المواطنين تسهيلات ومزايا فريدة من نوعها ، فهو يمنح المنتفع الذي ينطبق القانون على حالته الاجتماعية قطعة ارض تتراوح مساحتها ما بين ٦٤٠٠ و ١٠ الاف قدم مربع دون مقابل ، ويسدد ٦٠ في المائة من تكاليف بناء المسكن بدون فوائد على مدة تتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ سنة .. وهذا بالاضافة إلى منحة للتاثيث مقدارها ٢٠ الف ريال قطري ، وتتولى وزارة الأشغال العامة والأجهزة المختصة في الدولة اعداد الخرائط والمواصفات اللازمة والاشراف على تنفيذ البناء وتوصيل الماء والكهرباء والمجاري بالشبكات الرئيسية دون مقابل .

أما بالنسبة للحركة التعاونية ، فالدولة لا تبخل باي جهد من أجل تقديم الدعم للجمعيات التعاونية بمختلف اشكالها وصورها ، إيمانا بالدور الهام الذي تقوم به التعاونيات في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وقد بلغت الجمعيات التعاونية التي تم انشاؤها وباشرت عملها سبع جمعيات تعاونية استهلاكية ، شملت مناطق متعددة في البلاد كالدوحة والشحانية والجميلة والغويرية والخور ، وهذا بخلاف الجمعيات الجاري تجهيزها في عدة مناطق أخرى والجمعيات المقترح انشاؤها .

وفي مجال الشؤون الاجتماعية حققت الوزارة المزيد من الانجازات واصبح لها مكاتب فرعية في مدينتي الخور والشمال حتى تصل الخدمات الاجتماعية للمواطنين في مناطق اقامتهم وتدخل كل المدن والقرى خلال سنوات قليلة وحتى تقوم هذه المكاتب بدراسة البيئة ومعرفة احتياجاتها ومواردها الاجتماعية وتشجيع المساهمة والمشاركة الشعبية والعمل على ايجاد مراكز وجمعيات محلية للتنمية الاجتماعية فضلا عن الاستفادة من ابناء المنطقة المقيمين فيها وخلق الحوافز امامهم ليكون لهم دور فعال في تلك المناطق .

وقد تم تنظيم قسم الضمان الاجتماعي وتدعيم جهازه الوظيفي المعني بالرعاية الاجتماعية ، وذلك لتحسين مستوى الاداء لهذه الخدمة الهامة التي تقدمها الدولة للفئات ذات الأوضاع الخاصة كالارامل والمطلقات والأيتام والمعوقين والعاجزين عن العمل بسبب المرض او الاصابة او الشيخوخة ، وقد بلغت المساعدات الاجتماعية في العام الماضي ٣٢٣ر٦١٠ر٨٠ ريالا قطري ، واستفادت منها ٦٨٦٠ حالة اجتماعية .

وبالنسبة لمشاركة الفتاة القطرية في بناء المجتمع تم انشاء مركز رئيسي للتاهيل الاجتماعي بمدينة الدوحة ومركزين في الخور والشمال . ومهمة هذا المراكز هو تعليم الفتاة المهن والحرف اليدوية التي تتوافق مع قدراتها وتساعدها على الاعتماد على نفسها لكسب الرزق والمساهمة في تنمية البلاد .

وقد انشئت - كذلك - الجمعية القطرية لرعاية المعوقين وقامت بمجهود كبير في هذا المجال خلال العام الماضي وهو العام الدولي للمعوقين .

وبالاضافة إلى كل ذلك وغيره من الانجازات سعت الوزارة إلى تحمل مسئولية مباشرة في مجالات العمل والاستخدام ، فعملت على تحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين وتمكنهم من ممارسة العمل في ظل القوانين التي تحقق لهم العدالة الاجتماعية وترفع مستواهم ، كما عملت على مكافحة البطالة وفتح مجالات عمل جديدة أمام المواطنين ، وتوطيد العلاقة بين طرفي الانتاج - العمال واصحاب الاعمال - وحل المشاكل التي تنشا بينهما بالطرق الودية او وفقا لقانون العمل ، ومراقبة توفير تدابير اجراءات السلامة حفاظا على صحة العمال وحمايتهم من اخطار المهنة او امراضها او اصابات العمل ، وتنظيم استخدام العمالة العربية والأجنبية .

وفي مجال توثيق أواصر الاخوة والتعاون بين دولة قطر والدول العربية ، ثم توقيع اتفاقيات بشان استخدام العمال مع جمهورية مصر العربية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية التونسية وجمهورية السودان وجمهورية الصومال ، وذلك من اجل توفير القوى العاملة اللازمة لتنفيذ المشروعات الانمائية في الدولة .

وهكذا نرى أن العمل الاجتماعي في دولة قطر لم يعد محصورا في اطار المفهوم التقليدي الذي يتوقف عند مجرد الرعاية وتقديم الخدمات ، ولكنه اصبح عملا يرتكز على توفير الامكانات والوسائل التي تكفل انطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية إلى أقصى قدر ممكن ، في ظل رؤية واضحة للأهداف التي تحقق المستقبل المنشود .

علي بن أحمد الأنصاري



الإعلام القطري ومنطق العصر

بقلم: عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

يزعم كثيرون ـ ونحن معهم فى هذا الزعم ـ ان عصرنا الحاضر هو ازهى عصور البشرية إلى الاطلاق ، اذ يكاد بما تم فيه من تقدم ان يكون عدة عصور كثفت تكثيفاً شديداً فى عصر واحد .

وقد يشتد الخلاف حول اى انجازات العصر انفع واجدى وفق الزاوية التى ينظر بها المختلفون لموضوع الخلاف ، لكن الذى لا نزاع فى نفعه او جدواه مهما تنوعت زوايا الرؤية هو ما ابدعته عبقرية العصر من ثورة فى وسائل الاتصال الغت حدود الزمان والمكان بما اتاحت من تدفق هائل للمعلومات وزعزعت من الجذور مسلمات تعمقت فى ضمير الانسان إلى اقصى الحدود .

ومنطق عصرنا هو منطق العلم الذى جعل التطور اساسا وحيدا تتفسر على ضوئه الأشياء .

ولقد اتيح للاعلام القطرى خلال السنوات الماضية منذ الاستقلال وحتى الآن ما لم يتح لغيره من امكانات اذ وفرت له الدولة كافة أسباب التطور والنمو .

ولو نظرنا الى قدرات الاعلام القطرى التكنولوجية لكانت النظرة قاصرة وغير موضوعية لانها ستكون فى هذه الحالة من جانب واحد فقط . لكن الانصاف فى النظر يقتضينا النفـــاذ الى ماوراء القشرة من جوهر او لباب ، وعندئذ سيتضح لنا ان للاعلام القطرى خط يسير عليه هو المزج بين الاصالة والمعاصرة . فشعب تضرب جذوره فى عمق الزمان الوف السنين



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

كشعب قطر لابد لمن يعالج قضاياه من نظرة الى الماضى للتاليف بينه وبين الحاضر والمستقبل ، وارض كارض قطر يحيط بها البحر من جوانب ثلاث لابد لمن يتكلم عنها ان يضع البحر فى اعتباره بما يعكسه على سلوك المطلين عليه وبذلك يجمع الزمان والمكان فى ان واحد .

والواقع ان الاعلام القطرى يتعرض دائما ـ من خلال الكلمة والصورة لأعقد القضايا العالمية ، فيقدمها لقارئه ومستمعه ومشاهده بلغة بسيطة جذابة تدخل القلب والعقل معاً .

وهو ـ فى نفس الوقت لا يترك قضية تهم المجتمع ومجموع المواطنين إلا ويبادر إلى معالجتها دون هيبة ، بما اتيح له من مناخ الحرية .

وهذا بالاضافة إلى اهتداء اعلامنا بتعاليم شريعتنا السمحاء ، والاهتمـــام بالثقافة الدينية لتكون نبراساً لشبابنا ، يسير على هداه ، ويواجه به كل انواء الشك التى سادت العالم الغربى بعد ظهور القوانين الطبيعية او المادية وظهور مذهب النشوء والارتقاء وعلم المقارنة بين الاديان وما تفاقم فى القرن العشرين من مذاهب اجتماعية واقتصادية زلزلت الموازين والقيم .

والمعروف ان فكرة القومية هى من الافكار التى تميز عصرنا ، وهى فكرة قديمة اذ تمتد جذورها الى قيام التجمعات البشرية الأولى ، ولكنها فى هذا العصر تكتسب ابعاداً جديدة يوليها الاعلام القطرى عظيم الاهتمام عن وعى وادراك لمقومات قوميتنا العربية من وحدة اللغة

والعنصر ووحدة التاريخ والعادات والتوجه السياسى .

وقضية العلم وما طرا عليه من طفرة منذ اواسط القرن العشرين يعالجها اعلامنا دون تضحية بالروح من أجل المادة فمن المعلوم انه حـــدث ابان الثورة الصناعية فى اوروبا فى القرن الماضى ان ارادت تلك الثورة ان تقتلع الانسان من جذوره الروحية لتجعله آله من آلات المصانع ومن حسنات ديننا الحنيف انه لا يضحى بالروح من أجل الجسد أو العكس فالانسان وفقا له مخلوق للدنيا والآخرة معا .

ويهتم اعلامنا بكافة قضايا الادب والفكر وخاصة ما يهتم منها بالحياة اليومية وقضايا الانسان ومدارس النقد الادبيـــة وما تقدمه من تحليل وتقييم .

أما السياسة وخضمها الواسع فان الاعلام القطرى يعالج جوانبها الوطنية والقومية والدولية وفق النهج المستنير الذى وضع اسسه بانى نهضة قطر الحديثة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى والذى كفل لدولتنا الفتية احترام الجميع .

أمور يعسر حصرها يتعرض لها اعلامنا القطرى وفق منطق عصرى ، ولذلك حظى بالاهتمام والتقدير من الجميع .

واذا كانت بعض الدول لا تهتم الا بالقطاع الرسمى من الاعلام والذى تديره الدولة وتضرب صفحاً عن القطاع الاهلى منه بل قد تلاحقه بالقيود التي تحـــد من نشاطه فان الوضع على غير ذلك فى دولة قطر فالصحافة الأهلية لا تنى الدولة عن مساندتها بكافة الأساليب لعل ابرزها وافعلها اثراء هو انها لا تخضع لأية رقابة من اى نوع .

ولان الحدود قد زالت او كادت بين الثقافة والاعلام بحيث لم تعد اية قضية ثقافية لتستعصى على المعالجة الاعلامية لذا فان الكتاب يحظى باهتمام اجهزة الاعلام فى الدولة كوسيلة اعلامية وثقافية معـــاً .

والمصنفات الفنية مسموعة ومرئية تلك الظاهرة التى تصاحب طفرات العصر هى كوسيلة اعلامية وثقافية وترفيهية أمر جدير بالتشجيع ولانها اصبحت تدخل الآن كل بيت وتتواجد فى كل مكان فهى تراقب وفق معايير تكفل التوازن بين ما فيها من قيم ثقافية وغيرها وبين النظام العام والآداب والقيم الأساسية للمجتمع .

ولسنا بدعاً فى ذلك فقد كانت بعض الدول تحسب أن فى الرقابة على المصنفات الفنية افتئاتا على الحريات وانتقاصا منها ولكن نفس هذه الدول رأت أن تسن قوانين للرقابة لحماية هذه الحريات والابقاء عليها لأن المجتمع المنحل الفاسد تنبت به الجريمة فى مكان الحرية ، وتشيع الرذيلة من منابت الفضائل .

طريق بلا نهاية يقطعه الاعلام القطرى وفى كل مرحلة وعند كل خطوة يطور أسلوب السير ذلك ان التطور كما قلنا هو منطق العصر .

عبد الله محمد صادق

بعض المطبوعات التى اصدرتها وزارة الاعلام



المبنى الجديد لوزارة الاعلام





الوجه الثقافي والفني في قطر

بقلم : موسى زينل
مدير إدارة الثقافة والفنون

تعتبر ادارة الثقافة والفنون احدى منجزات وزارة الاعلام القطرية حيث صدر قرار وزير الاعلام بتكوين هذه الادارة والأقسام التابعة لها خدمة للمواطن القطري .

وقد انيط بهذه الادارة المسئوليات التالية :

● اظهار الوجه الثقافي والفني للبلاد .
● توسيع رقعة الاهتمام بالممارسات الثقافية والفنية بين اوساط المواطنين .
● نشر الوعي الثقافي والفني داخل البلاد وخارجها .
● التعريف بمظاهر الحياة الثقافية والفنية القديمة منها والحديثة والمصاحبة للتطوير والنهضة التي تعم البلاد عبر مسيرة الاستقلال في ظل راعي وقائد نهضة البلاد اميرنا المفدى الشيخ / خليفة بن حمد آل ثاني حفظه الله .

اما بشأن انجازات هذه الادارة منذ انشائها عام ١٩٧٦ م وحتى الآن فهي تتلخص في :

اولا : المراقبة العامة للنشاط الثقافي : وهي تهتم بتنشيط العمل الثقافي في البلاد

ومن اهم انجازات المراقبة العامة للنشاط الثقافي استضافة أسابيع ثقافية عربية مثل الأسبوع الثقافي العراقي - الأسبوع الثقافي التونسي - الأسبوع الثقافي الأردني - الأسبوع الثقافي السوداني - الأسبوع الثقافي الفلسطيني - الأسبوع الثقافي اليمني - الأسبوع الثقافي المغربي - وكذلك الاشراف على وفد وزارة الاعلام القطرية في الأسبوع الثقافي الخليجي في باريس .

وقد احتوت كل هذه الاسابيع الثقافية على العديد من الفعاليات الثقافية والفنية مثل تقديم عروض مسرحية وفنون شعبية - اقامة معارض الصناعات الشعبية والفنون التشكيلية والكتب الثقافية - اقامة ندوات ومحاضرات وامسيات شعرية .

كما تقوم المراقبة العامة للنشاط الثقافي باستضافة العديد من المحاضرين والمفكرين العرب منهم والاجانب لالقاء محاضرات ثقافية عامة وذلك ضمن الموسم الثقافي للادارة .

وتهتم المراقبة بتنشيط الحركة الثقافية بتدعيم نشاطات المواهب الشابة في الشعر والادب وعمل مسابقات فنية وثقافية مثل مسابقة (احسن مقال عن مدينة الخور - ومسابقة الصور الفوتوغرافية - ومسابقة الكتابة لقصص الأطفال) .

ثانيا : قسم الفنون والصناعات الشعبية : ويهتم برعاية الفنون الشعبية القطرية وحفظها من الاندثار

وقد شارك القسم في مهرجانات الفنون الشعبية التالية :

● مهرجان الفنون الشعبية الذي اقيم في بغداد ١٩٧٩ م.
● مهرجان الترويح السياحي بالكويت ١٩٨٠ م.
● مهرجان الشباب العربي بدمشق ١٩٨١
● مهرجان دول جنوب شرق آسيا للفنون الشعبية والذي اقيم بالهند ١٩٨٢ م .

ثالثا قسم المسرح :

وهو يقوم برعاية الفرق المسرحية المحلية وتقديم الدعم المادي والفني حتى تتمكن الفرق المسرحية من تقديم الاعمال ذات المستوى الجيد .

وقد افتتح مسرح قطر الوطني في ٢٢ فبراير ١٩٨٢ بمناسبة مرور ١٠ سنوات على تولي سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم في البلاد .

ومنذ افتتاح ذلك الصرح الفني قدمت عليه بعض العروض المسرحية والموسيقية مثل :

● عروض الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية وأمسية موسيقية لمعهد الموسيقى ومسرحية الربيع السابع لفرقة الرحبانية وذلك بمناسبة افتتاح المسرح .
● الاحتفال بيوم المسرح العالمي لسنة ١٩٨٢ م والذي قدمت فيه الفرق المسرحية الثلاث مسرحيات ذات فصل واحد لكل فرقة
● استضافة فرقة كامبرج المسرحية (مسرحية ترويض النمرة) والفرقة التركية للفنون الشعبية ، وأمسية موسيقية لعازف آلة العود (للوت) الفرنسي ومعرضا لهذه الآلة اقيم في قاعة المسرح .

ولقد عزفت فرقة ناش اللندنية الموسيقية مقطوعات من الموسيقى الكلاسيكية القديمة .

● استضافة فرقة (كركلا) للفنون الشعبية اللبنانية وفرقة الفنانين المتحدين المصرية (مسرحية ريا وسكينة) حيث لاقت الفرقتان اقبالا كبيرا من الجمهور .

وجاء يوم المسرح العالمي لسنة ١٩٨٣ م لكي تقدم من خلاله فرقنا المسرحية الأهلية الثلاث عروضها عليه بهذه المناسبة وقد استضافت الادارة أسبوعا ثقافيا مغربيا قدمت جميع عروضه الفنية على خشبة المسرح .

وقد قدمت فرقة (الماندراجور) الفرنسية



المعارض



الفنون الشعبية

مؤخرا عرضا بالتمثيل الصامت وعرضا اخر لمسرحية باللغة الفرنسية عن حياة الشاعر (جورج بوشنر) . حيث تمت ترجمة هذه المسرحية إلى اللغتين العربية والانجليزية من خلال اجهزة الترجمة الفورية بالمسرح .

رابعا : قسم الفنون التشكيلية والمعارض : وقد حقق عدة منجزات من بينها :

● انشاء مبنى خاص لرعاية الفنانين القطريين ـ وهو المرسم الحر ـ الذى يستقبل الفنانين المحترفين والهواة لممارسة هواياتهم ـ وتزويد هذا المرسم باحد خبراء الفن التشكيلى والمدرسين والمدرسات المتخصصين فى مجال الفن التشكيلى .

● اقامة المعارض الفنية المختلفة للفنانين القطريين / مثل المعرض السنوى للفنانين التشكيليين القادرين على اقامة معارض خاصة بهم .

● الاشراف على المعارض الفنية المرافقة للاسابيع الثقافية العربية التى اقيمت بالبلاد .

● اقامة معارض فنون تشكيلية قطرية فى الدول الاوروبية للتعريف بالفن القطرى فى الخارج مثل / معرض الدول العربية بالمانيا الغربية / معرض لندن ومعرض باريس ١٩٧٨ م ـ معرض فرانكفورت ١٩٨١ م معرض الفنان / يوسف احمد بولاية واشنطن ديسي بامريكا ١٩٨٢ م .

● استضافة معرض الخليج الاول للفنون التشكيلية الذى اقيم فى شهر فبراير ١٩٨٠ م ، اثناء انعقاد الاجتماع الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية .

● المشاركة فى المعارض الخليجية مثل معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب والمقام كل سنتين منذ عام ١٩٧١ م .

● اقامة معارض شخصية من خارج قطر وذلك لاثراء الحركة التشكيلية فى البلاد مثل معرض الفنان الامريكى المسلم محمد زكريا يناير ١٩٨٣ م ، ومعرض الفنانة رمزية باج ابريل ١٩٨٣ م .

● اقامة الدورات والندوات التخصصية فى الفن التشكيلى وعمل حوار هادف بين الفنانين القطريين ، وقد تم اقامة دورة فى الخط العربى للفنان الامريكى المسلم محمد زكريا ١٩٨٣ م .

● التشجيع على اقامة مسابقات فى التصميمات ذات المواضيع التخصصية .

● اقامة معرض سنوى لرسوم الاطفال وذلك للكشف عن المواهب الحقيقية من قبل هذه الرسوم .

● قد تم انشاء جمعية خاصة بالفنون التشكيلية وتعتبر هى اول جمعية تضم الفنانين المحترفين والهواة

خامسا : قسم الدراسات والبحوث : ويعتبر هذا القسم من احدث الأقسام بالادارة ومن اهم انجازاته :

● اجراء البحوث الميدانية لجمع وتدوين وتحقيق التراث الشعبى .

● توثيق المعلومات والبحوث والتحقيقات الميدانية عن الحياة فى دولة قطر .

● تنظيم مسابقات لتاليف قصص الأطفال على امتداد دول الخليج العربية وكانت المسابقة الاولى سنة ١٩٧٧ م ووقع الاختيار على أربع قصص وهى (ثعلوب ، الاتفاق ، الغيمة السوداء ، اجمل من قوس قزح) وكانت الثانية سنة ١٩٧٩ م بمناسبة العام الدولى للطفل

● مسابقة القصة القصيرة بالتعاون مع مراقبة النشاط الثقافى .

ومن ضمن مؤلفات الأطفال طباعة قصتى ـ اسنان راشد وصياد اللؤلؤ ـ وكتاب لاناشيد الاطفال بعنوان انشودتي .

ومن نشاطات القسم في مجال الشعر :

● طباعة ديوان الشاعر القطرى حمد ابن فرحان النعيمي .

● طباعة ديوان الشاعر البحرينى عبد الرحمن رفيع .

● طباعة ديوان الشاعر القطرى سعيد البديد .

● طباعة ديوان الشاعر القطرى علي ميرزا محمود .

وفى مجال المؤلفات :

● كتاب تاريخ قطر وثقافتها المعاصرة .

● كتاب المؤسسات السياسية فى قطر .

● ايقاعات اغاني الغوص فى قطر .

هذه بعض الأضواء على النشاط الثقافى والفنى في دولة قطر ، وهو نشاط نحاول ان نملأ فيه روح المواطن وعقله بكل روافد الثقافة والفنون التى هى الغذاء الفكرى للانسان المعاصر فى كل مكان .

موسى زينل



أضواء على المحاكم الشرعية والشئون الدينيّة في قطر

اصدرت رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية كتابها الاحصائى السنوى لعام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ .

وفى صدر التقرير نبذة وافية عن قطر : الدولة والسكان ، ويحتوى هذا التقرير الاحصائى على ستة ابواب هى : تمهيد عن تاريخ القضاء الشرعى فى قطر وانشاء رئاسة المحاكم الشرعية وتطويرها وتنظيمها الادارى الجديد .

وثانى هذه الأبواب عن الهيكل الادارى والتنظيمى ، وثالثها عن الاختصاصات والاعمال ، ورابعها عن الموظفين ، وخامسها عن الموازنة ، وسادسها عن الانجازات .

وقد جاء فى الباب الاول عن تاريخ القضاء الشرعى فى قطر انه منذ ان مارس الشيخ محمد بن ثانى سلطته الفعلية فى منتصف القرن الميلادى الماضى وقد كان لكل قبيلة من القبائل المستوطنة فى شبه الجزيرة القطرية رئيساً مختاراً من الناس ، وكان اول من عرف بتولى القضاء الشرعى هو الشيخ محمد بن حمدان فى عهد الشيخ قاسم بن محمد ال ثانى (١٨٦٨ ـ ١٨٩٣ م) ثم اختير بعد ذلك الشيخ عبد الله بن احمد ابن درهم ، وفى سنة ١٨١٣ م استدعى الشيخ عبد الله بن قاسم ال ثانى الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع وهو من الفقهاء المشهورين واسند اليه امانة القضاء فى قطر ، وقد بنى له بناء خاصا عرف باسم المدرسة فى منطقة الجسرة بالدوحة فكان يجلس فيها للتدريس والقضاء حتى استقال من عمله سنة ١٩٣٩ م .

ومنذ ٤٢ عاما ، وبالتحديد فى الثالث عشر من شهر ذى الحجة عام ١٣٥٩ هـ ـ يناير ١٩٤١ م تقلد فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد ال محمود امانة القضاء فى قطر .


رئاسة
المحاكم الشرعية
والشئون الدينية
التقرير الاحصائي
١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ

غلاف الكتاب الاحصائى السنوى الذى أصدرته رئاسة المحاكم الشرعية .

وقد باشر الشيخ عبد الله بن زيد ال محمود عمله فى القضاء بمحكمة شرعية فى الدوحة برئاسته ، ووضع نظاما لتسجيل القضايا والاحكام وحفظها ، وقام بتعيين كل من الشيخ حسن بن محمد الجابر مساعداً فى تحرير الاقرارات وإثبات الشهادات وعقود الزواج والشيخ ابراهيم ابن عبد الله الانصارى فى القضايا المستعجلة وإبرام عقود الزواج وتحرير الاقرارات والشهادات ، وبعد وفاة الشيخ الانصارى تم تعيين السيد ابراهيم بن يوسف السادة مكانه .

إنشاء رئاسة المحاكم الشرعية

ومع اكتشاف النفط وزيادة السكان وإتساع العمران تكاثرت القضايا وتعددت أعمال المحكمة الشرعية وتنوعت اختصاصاتها ، فتقرر لذلك إنشاء رئاسة المحاكم الشرعية وكان ذلك فى أول المحرم ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م واسندت رئاستها الى الشيخ عبد الله بن زيد ال محمود . وكانت تضم فى حينها .

(١) المحكمة الشرعية الكبرى .
(٢) المحكمة الشرعية بالدوحة .
(٣) دائرة الأوقاف والتركات .

وبقيت رئاسة المحاكم الشرعية تمارس عملها فى مقرها القديم بمنطقة الجسرة لفترة طويلة الى ان تم انشاء مبناها الجديد جنوبى قصر الدوحة والذى افتتحه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى عام ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢ م ، ومنذ بداية عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م اصبحت الدائرة تحمل اسم «رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية» ، وتم تعيين وكيل لها خلال عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م واوكلت اليه مهمة تصريف جميع اعمالها وخول صلاحية التوقيع على كافة المعاملات والشيكات وكل ما له علاقة بمهمة الرئاسة والادارات التابعة لها .

بدايات التطوير

خلال أعوام ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ هـ وبعد دراسة أوضاع الرئاسة وأساليب العمل في إدارتها افتتحت الادارات والأقسام التالية :

(١) ادارة شئون المساجد (٢) مكتب العلاقات العامة (٣) قسم التركات (٤) قسم الهندسة والصيانة (٥) قسم المشتريات (٦) قسم المحفوظات (٧) قسم الحسابات (٨) ادارة الشئون الاسلامية .

(٩) مكتب الشئون الزوجية (١٠) قسم الاحصاء والتخطيط .

التنظيم الادارى الجديد

امام المهام والاختصاصات المتزايدة وفى ضوء انظمة وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية فى بعض البلدان العربية تقرر إعادة تنظيم الوحدات الادارية فى الرئاسة فصدر لذلك القرار رقم ١٨ لعام ١٤٠١ هـ بحيث تم جمع الأقسام ذات الهدف الواحد تحت ادارة واحدة وقد روعى ان يقوم كل قسم بمهام معينة ضمن الهدف المشترك للادارة التى يتبعها .

وفى الباب الثالث فصلت إختصاصات واعمال رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية حسب اداراتها واقسامها المختلفة

إدارة شئون الأوقاف

تختص ادارة شئون الأوقاف باقامة المساجد وبيوت الائمة وما يستوجب ذلك من اعداد التصاميم الهندسية والاشراف على التنفيذ كما تتولى صيانتها وترميمها .

وتقوم الادارة ايضا برفد المساجد بموظفين يتم اختيارهم عن طريق لجنة التوظيف المشكلة برئاسة مدير الشئون الادارية والمالية ، وتزويدها بالأثاث والاجهزة وكل ما يلزم لدوام إقامة الشعائر الدينية فيها . الى التفتيش عليها ومراقبة العاملين فيها للتأكد من مدى قيامهم بواجبهم ، كما تتولى الاشراف على الأملاك الوقفية الأخرى والمحافظة عليها واستثمارها .



مسجد "أبو بكر الصديق"

وتشمل هذه الادارة ستة أقسام .

الشئون الاسلامية

تتولى هذه الادارة نشر الثقافة الاسلامية فى البلاد .. وذلك بعقد الندوات وإلقاء المحاضرات ، وتوزيع الكتب الاسلامية والمصاحف ، وإنشاء المكتبات فى المساجد ، كما تقوم باعداد البحوث والدراسات التى تخدم الاسلام والمسلمين وترد على المغالطات والشبهات ، بالاضافة الى طباعة المصاحف والكتب الاسلامية بمختلف اللغات وتوزيعها على المسلمين داخل البلاد وخارجها . وتقوم بتنظيم الاتصال بالعالم الاسلامى من خلال وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية والهيئات والمراكز والجمعيات فى العالم ، كما تشارك بحضور المؤتمرات الاسلامية واعداد الأبحاث اللازمة لها ، واستقبال وفود المسلمين الزائرين الى البلاد ، كما تشرف على معهد الائمة والخطباء وتحسين مستواهم الثقافى . وتضم هذه الادارة خمسة اقسام .

التركات وشئون القاصرين

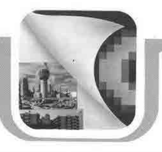
تختص هذه الادارة بحصر التركات والاشراف عليها ريثما يتم توزيعها على مستحقيها وفقا لقرار القاضى الشرعى ، وتتولى رعاية شئون القاصرين والمحافظة على املاكهم وادارتها وتنمية اموالهم وإستثمارها كما تشرف على صيانة هذه الأموال ... وتضم الادارة الأقسام الاتية :

أ - قسم التركات ب - قسم شئون القاصرين ج - قسم المحاسبة .

مجلة الامة

وهى مجلة اسلامية شهرية جامعة ، وإحدى وسائل النشر للثقافة الاسلامية ، ومن رسالتها ، العمل على جمع كلمة المسلمين ، البعد عن إثارة الأمور الخلافية ، وعن إعادة طرح المشكلات التاريخية التى انضج بحثها وانتهت بزمانها واشخاصها ، الاهتمام بمعالجة مشكلات المسلمين وتحدياتهم الحاضرة والمستقبلة ، ومحاولة تصنيف هذه المشكلات بحسب الأهمية ، والتفسير الاسلامى للحياة بجوانبها المختلفة ، جعل المسلمين اكثر إحساسا بمتغيرات الحياة وضرورة إختصار فترة التخلف ، ومواكبة التطور على هدى من تعاليم الاسلام . حتى يعود المسلمون الى مكانتهم فى قيادة البشرية ، هذا بالاضافة الى انها نافذة يطل منها القارىء على دولة قطر والعالمين العربى والاسلامى .

وفي الباب الرابع من التقرير الاحصائي لرئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ،





مبنى رئاسة المحاكم الشرعية .

يستعرض الكتاب بالاعتماد على الاحصائيات الدقيقة والجداول والاشكال البيانية الموضحة حجم الموظفين والعاملين بالرئاسة حسب فئاتهم الوظيفية وتخصصاتهم وجنسياتهم فيما بين سنتي ١٣٩٥ هـ ، ١٤٠٢ هـ ومما يدل على توفيق الله للرئاسة في تنفيذ عملها وما يقع على عاتقها من مسئوليات هو انخفاض معدل الزيادة السنوية للموظفين من ٩٪ ١٣٩٥ هـ الى ١٪ سنة ١٤٠٢ هـ ، ومغزى هذا الانخفاض هو ان الرئاسة تعمل بخطة ثابتة وخطوات مدروسة . كما تدل الاحصائيات على ان الرئاسة تتجه الى الاعتماد على القطريين كلما امكن ذلك ومما يدل على هذا هو ان نسبة القطريين العاملين بالرئاسة تمثل ٥٢٪ من مجموع العاملين .

وفي الباب الخامس يعرض التقرير الاحصائي لموازنة الرئاسة خلال الفترة من سنة ١٣٩٥ هـ ـ سنة ١٤٠٢ هـ ولعل الارقام انصع دليل على المشروعات الطموحة للرئاسة ، فقد انفقت الرئاسة مثلا على المشروعات الرئيسية العامة في هذه الفترة ثلاثة وثلاثين مليونا وثلث المليون من الريالات القطرية .

ويأتي الباب السادس ليتكلم عن الانجازات التي حققتها الرئاسة مفصلة حسب انجازات كل ادارة من ادارات الرئاسة .

وفيما يخص انجازات إدارة شئون الاوقاف فقد وضعت الرئاسة خطة لانشاء مساجد نموذجية بحيث تتميز عن غيرها من ناحية السعة والمظهر والتصميم الهندسي الذي يجمع بين صفات العمارة الاسلامية والعمارة الحديثة .

وفيما يخص إدارة الشئون الاسلامية فالادارة تنظم سنويا موسما ثقافيا إسلاميا تدعو فيه عدداً من رجال الفكر والدعوة الاسلامية في العالم ليشاركوا بمحاضرات أو ندوات في موضوعات اسلامية معاصرة تتناول جوانب ومشكلات فكرية واجتماعية بهدف نشر الوعي والثقافة ، وقد شاركت الرئاسة في عدد من المؤتمرات الاسلامية خلال عام ١٤٠١ هـ ـ ١٤٠٢ هـ ، وتقوم الرئاسة باستقبال الوفود الاسلامية القادمة الى الدولة وتهيء لهم برامج لزيارتهم واطلاعهم على نهضة البلاد ، كما اعدت أرشيفاً يضم معلومات وافية عن عدد كبير من الجمعيات والهيئات والمراكز الاسلامية في العالم كما يضم الدراسات والقرارات التي تتخذ في المؤتمرات والندوات الاسلامية .

وقد قدمت الرئاسة خلال السنوات الماضية مساعدات ومعونات مالية لعدد من المراكز والجمعيات الخيرية الاسلامية في مختلف الدول العربية والاسلامية والاجنبية وقد بلغت هذه المعونات في عام ١٤٠١ هـ حوالي خمسة ملايين ريالا قطرياً .

ويقوم قسم الدعوة والارشاد بتنظيم دروس الوعظ والارشاد في مساجد الدولة ومعسكرات الجيش والشرطة والسجون . ومنذ شهر رمضان سنة ١٣٩٩ هـ وتقوم الرئاسة بجهود خاصة لتكثيف الوعظ والتوعية الاسلامية في الشهر الكريم من كل عام وعززت هذه الجهود بدعوة عدد من كبار العلماء والوعاظ في الدول العربية الشقيقة للمشاركة في هذه الجهود .

وفي مجال المكتبات فقد انشئت الادارة في عدد من المساجد الكبيرة مكتبات مزودة بالمراجع الاسلامية والثقافية المتنوعة هذا الى جانب مكتباتها العامة الموجودة بمقر الادارة كما قامت بوضع خزائن للكتب في ٧٠ مسجدا وزودتها بمختلف الكتب التي يحتاجها المصلون .

وتتولى الادارة طباعة وشراء المصاحف والكتب الاسلامية بلغات متعددة وذلك من اجل توزيعها على المسلمين داخل قطر وخارجها خاصة المراكز والمعاهد واتحادات الطلبة والجمعيات الاسلامية وعلى الأخص الموجودة في المناطق المحتاجة وبين الاقليات الاسلامية في العالم .

ومساهمة من الرئاسة في توصيل المحاضرات والمواد الدينية الى ابعد مدى فقد عمدت الى توزيع اشرطة تسجيل القرآن الكريم والمحاضرات وغيرها على المؤسسات والنوادي والجمعيات والمراكز الاسلامية داخل البلاد وخارجها .

ومساهمة من الرئاسة في تحقيق الوعي الثقافي الاسلامي فقد اصدرت « كتاب الامة » في سلسلة فصلية

وفي ختام هذا العرض الموجز للعمل الضخم الذي تقوم به رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية لا يسعنا إلا ان ندعو الله أن يوفق القائمين على هذا العمل الى كل ما فيه خير للمسلمين . وان يسدد خطاهم على طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تقاسيم عشوائية.. إلى الذي لم يأت بعد !

شعر: فوزي صالح

● تقسيمة اولى :
ربما آتى إليكم ذات يوم
حاملا كل المواعيد القديمه
عابرا صمت التواريخ البليده
ربمـــا
يعرفنى البعض فسيماي علامه
ربما يأسرنى البعض ضماده
فاعرفونى
قبل أن تطغى الغيوم
أنا لا أملك سيفا أو رصاص
بل ولا أعرف سحرا
أشعث الشعر
ملىء بالحيـــاء
مبضعى اللفظ ، ومصباحى الحقيقه
يا أحبائى أصيخوا
ربما آتى إليكم ذات يوم فاعرفونى

● تقسيمة ثانية :
هل أتاكم نبأ الغيم ،
وميقات المطر ؟ ؟
سوف يأتى ..
انظرونى قطرة من بعد قطره
مانحاً كل الشقوق المكفهره
رشفة من بعض فيضى ..

● تقسيمة ثالثة :
ها أنت يا غريدة المساء
تدخلين فى عروقي الكسيحه
تؤججين فى الدماء
صولة المحال
ترفرفين كالحداء فى مدارج الفناء
والدماء ماء

● ● ●

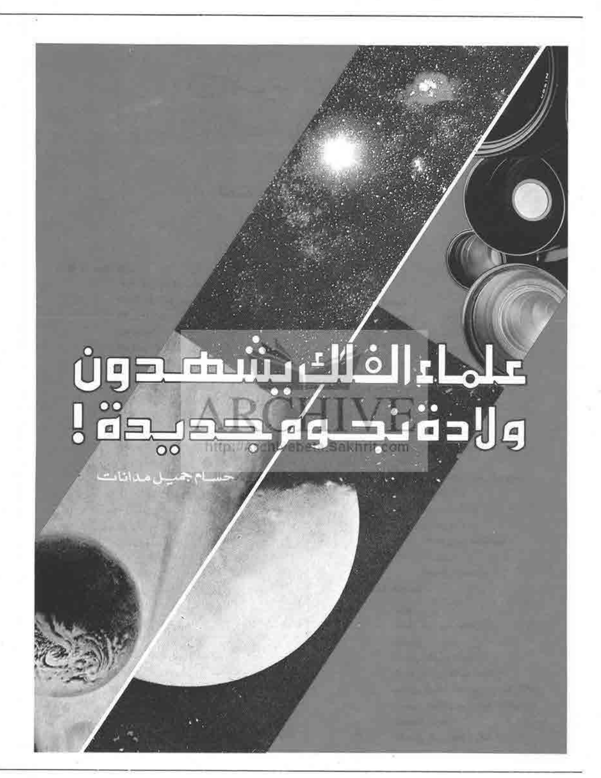
● لازمة كسيرة :
توددى .. توددى
دماءنا .. وبددى
توعدى .. توعدى
وللسلام .. غردى
حقوقنا .. خرافة
فمددى .. وهودى
توعدى .. توددى
توددى .. توعدى

● ● ●

● تقسيمة رابعة :
ويدخلون كالجراد فى لحومنا
يناوشون جرحنا
فى مضرب المواجع
، .. ويهدمون
ونحن قابعون يا ضياعنا
نعانق الرؤى ،
ونشق السموم ! !

● تقسيمة خامسة :

مشدود
أتفكر فى اللا معقول
أتحاور .. أرنو
أتبين مفهوم الصمت
لا أدرى ان كانت أحلام
أم أن البعد الملعون يميت الفكر
أسماء تتكاثر من غير ختان
فلسفة عرجاء
تتخلق فى رحم الإفك .. ،


علماء الفلك يشهدون
ولادة نجوم جديدة!
حسام جميل مدانات

لماذا يخفت ضوء بعض النجوم بشكل دورى ؟

يجيب العلماء : إن السر يكمن فى مرور كرات هائلة الحجم من الغبار أمام هذه النجوم وبشكل منتظم . وهذه الكرات يمكن اعتبارها بقايا او اشباح نجوم قديمة مندثرة . ولكنها ايضا عبارة عن نجوم جديدة وتوابع نجوم (كما هى الحال فى نظامنا الشمسى) ، فى طريق التكوين . وهكذا فعندما تنفجر بعض النجوم وتموت فإن رفاتها الغبارى يتجمع ثانية لولادة نجوم اخرى من جديد .

ولكن كيف ظهرت النجوم ؟ ولماذا تملك بعضها كواكب تدور حولها ؟

الواقع انه طوال العصور الماضية ، كانت الاجابة على اسئلة من هذا النوع ، تدخل فى مجال الشعر والخيال ، اكثر من دخولها فى المجال العلمى ، اما الآن فنجد العلماء فى مجالات الفلك والفيزياء النووية وقد بدأوا يقدمون تصورا علميا للعمليات التكوينية المعقدة ، ولقد تمكنت الأرصاد الفلكية (سواء للضوء المرئى او للأمواج الكهرومغناطيسية والاشعاعات الكونية المتنوعة) ، من إعطاء الأساس لتكوين فرضيات تبدو صحتها محتملة جدا .

ويبدو ثابتا ان النجوم تولد من كتل الغبار التى توجد متناثرة ، ثم تتكثف فى الفضاء داخل المجرات ، والأذرع اللولبية للمجرات تكون غنية بالغبار الذى يشكل بؤر جذب لدقائق اخرى جديدة باستمرار بفضل قوى الجاذبية ، وهذه الكرات من الغبـــار هى الصـــورة الاوليـــة لنجوم المستقبل .

ولكن يبقى انه بين الفرضيات والمشاهدة فرق كبير ، فالفلكيون لم يتمكنوا من مشاهدة نجوم فى طور التكوين إلا حديثا ، وهم متاكدون الآن من انهم قد شاهدوا نجوما فى الأطوار الاولية من تكوينها ، وفيما يلى امثلة على اجنة النجوم التى تتم مراقبتها منذ زمن ، وكل منها يعد مثالا على مرحلة مختلفة فى عملية تكوين النجم .

كيف تتكون النجوم ؟

المثال الأول لنجم يراقب باستمرار منذ بداية القرن الحالى ، واسمه ابسلون أوريجى Epsilon Aurigae ، وهو نجم قريب من كابيلا Capella فى مجموعة نجوم كوشر Cocher ، وكانت مرتبته تساوى (٣,٤) خلال ربع قرن ، ثم انخفضت الى (٤,٢) خلال سنتين لتعود وترتفع الى (٣,٤) وهكذا من جديد وبشكل دورى ، وهذا النجم هو عملاق أصفر تساوى كتلته ثمانية امثال كتلة الشمس ، ويبعد عنا حوالى (٢٠٠٠) سنة ضوئية .

ولكن ما هو السر وراء هذا الخفوت المفاجىء فى قوة إضاءة النجم والتى تدوم لسنتين ؟

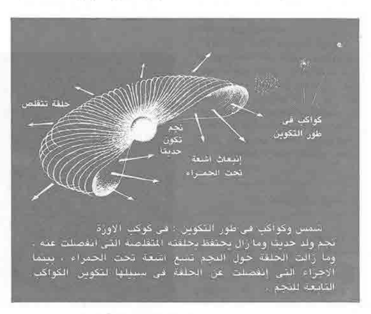
إن الطريقة التى تضعف فيها إضاءة النجم تساعد فى فهم هذا اللغز ، فانخفاض مرتبته من ٣.٤ الى ٤.٢ عملية تحتاج الى حوالى ستة أشهر ، ثم يبقى سنة فى مستوى اضاءته الدنيا ، حيث يبدا ضوءه بالاشتداد بعد ذلك وخلال ستة اشهر أخرى ، وبعدها يحافظ على مستواه الطبيعى لفترة الربع قرن التالى . إذن هناك تابع معتم لهذا النجم يتحرك ليصبح بينه وبيننا متحركا حركة دورانية بطيئة نسبيا . ولكنه لا يكون حاجزا كليا للضوء . إنه يمرر نسبة من ضوء النجم ، وهذا ما يجعلنا نفترض انه كرة مركزة من دقائق الغبار ، وتدل الدراسات أن قطر هذه الدقائق يبلغ حوالى السنتيميتر ، وهذه الكرة الغبارية تحيط بكتلة مركزية وتدور حولها .

وتبلغ الكتلة الكلية لهذه الكرة من الغبار المتكثف بين عشرة واثنتى عشرة مرة قدر كتلة الشمس ، وتدور هذه الكتلة حول النجم «ابسلون اوريجى» بتاثير الجاذبية المتبادلة بينهما ، ويبعدان عن بعضهما حوالى ٣.٥ مليار كيلومتر ، اى ما يقارب المسافة بين الشمس وكوكب بلوتو ، وعندما يبدأ التفاعل النووى ويبدأ تكوين هذا النجم ، فانه سيشكل مع النجم الآخر نظام نجم مزدوج ، بينما ستشكل هالة الغبار حوله مجموعة من التوابع او الكواكب .

والمثال الثانى يتعلق بنجم فى مرحلة التكوين ، ولكنه وصل طورا اكثر تقدما ، إذ بدات توابعه تتكون . إنه نجم فى مجموعة Cygne ويدعى MWC 349 . تبلغ كتلته ثلاثين مرة قدر كتلة الشمس ، وحجمه اكبر بعشر مرات من حجمها . وقد لوحظ الخفوت الدورى لاضاءته منذ نصف قرن ، ولكن رصد هذا النجم حديث الولادة (عمره عدة آلاف من السنوات فقط) بواسطة الأشعة تحت الحمراء ، مكن من رؤية هالة مضيئة ضخمة على شكل اسطوانى ، ولوحظ ان قوة إضاءتها تنقص بمعدل ١٪ كل شهر .

ويبلغ قطر هذه الاسطوانة ٢٢٤ مليون كيلو متر (اى انها تغطى المسافة من مركز الشمس حتى الأرض) . ويتناقص حجم الاسطوانة باستمرار مع اقترابها من النجم الام .

ويعتقد العلماء ان ما يشاهدونه هو عبارة عن مرحلة تكثف المادة اللولبية الدائرة حول النجم لتكون الكواكب . وسينطفىء بريق الهالة مع تكوين هذه



شمس وكواكب فى طور التكوين : فى كوكب الاورة
نجم ولد حديثا وما زال يحتفظ بحلقته المتقلصة التى انفصلت عنه .
وما زالت الحلقة حول النجم تسبغ اشعة تحت الحمراء ، بينما الاجزاء التى إنفصلت عن الحلقة فى سبيلها لتكوين الكواكب التابعة للنجم .

الكواكب . وحسب المعدل الحالى ، فان الاسطوانة ستختفى وتفقد ضوءها خلال مئة سنة .

والمثال الثالث يتعلق بنجم بالغ الجمال يدعى Betelgeuse فى مجموعة Orion وهو نجم قوى الاضاءة ، يميل لونه للحمرة ويشاهد فى فصل الشتاء . إنه نجم كهل عملاق يبلغ قطره ٣٥٠ مليون كيلو متر . وقد اظهر الرصد بالأشعة تحت الحمراء وجود كتلة ضخمة من الغبار المقذوف من النجم ، يبلغ قطرها ٤٥٠٠ مليار كيلومتر ، وهو حجم مذهل ويعادل حوالى ثلث سنة ضوئية (اى ان الضوء يحتاج الى اكثر من مئة يوم ليقطع هذه المسافة) . إن هذه الظاهرة هى نقيض ما رايناه فى المثال السابق . إنها تظهر نجما يقذف المادة الزائدة بعيدا عنه . إن هذه الظاهرة تساهم فى تجديد الغبار والدقائق والانوية التى ستتغذى عليها الثقوب السوداء فى المستقبل .

والمثال الرابع يتعلق باجسام سماوية تدعى «باجسام بوك» ، نسبة للفلكى الهولندى بارت بوك . ويبلغ عددها (٢٧) تشكيلة من الأجسام الواقعة فى طريق الضوء القادم من بعض النجوم والتى تمنع مرور الضوء . إنها كتل مكثفة من الغبار والغازات ، ويبدو ان كتلتها تبلغ بين خمس وعشر مرات قدر كتلة الشمس . وتمثل المراحل الأولى من عملية تكثف الغبار بفعل الجاذبية ، وهى عملية تحتاج الى حوالى مليون عام لتتم .

غلاف الهيدروجين

بهذه الامثلة الاربعة تظور الحلقة وقد اغلقت فى مراحل حياة النجوم ، ولكنها فى الواقع حلقة متصلة ، دورة تتكرر وتعيد نفسها ... بدأنا بمثال عن نجم فى طور التكوين ، ثم اخر تتشكل كواكبه التى ستدور حوله ، وثالث كهل يبذر مادته بقذفها بعيدا عنه ، ورابع يبدأ خلقه بعملية تكثيف الغبار الكونى .

ولكن هل تعبر هذه الامثلة عن جميع المراحل ؟ الم يبق هناك حلقة مفقودة او بالاحرى جزء مفقود من الحلقة ؟ .. لقد كان إنجازا هاما ان تم العثور على هذه الامثلة الحقيقية الملموسة (إذا صح التعبير) لمراحل كان وجودها افتراضيا فى السابق . ولكن الا يوجد مسبب ، محرك او مثير لهذه العمليات ؟ ما هى القوة التى تطلق الزناد او تشعل الفتيل لتبدأ عملية التطور من غبار الى نجم ؟

يبدو ان الاجابة على هذا التساؤل قد تحققت حديثا .. إذ يعتقد العلماء ان القوة الكامنة وراء انطلاق هذه العمليات هى انفجار نجم (سوبرنوفا (Supernova) حتى لو حصل هذا الانفجار فى مكان ليس بقريب من مكان تواجد الغبار الكونى الذى سيلد النجم .

لقد قام الفلكى «وليم هيربست» بدراسة قوقعة من الغاز المشع فى مجموعة الكلب الكبير . مفترضا انها عبارة عن الغلاف المتبقى من انفجار نجم «سوبرنوفا» ، وانها فى تمدد مستمر . ولقد ثبت ان هناك غلافا من الهيدروجين يتمدد باستمرار فى هذا الغلاف . وقد ادى قياس سرعة التمدد الى تقدير الزمن الذى مر على حصول الانفجار والذى يقارب ٦٠٠,٠٠٠ سنة . وفى مركز الغلاف الغازى هذا ، يوجد النجم (HD-54463) والذى كان احد نجمين فى توام او نجم مزدوج . اما الاخر فهو النجم «سوبرنوفا» الذى انفجر .

ما قلناه حتى الآن عادى ومعروف فى عشرات الأمثلة الاخرى . ولكن المثير فى هذا الامر انه فى اطراف القوقعة الغازية تظهر مجموعة من النجوم الشابة CMa RI وعمرها حوالى ٦٠٠,٠٠٠ سنة !

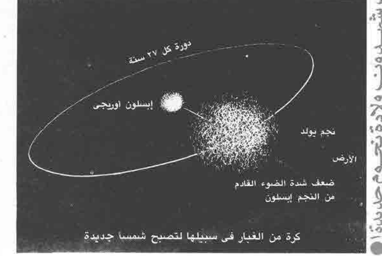
إن توافق عمر هذه النجوم مع عمر الغلاف الغازى لا يمكن ان يكون مجرد مصادفة .. إنه من شبه المؤكد ان هذه النجوم ناتجة عن مرور الغلاف الناتج عن انفجار النجم «سوبرنوفا» بكتلة من الغبار الفضائى . وتسير هذه النجوم الشابة بنفس سرعة تمدد الغلاف الغازى . ولابد انه يوجد داخل الغلاف نجوم اخرى فى طور التكوين واصغر من هذه . ويحاول العلماء الآن قياس عمر حوالى ثلاثين نجما توجد داخل الغلاف للتحقق من صحة فرضياتهم .

ويبدو ان الشمس قد نتجت فى الماضى عن عملية مشابهة .. اى انفجار «سوبرنوفا» مما اطلق ميكانيكية التقلص لكتة من الغبار لتكون نجما جديدا .

وبدراسة النظائر الموجودة فى بعض النيازك الساقطة على الارض ، نستنتج ان تركيب السديم الأولي ، والذى نشات منه الشمس هو تركيب غير متجانس . إنه يحوى عناصر يبدو انها تكونت فى مكان اخر .. فى نجم «سوبرنوفا» فى الغالب ، ثم خلطت هذه العناصر اثنــاء مرور الغلاف الغازى الناتج عن انفجار «السوبرنوفا» (قبل خمسة مليارات سنة) بالسديم الغازى الذى ولد الشمس .

هل يتحول الى شمس ؟

وبامكان الفلكيين الذين يدرسون ولادة النجوم من الغبار الفضائى داخل المجرات ، ان يلاحظوا مثالا قريبا منهم .. هذا على الأقل ما يؤكده مجموعة من علماء الفلك والفيزياء . فقد قادتهم ملاحظـاتهم الى استنتاج ان المشترى ، وهو اكبر الكواكب



كرة من الغبار فى سبيلها لتصبح شمسا جديدة

التابعة للشمس ، يمر فى الطور الاولى لارتفاع درجة حرارته قبل أن تنطلق التفاعلات النووية الحرارية .

ومن العبارات الشائعة فى وصف المشترى انه نجم قد اجهض ... مشروع نجم لم ينجح ! والسبب فى ذلك ، هو ان كتلة الهيدروجين فيه أقل بعشر مرات من الحـــد الاصغر اللازم للوصول الى ضغط مركزى كاف لحصول انصهار نووى حرارى ، كما يحصل فى الشمس مثلا ... إذ تنصهر انوية الهيدروجين لتعطى الهيليوم وكمية هائلة من الطاقة .

ولكن الملاحظات الاخيرة تدل على ان المشترى يحتوى بالاضافة الى الهيدروجين على الدوتيريوم ، وهو أحد النظائر الثقيلة للهيدروجين . ولم يكن العلماء قد اعتبروا الدوتيريوم فى حساباتهم السابقة . وهذه الكمية من الهيدروجين والدوتيريوم ستكون كافية لبدء التفاعل النووى الحرارى .

وفى الحقيقة ، إن المشترى يشع من الحرارة اكثر مما يصله من الشمس ، وكان العلماء يفسرون ذلك على انه نتيجة عملية إشعاع الحرارة المتبقية من التقلص الذى حصل قديما اثناء تكون الكواكب (قبل خمسة مليارات سنة) ، او بسبب استمرار تقلصه .

ولكن الفلكيين يرفضون هذه التفسيرات إذ يعتقدون ان هذه الحرارة التى يشعها المشترى هى دلائل بداية تفاعل نووى حرارى . وان المشترى الذى تزداد كتلته بجذبه باستمرار لاجسام فضائية وغبار كونى ، سيشتعل بشكل متسلسل وتدريجى خلال عشرات او مئات ملايين السنين القادمة ليصبح شمسا جديدة .

ولكن تحول المشترى الى شمس لن يكون له تاثير خطر على ارضنا ، فاصغر مسافة بين المشترى والأرض هى خمسة أمثال بعد الأرض عن الشمس . وفيما لو اعتبرنا انه سيعطى إشعاعات مساوية لما تعطيه الشمس فان الارض لن يصلها ما يعادل خمس الطاقة الشمسية من المشترى . وإنما مربع هذا العدد اى $\frac{١}{٢٥}$ من الطاقة التى تصل الأرض من الشمس . ومن المؤكد ان المشترى سيكون اضعف بخمس او عشر مرات من الشمس إشعاعيا . وهذا يعنى ان الأرض ستستقبل إشعاعا إضافيا يقل عن ١٪ من الاشعاع الشمسى الذى تستقبله حاليا . إذن ، لا داعى للقلق ! خاصة وان هذه الشمس الجديدة لن تتكون قبل مرور عدة بلايين من السنين كما يؤكد العلماء .

حسام جميل مدانات — الأردن

١

انفجار نجم سوبر نوفا بالقرب من غيمة من الغبـــار الكوني

٢

فوقعة النجم ســوبر نوفا اثناء تمـــدد ها لتعطى نجوما اولية

٣

نجوم فى طريق التكوين وبقايا السديم الغبارى

نجوم تكونت

النجوم من الغبار ، وإلى الغبار تعود :

(١) فى الصورة العليا ينفجر نجم « سوبر نوفا » وعلى مسافة منه يوجد سديم من الغبار الكوني ضمن نفس المجرة .

(٢) غلاف مادة النجم وقد قذفت بتاثير الانفجار لتصل إلى سديم الغبار وتسبب بدء تكثيف الغبار الذى سيكون نجوما فى المستقبل . وتكتسب أجنة النجوم هذه ، سرعة مساوية لسرعة تمدد المادة المنفجرة للنجم « سوبر نوفا » .

(٣) وهكذا تبقى هذه الأجنة على محيط الغلاف المتمدد للمادة المنفجرة ، بينما بقايا الغاز فى داخل هذا الغلاف ، تبدأ الآن بالتكثف لتكوين أجنة نجوم جديدة .

عصر الاتصال

بقلم: الدكتور عصام سليمان موسى

يتميز عالمنا المعاصر بالتقدم المذهل الذى تشهده الصناعة الالكترونية . فقد كان اختراع التلغراف والهاتف فى النصف الاول من القرن التاسع عشر مؤشراً لمولد عصر جديد هو عصر الاتصال الالكتروني . ورغم ان البداية كانت بسيطة ومتواضعة بمقاييس الزمن الحاضر ، الا ان صناعة الالكترونيات شهدت تسارعاً عظيماً فى اعقاب الحرب العالمية الثانية . ونتيجة لهذا ، شهدنا مولد الاقمار الصناعية ، ومحطات الاتصال الارضية ، هذه الأجهزة التى مكنت ربط العالم بشبكة منظمة من المواصلات الفضائية السريعة والمتقنة الى ابعد حدود الاتقان .

ان السمة الرئيسية التى تطبع العصر الحالى بفضل تطور صناعة الالكترونيات هى فى كونه عصر الاتصال (Age of Communication) . ويشار اصطلاحا الى الصناعة المتقدمة التى حملت هذا العصر على اكتافها بتكنولوجيا الاتصال (Communication Technology) . فاذا كانت سمة العصر هى هذه الصناعة المتطورة التى تميزه عن عصور اخرى سابقة ، فانه ولاشك يحق للبعض صدقا القول بان عصرنا الحالى قد شهد ثورة عظمى فى الاتصال وصناعاته . لذا ، فاذا كانت العصور الماضية قد تميزت بقيام ثورات كبيرة هزتها واخرجتها من دورتها التاريخية ، وحررتها من جمودها ، كما فى الثورة التجارية ، او الثورة الفرنسية ، او الثورة الصناعية ، فان سمة العصر الحالى هى بحق ثورة فى الاتصال : علما وصناعة .

وقد شهدت وسائل الاتصال الجماهيرى ، بدءا من منتصف القرن الماضى ، تسارعا ملحوظا فى التطور التقنى . لكنها اصبحت فى زمننا الحالى ضرورة لا غنى عنها لكل انسان . وانتشرت وسائل الاتصال الجماهيرى ، وتطورت صناعتها ، معطية زخما ، ومدا قويا ، لثورة الاتصالات الحديثة .

ولا ادل على اهمية هذه الثورة ما نلمسه جميعا من آثارها فى حياتنا . من منا يا ترى لم يستخدم الهاتف ، وينعم بلقاء صديق او قريب عبر خطوطه مختزلا المسافات الطويلة ؟ ومن منا لا يتسمع للمذياع ينقل اليه اخبار الدنيا واغانيها وتوقعات الحالة الجوية ؟ ومن لا يستمتع بمشاهدة البرامج التليفزيونية المختلفة ، الاخبارية او الترفيهية او التعليمية ؟ الم نتسمر جميعنا فى العام الماضى امام الشاشة الفضية نتابع مباريات الكرة العالمية التى حصلت فى اسبانيا ، فشاركنا فيها وكاننا نجلس على المدرج فى المكان الذى جرت فيه تلك المباريات ؟ الم نر ، فى برامج اخرى ، شخصيات عالمية تتحدث الينا من خلال المقابلات ، رغم ان البحار تفصلنا عنها ، بواسطة اجهزة الاتصال المتطورة ــ الاقمار الصناعية ومحطاتها ؟ اليس ذلك اقرب الى الحلم منه الى الحقيقة ؟

لكن هذا واقع ، لقد استطاعت تكنولوجيا الاتصال الحديثة ان تنجح فى اختزال المسافات الفيزيائية ، فتقرب بين الناس على اختلاف اجناسهم والوانهم ، عاملة على تحطيم الكثير من الحواجز النفسية والاجتماعية والزمانية والمكانية التى كانت تفصل بينهم حتى عهد قريب . الا نشعر باننا نعرف مصر ، والمصريين ، بصورة جيدة ، بفضل المسلسلات والافلام الاجتماعية المصرية ، رغم اننا لم نطا أرض الكنانة يوما ؟ الا نشعر ايضا باننا نتفاعل مع مشاكلهم ونفهم ظروف حياتهم فهما مناسبا . بفضل وسائل الاتصال الجماهيرية الالكترونية ؟

لو نظرنا حولنا نظرة فاحصة لراينا تكنولوجيا الاتصال تغمر حياتنا وتغزو علينا مشاعرنا ووجداننا وافكارنا دون وعي مباشر منا . فالاقمار الصناعية تسبح بالسماء من فوقنا ، والأمواج الكهرومغناطيسية تتطاير فى الاثير من حولنا ، دون ان تدركها عين او اذن ــ لكنها لدى ارتطامها باجهزة الاستقبال (الاتصالية) من حولنا ، تتحول اصواتا وصورا حية تتدفق بالمعلومات والنماذج المختلفة . وقل مثل ذلك عن الكتب والمجلات والجرائد التى تقذفنا بوابل من الحقائق والاعلام والترفيه ، وبسرعة قصوى ، كاننا نعيش فيضا من المعلومات لا ينتهى .

شبكة الاتصالات هذه التى تربط العالم واجزاءه المتناثرة البعيدة حقيقة عصرية تستدعى الدراسة والفهم . بفضلها صغر العالم وصغر حتى اصبح قرية عالمية ــ A. Global Village ــ كما شاء مارشال ماكلوهان ان يسميها . فعالم القرية صغير

محدود يعرف ساكنها كافة التفاصيل عن ازقتها ، ومبانيها ، وساكنيها ، وشوارعها ، وينابيعها ، ودوابها . بل واكثر من ذلك ، يحس انه يعرف هؤلاء معرفة وثيقة ويعرف تاريخهم . وهذا الحال مع عالمنا الحديث الذى نعرف الكثير عنه بفضل اجهـزة الاستقبال الموجودة فى كل منزل ، وبفضل الكتب والمجلات التى اصبح بمقدور كل واحد اقتناؤها وقراءتها .

ومن المؤكد ان المرء يقف فى نهاية الخط متلقيا فى الاغلب ما تبثه وسائل الاتصــال الجماهيرى . نحن على اتصال بالعالم ، ولكن من طرف واحد وهو طرفنا . ووسائل الاتصال الجماهيرية المتوفرة الآن تسمح بتحقيق ذلك ، لاننا « نتلقى ونستوعب المعلومات المتدفقة علينا ، كاننا جهاز استقبال فى معظم الاحيان » . ومن هنا فان عصر الاتصال الجماهيرى المعاصر قد راى فيه البعض « عصر الاتصال الآحادى اى ذى الطرف الواحد » .

صحيح ان الواحد منا يستطيع ان يتوقف عن التعرض للتليفزيون او الاستماع للمذياع ، او يلقى بالجريدة جانبا ، ان لم يعجبه ما يقال او ما يعرض . وقد يرى البعض ان هذا امر سلبى ينتقص من دور وفعالية الاتصال الجماهيرى ، لكن انتشار وسائل الاعلام بشكل كبير ، وفى كافة الدول ، وعلى مختلف المستويات ، يحد من قدرة الاعلام على تجاهل المرء كلية ، وتجاهل احاسيسه ومشاعره ومواقفه من القضايا المختلفة . فالاتصال الجماهيرى موجه اولا واخيرا للجماهير المختلفة بهدف كسب ودها وقبولها وليس رفضها . لذلك يعمل الاعلاميون على تحقيق هذا القبول والرضى . ولهذا نراهم يحرصون على ان يجيء عملهم متقنا ضمن مواصفات معينة تجذب الجماهير لهم ولوسائلهم . فوسائل الاعلام فى تنافس دائم لتقديم الاحسن القادر على جذب قاعدة واسعة من الجماهير . وكلما ازداد حجم القاعدة التى تتعرض لوسيلة معينة ولبرامجها ، كلما ازدادت قوة تلك الوسيلة : على الصعيدين المادى والمعنوى .

والمؤسسة الاعلامية التى تقذف برغبات جماهيرها عرض الحائط لا تلقى الا الفشل ويصبح مثلها مثل الذى يصرخ فى مدرج تخلو مقاعده من الناس فلا يسمع احد صراخه .

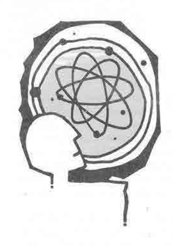
نخلص من هذا الى ان المؤسســـة الاعلامية مهمة اهمية المضمون الذى تنقله الى الجمهور ، وان الجمهور المستقبل لتلك المضامين يبقى فى النهاية هو المحك الذى يقرر نجاح المعروض عليه او فشله .

المؤسسة الاعلامية اذن بحاجة لجمهور يتعرض لها كما ان الجمهور بحاجـــة لمضامين ترضيه وتشبع نهمه للمعرفة والترفيه والنماء . وتزداد اهمية الجمهور فى وقت غدت فيه المؤسسات الاعلاميـة تعتمد الاستقلال الاقتصادى ، فهى اذن بحاجة لدعم هذا الجمهور ــ وخاصة عن طريق الاعلان . والجريدة التى تفشل فى بيع اعداد كافية يكون مصيرها افلاس اصحابها ، واغلاقهم لابوابها ، والاستغناء عن خدمات العاملين فيها .

من هنا فان عملية الاتصال الجماهيرى عملية متكاملة ، تتكامل فيها ادوار المؤسسة الاعلامية (المرسل) والمضمون المعروض (الرسالة) والجمهور المتلقى (المستقبل) ، فلا يجوز دراسة جزء من هذه الجزئيات الرئيسية للعملية الاتصالية بمعزل عن الجزئيات الاخرى . علاوة على ذلك ، فان فهم جزئيات هذه العملية كل على حدة امر ضرورى لدراس الاتصال الجماهيرى .

مقدم عصر الاتصال الحديث جعل من دراســــة الاتصــــال الانسانى (Human Communication) امرا لازما ، فاصبح فرعا اكاديميا تدرسه مختلف الجامعات ، وتقوم على ادارته نخبة متميزة من الباحثين والمفكرين ، يعملون بدأب وجد لدراسة الوسائل والسبل لفهم طبيعة الاتصال الانسانى .

لقد ثبت الاتصال نفسه علما قائما بذاته مستقلا فى القرن العشرين ، خاصة وان قدرة وسائل الاتصال الجماهيرى ــ كالاذاعة ــ على اختراق الحدود الاقليمية جعل منها قوة عظمى ومؤثرة فى مجالات الدعاية والاقناع وابراز وجهات النظر



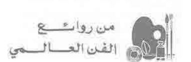
المختلفة ، مما حدا بتلامذة الاتصال لدراسة هذه الظواهر ومحاولة فك الغازها وجوانبها المعتمة للاستفادة منها بمحاربة الاعداء ، او فهم مقاصدهم . وتتسع دراسة الاتصال وتتشعب تبعا لاختلاف دارسيه وميادينهم فهناك الاتصال الذى يعنى بشؤون النفس ، والاقتصاد ، والسياسة والعلوم البحتة ، وغير ذلك كثير ، فمادة الاتصال الاكاديمية مرتبطة اذن بكافة الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية . من هنا ، فان دارس الاتصال يجب ان يكون متميزاً بقدراته وامكاناته ليستطيع ان يلم الماماً كافيا بجوانب المعرفة المختلفة . كاللغات والاداب والتاريخ وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والزراعة والاحياء والاحصاء وغير ذلك من علوم انسانية وفيزيائية ورياضية ، قد تزيد او تنقص تبعاً لقدرة الشخص واهتمامه وميدان اختصاصه العملى او النظرى . دارس الاتصال الناجح يجب ان يكون قادرا على فهم النفس البشرية من خلال التركيبة الاجتماعية ليستطيع ان يكون منتجا ناجحا ومؤثرا فى الاخرين .

قدرة الاتصال فى الاسس هبة من الله انعم بها على عباده وميزهم على غيرهم من المخلوقات . وبواسطتها يستطيع الانســان ــ منذ ايام الحياة الاولى ــ ان يتصل مع غيره ويتواصل ، وان يقترب من الناس او يبتعد عنهم ، بفضل القدرة على صنع الرموز ــ الكلمات والايماءات ، والاشارات ــ وتبادلها مع الآخرين لسبر اغوار نفوسهم وفهمهم وتفهيمهم ، لكن الاتصال الجماهيرى ، بفضل وسائل تكنولوجيا الاتصال الالكترونية ، هو انجاز انسانى حضارى يبين بجلاء قدرة العقل البشرى على الابداع . وكانى باجهزة الاتصال تعمل مثل جناح للانسان تحمله محلقة به فى الرحاب الواسعة ، حاملة اياه ليشاهد ما تعجز قدماه عن ايصاله له ، او حاملة له ما يشاء هو ان يشاهد او يسمعه وهو فى مجلس مريح فى المنزل محوطا بافراد اسرته ، ناعما بدفء البيت .

كذلك ، فان تطوير هذه الاجهزة الراقية لمؤشر واضح على ان الانسان فى الاصل انسان اتصــالى ــ يسعى للاتصـــال والتواصل مع الناس اينما كانوا وبشتى السبل والوسائل .

وقد حقق الانسان هذه الرغبة ، وعلى افضل صورة ، فى عصرنا الحالى ، عصر الاتصال .

د . عصام سليمان موسى .



بقلم : جمـــال قطـــب

سيدة العصر والحرب والسلام


جورج رومني ـ المع فناني بريطانيا في القرن الثامن عشر (١٧٣٤ ـ ١٨٠٢)

تاريخ مثير .. واحداث اقامت الدنيا واقعدتها وفي بريطانيا دولة التقاليد التي لا تغرب الشمس عن اراضيها ! يعقد برلمانها لمناقشة امر هام : كيف تستحوذ هذه الفاتنة على قلب سفير الامبراطورية العريقة ، فيهيم الرجل الوقور بها ، وتصبح اسرار البلاد في يد تلك الفاتنة تعبث بها كما عبثت بالسفير الكهل (وليام هاميلتون) ويضطر السير هاميلتون لعقد قرانه بهـا . لا لتنتهي تلك الاحداث المثيرة .. ولكن لتبدا احداث اخرى اكثر دويا ، تعلو اصداؤها حتى تعم العالم اجمع .. عندما اوقعت (ليدي هاميلتون) في شراكها الناعمة قائد اساطيل الامبراطورية ـ او قائد النصر كما كان يطلق عليه آنذاك ـ سير ادميرال نلسون ! وقصتهما معا طويلة غريبة .. تشعبت الى التحكم في مصير السياسة والحرب والسلام ،وفتحت لاحداثها صفحات التاريخ ولا يسعنا المجال لكي نسرد وقائعها مفصلة .. فلهذا مقام اخر .

واذا كنا قد بدانا من النهاية .. فلنعد الى الوراء بضع سنوات لنرى فنان بريطانيا الشهير (جورج رومني) وقد عثر على ضالته التي ينقب عنها .. لتكون نموذج ونجمة لوحاته العالمية التي تاخذ مكانها اولا باول في اروقة المتاحف والمعارض . كانت مثالا للجمال وتفتح الانوثة ورقة المحيا واتقاد الذكاء ..

كما كانت ضائعة في قاع العاصمة البريطانية ، تنتقل بين حوانيتها وبيوتها بحثاعن عمل متواضع يقيم اودها ويحفظها من السقوط تحت الاقدام في ليل لندن القارس الطويل .. وجدها الفنان في منزل احد اصدقائه ، وصحبها الى مرسمه بعد ان بهر بمقاييس جمالها المثالي .. وعلى مدى اربع سنوات اخذ يرسمها ويستلهمها في كل اللوحات والرموز والموضوعات حتى بلغ مجموع لوحاته الكبيرة لها خمسا وعشرين لوحة .. وبضع مئات من الرسوم التحضيرية السريعة ... وكلها الآن محفوظة في اطر من ذهب في كثير من المتاحف والقصور والمحافل الرسمية . ومن مرسم الفنان ، ذاعت شهرة (اما ـ ليون) واصبحت سيدة من سيدات المجتمع الراقي في حفلاته وندواته ومعارضه وسهراته .. واصبحت الفاتنة محط الانظار في مختلف العواصم الاوروبية .. فقد كانت مراسم الفنانين العظام امثال رومني ـ هي وكالات الانباء المصورة في تلك الايام حيث تنقب عن الجمال .. وتبرزه في اجمل صورة ، ثم تنشره على العالم على هيئة لوحات عالمية خالدة ! وهكذا تعرف عليها سفير بريطانيا في ايطاليا (سير وليام هاميلتون) ، فصحبها معه ، وحملت الاسم الكبير (ليدي هاميلتون) بعد ان تزوج بها في حفل اسطوري مهيب .. وفي بيت السفير بمدينة نابولي .. حط الاسطول البريطاني رحاله .. ونزل قائده نلسون ضيفا على سفير الامبراطورية .. وما إن وقعت عينا القائد على نجمة لوحات رومني .. حتى بدات قصة اخرى اثارت العالم حينذاك ، وقالت عنها الملفات الرسمية .. إنها إحدى قصص التاريخ المؤثرة في مسيرة السياسة والحرب والسلام .. ويرى القارىء على الصفحة المقابلة إحدى صور الليدي هاميلتون ، التي رسمها لها رومني ، وكانت سببا في شهرة الفاتنة في كتب التاريخ ، وفي شتى انحاء العالم .



اماليون او « الليدى هاميلتون » للرسام البريطانى جورج رومنى .

شجرة السنديان العجوز

بقلم : كلثم جبر



(١)

ـ فاطمة .. يقتاتني الصمت ونظرات الريبة في عينيك ؟

« تفجر الوجع من الشريان اكتسح غربة القرية وعيون أطفالها المنطفئة » .

تماثل الأمل بداخلها ، ولكن همهمات قوم تتسلل .. وصدى الليل الهادىء يسقط ، وانعكاسات القمر فوق سطح البحر القريب جداً من هياكل القرية السوداء . تتمازج الهمهمات ونقيق طائر « النورس » من بعيد . تقترب الهمهمات ..

ـ فاطمة .. علينا بالاسراع الآن .

« يتوقف انبثاق الحلم من المسام » .

تقترب الهمهمات أكثر .. تفتح فاطمة فمها . تبدو اسنانها كاضواء لؤلؤية في امسية بحار زاخرة .. يداه أسرع ، يغلق فمها . يسحبها حيث هو يطا الارض ،هى خلف التلة الجلمودية يحتميان .. تتضاءل الهمهمات وتختفي . يتنهد ويرفع متاريس يده عن الشهقة بداخلها .. يهمس ..

ـ فاطمة ؟

« ينبت في الخاطر السؤال . تطفو ذكرى الامس بناظريها فيستوطن الفزع » .

ـ فاطمة ـ غداً ساعلمك بكل شيء . غادرى المكان الآن سريعاً .

« يجتث الفرح وينبت الأسى » .

تمد يديها رغم الظلمة . تهزه بعنف تصرخ ..

ـ من ؟ كيف ؟

« تختصر السؤال » .

ـ اتوسل إليك فاطمة عودى الآن .

قدماها غابة رعب تشابكت اغصانها ،

انزرعت بالرمال الرطبة ، تنتزعها بقوة ، تحاول جرها .. عيناها بحيرتا ألم . تتلعثم ذكرى الأمس بالذاكرة (يتجسد وجهه الأسمر وعيون الغرباء النهمة وهى تحصي اللؤلؤ) .

تنطفيء الذكرى .. فتهرول .. تركض .. تسقط فوق الأرض الرملية . ويحرس هو الطريق !

تتلاحق ظلالها وانعكاسات القمر حيث بوابة بيتها الطيني . تدفع الباب تحاول الولوج ، تستقبلها أجساد إخوتها الممددة فوق « الفرش » المتلاصقة تحت بيارق السماء سعياً وراء نسيمات رطبة وهرباً من لسع حرارة الداخل الساخنة . يسبقها صوت أمها ..

ـ طوال هذا الوقت تستدعين خالتك ؟

تلج للداخل .. تحمل فراشها تضعه فوق الأرض الرملية .. تتمدد فوقه مجاورة أجساد الصغار حيث انعكاسات القمر تغمر وجه أمها والفناء « يهمس الحـــــزن والرعب » .

ـ أعتذر أمي .. لم أجد خالتي لذا عدت متباطئة .

(٢)

تهرول وجدائلها السمر وجلدها البني تحت الشمس الحارقة تحمل وجعها وصحن الطعام حيث الباب الموبوء بأقصى القرية والنخلة . تطرقه .. وتدلف .. تحتضن الكف العجوز . تضع طبق الطعام امامه وتصمت . عيناه الضريرتان فى الظلمة تبحثان عن صوتها . يرتجف وصوته ..

ـ فاطمة ـ تبدين اليوم رغم العتمة فى عيني كشجرة سنديان عجوز تنتظر اقتلاع ريح هادرة لها او السنة لهب أو ضربات فلاح حديدية ؟

تهمس ..

« وللحظة الحلم تبرق فى الذاكرة » .

ـ انتظر وجه الحقيقة خلف الغيمــة الممطرة متى يبزغ ازهر من جديد !

« يضمحل القاع وينسحق الفرح تحت أبيادر الريح » .

يعوى العجوز ..

ـ مذاق الصمت حنظلي الطعم والبوح محاولة انتحار فاشلة .

تحزم جدائلها وصحن الأمس الفارغ وتطرق الرمال الحارقة بقدميها يتلون جلدها البني والسؤال فى الخاطر تستنشق رائحة البحر من بعيد .

ـ فاطمة ..

يلهث صوت خلفها تعرف وجهه الأسمر دون أن تلتفت تستشعره بجانبها . ترى وجهه الذى بات لا يحمل لونا تحت الشمس ورابطة الدم تحمل انتماءه لها والتصاقه بها والقرية تهمس حينما تئن الصواري في الأمسيات الرطبة « بان فاطمة محبوبته وزوجته القادمة » .

يلحق بها ..

ـ اعلم غضبك فاطمة .. لقد شاهدتك تلك الليلة رغم الظلمة وقلقي . ولكن ؟

« تطفو ذكرى تلك الأمسية الهلع ويتضاءل الحلم » .

ـ ولكن .. لن تستطيعي الفهم مهما حاولت الايضاح .

« تسقط فى الدهشة » .

ـ لذا عليك النسيان .

« يتهاوى الحزن داخل عروقها فتنزف مقتا » .

تقترب من بوابة بيتهم الطيني . تنكسر نظرات أخيها الصغير تحت الشمس . تمسح قذى عينيه بطرف ثوبها وترفع وجهها إلى اللاهث خلفها ..

ـ ولكن .. اللؤلؤ الذى تداولته أيدى رهط الغرباء وبذاك بتلك الليلة المدلهمة . حبات عقد مهر فرح القرية الذى اعلن عن سرقته . حيث لا فــرح يعم القــرية باختفائه ! !

(٣)

يتكسر الموج ويضرب دفة السفينــة الراسية . تجاور الشراع وهمس العجوز المتحشرج يصلها متقطعا ..

ـ فاطمة .. الا زلت كشجرة السنديان العجوز ؟

« يحصدها الغضب » .

لن أزهر بعد اليوم .

يبتسم العجوز ..

ـ قريبا يقام عرسك .

« تنغرس ذكرى تلك الليلة القادمـة المتوجةبدقات الطبول بجلدها بوحشية » .

ـ وجع القرية مهري .

يرتجف العجوز كشراع مزقته العاصفة وترامى بقايا فوق الشط ـ يفترش الرمل المبلل يلقي الموج برذاذه فوق حضنه يبلل ثوبه ووجهه ويردد ..

ـ متى نغرس مشاتل الحقيقة نحصد الصبار .

تفترش الرمل الرطب بجانبه ..

ـ أيدى البحاره معروقة . وظهورهم تعبة . والتنفيس تحت الماء أصبح مجهداً . وعدد الجثث القادمة يفوق الأقدام المبحرة وحصيلة عرقهم مهري .

يستقبل العجوز مزيداً من الرذاذ بحضنه ووجهه يهمهم وهو يغرس اصابعه المعروقة فى الرمل . يغرسها حتى العمق .. يسحب ذيل سمكة تعفن تحت الماء يسحقها باصابعه يتضاءل ..

ـ فرح القرية وعرسك ضدان .

« تهدر عزماً » .

ـ فرح القرية مهري .

يتساقط العجوز حزناً يلملم بقاياه ويرعد بداخله ..

« ستقتلعك الريح او السنة لهب او ضربات فلاح حديدية » .



المجلس



إنسان الخليج في لوحات فنان

عبد الله المحرقي .. فنان من البحرين .. اهتم في لوحاته بابراز موضوعات البيئة واحياء التراث .

بقلم : يوسف أحمد

لاشك أن الفنان عبدالله المحرقي باسلوبه المتميز واختياره لموضوعات البيئة كالغوص والقنص وحياة البحر وغير ذلك من العادات والتقاليد المتوارثة ، أصبح يمثل علامة فنية بارزة تختلف عن باقي الفنانين التشكيليين في البحرين !

انه فنان حشد كل طاقاته ووظف كل موهبته الفنية من أجل تسجيل بيئة البحرين بالفرشاة والألوان ، لاقتناعه بضرورة الاهتمام ـ اليوم ـ بتسجيل كافة الانشطة الانسانية التي كانت موجودة أيام زمان ، خوفا من أن يضيع احساسنا باهمية التراث مع مرور الوقت وزحمة الحياة العصرية !

واذا ما استعرضت أهم لوحاته ، لوجدت أنها تصور الحياة اليومية بأدق تفاصيلها ، فهي تصل الى قلبك بسهولة ويسر خاصة وان اقتناعاته تؤكد ان الفنان مطالب بايصال مضمون العمل الفني الى المتفرج دون تعقيد او دخول فيما يسمى بفلسفة اللوحة !

وهو عندما يتحدث عن أسلوبه في العمل الفني ، فانه يعترف بتعامله في البداية مع كافة الاساليب الفنية : الكلاسيكية والرومانتيكية والتأثيرية والسيريالية والتجريدية ... ثم خروجه بعد هذه التجارب باسلوب خاص ، يجمع بين الرومانتيكية والكلاسيكية !

والمعروف أن هذا الاسلوب ـ بالطبع ـ يلقى قابلية عند مجموعة كبيرة من المشاهدين ، فهم يرون انفسهم فيه ، ويتعلقون به ، ولهذا فان الكثير من البيوت في البحرين أصبحت تضم اليوم لوحة أصلية للفنان عبدالله المحرقي ، الأمر الذي يجعلنا نستطيع ان نطلق عليه لقب « فنان الشعب » لأننا نادراً ما نجد مثل هذا الاقبال



سباق الخيل

العطش





فتح محار اللؤلؤ

زي شعبي

الشديد على مستوى الشعب لاقتناء اعمال فنان في منطقة الخليج !

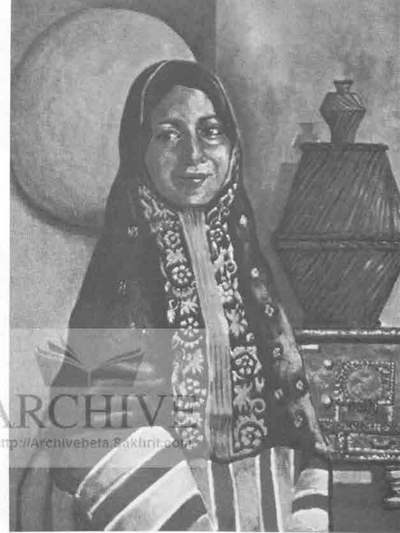
والمتتبع لاعمال هذا الفنان ، يدرك انه فى بعض الاحيان كان يتجه في اسلوبه الى التكعيبية ، وفي اوقات اخرى كنا نراه سيرياليا ، غير ان هذه الاتجاهات وغيرها كانت دائما لا تبعده عن روح البيئة ومعالجة الكثير من الموضوعات الانسانية !

وقد كانت رحلة الفنان عبدالله المحرقي فى الحياة غنية بالموهبة والاصالة ، ففى بداية حياته احس بحب شديد للرسم منذ صغره ، كان عمره فى ذلك الوقت ١٢ عاما ، أخذ يقلد اخاه الكبير وتمنى ان يصبح مثله ، وفى المدرسة الابتدائية كانت هوايته المفضلة هى رسم وجوه أساتذته وزملائه واهله في البيت ، وبعد حصوله على الثانوية العامة من القاهرة رفض والده ان يلحقه بكلية الفنون الجميلة لاعتقاده بان الفن لا يتناسب مع العادات والتقاليد ، لكن تصميمه على دراسة الفن ادى الى موافقة والده فى النهاية ليسافر الى دمشق ويلتحق بكلية الفنون هناك ، ويقضي معظم وقتــه دارســا للفن الاســلامي الغزير وتصميمات المساجد والأسواق العتيقة ، ومتاملا لصفاء المياه العذبة في قنوات الريف والخضرة الزاهية والطبيعة التى نمت في اعماقه حب الحياة والجمال !

وعاد الى البحرين وهو مشرب بهذه التجربة الفنية العريقة ، وبعد حصوله على درجة البكالوريوس عام ١٩٦٦ بتقدير امتياز !

وهنا اخذ يفكر في الاسلوب الذي سيخاطب به المتلقي للفن فى وطنه ، خاصة وان هذا المتلقي قد تنفره الصدمة الفنية من اي تعامل مع الفن التشكيلي !

وقرر أن يخاطب المتفرج مخاطبة مباشرة من خلال موضوعات تسجيلية تعيد اليه الايام التي مازال الحنين اليها رابضاً فى اعماقه .. واستطاع بهذا الاتجاه أن يكسب



ام الزمام

إنسان الخليج في لوحات فنان

قلب وعقل المتفرج فى البحرين ، وان تلقى اعماله الكثير من الرعاية والتقدير ..

واعطت وزارة الاعلام فى البحرين لفنانها كل الثقة ،فعينته مستشاراً فنيا لها ، وتم تكليفه بتصميم طوابع البحرين البريدية واللوحـــات الرسميـــة للوزارة والوزارات الاخـــرى بعـد ان كان نصيب الفنانين الاجانب كبيراً في هذا المجال !

وفي عام ١٩٧٠ اقام معرضا خاصا في لندن لاعماله الفنية ، وكان بذلك اول فنان تشكيلي خليجي ينقل بيئة الخليج الى رواد المعارض في انجلترا ، وظهرت اهمية هـــذا المعرض من الاقبـــال الشـــديد عليـــه وتعليقات النقاد الفنيين فى الصحافة الانجليزية ، واجمعت الآراء وقتها على ان سر نجاح هذا المعرض يعود لسببين ! اولهما : التعرف على البيئة في البحرين من خلال اسلوب واقعي بسيط .. وثانيهما : الرغبة في اكتشاف سحر الشرق ، وخاصة في منطقـــة الخليج التي مازالت بكرا وتحتاج الى الكثير من التنقيب والبحث وراء جذورها التاريخية والانسانية ..

وقد اتبع هذا المعرض بمعرضين آخرين فى البحرين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ ، لقيا من الجمهور كل ترحيب وثناء على هذا الجهد الرامي الى احياء شكل الحياة القديمة فى لوحات فنية !

والمعروف ان الفنان عبدالله المحرقي لم يترك معرضا للفنون التشكيلية في دول الخليج إلا وشارك فيه بمجموعة من اعماله كما انه لا يوجد مكان عام فى البحرين ـ اليوم لا يضم لوحة من لوحاته !

ومن بين الفنانين العالميين الذين تعلق بهم : سلفادور دالي الرســـام الاسبـــاني صاحب اللوحة المشهورة « سمك التونة » .. وكذلك مايكل انجلو بلوحاته التي تثير فى النفس الدهشة والابهار !

اما على المستوى العربي فهو يميل الى الفنان النحات والرسام المصري صلاح عبدالكريم ، والرسام السوري محمود سليم والفنان العراقي الراحل جواد سليم !

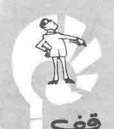
وهو يري بأن الفنان الجيد هو الذي يهتم بالثقافة الرفيعة ويملك الاحساس الجيد والموهبة والصدق والقدرة على التعبير !

ولكن ما هو موقفه من الفن التشكيلى في الخليج ؟ ..

انه يرى انه مازال متعثراً ، لقلة المتاحف ونقص الوعي الفني ونقص النقاد ، وقلة عدد المعارض المقامة سنويا وهذا يستدعي الاهتمـــام بكل ذلك ، اضافة الى اهتمام المدارس بالكشف عن المواهب الجديدة وتوفير كافة السبل لرعايتها والعمل على تنميتها ، مع العمل على تنظيم مسابقات تخصص لها جوائز مادية كبيرة ، والاكثار من زيارة كبار الفنانين العرب والعالميين للمنطقة !

ثم لا يبقى إلا ان اقول إن هذا الفنان الذي يعشق الالوان الدافئة ـ وخاصة البنيات ـ يعتبر من اهم رواد الحركة التشكيلية فى البحرين .. فهو عضو مؤسس في جمعية الفن المعاصر بالبحرين، وقد مثل الجمعية في عدة مؤتمرات ولقاءات عربية عادت بالكثير من الخبرة والتجربة على مستوى الفن والثقافة فى البحرين ..

يوسف أحمد



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

ما درجة حرارة الحيوانات

عندما نتحرك من مكان لآخر قد لا نجد اختلافا واضحا فى درجة الحرارة من حولنا ، ولكننا على اية حال لا نتوقع ان تتغير درجة حرارة اجسامنا ذاتها بتغير درجة حرارة المكان .. فذلك لا يحدث ، لاننا من فصيلة حيوانية ذات حرارة ثابتة .. وتضم هذه الفصيلة معنا جميع الحيوانات ذات الدماء الحارة ، وجميع الطيور . ولكن هناك حيوانات تتغير درجة حرارة اجسامها بتغير درجة الحرارة من حولها وتنتمى إلى الفصيلة ذات الدماء المتغيرة الحرارة ، وتضم هذه الفصيلة الحشرات والثعابين والسحالى والسلاحف والضفادع والاسماك ، وتميل درجة حرارتها لان تكون اقل قليلا من درجة حرارة البيئة ، فهى حيوانات ذات دماء باردة .

نحن نعلم ان درجة الحرارة العادية لجسم الانسان هى ٩٨٫٦ درجة فهرنهايت ، ولكن هناك تغيرات عادية كثيرة تحدث فى درجة الحرارة فدرجة حرارة الجسم تكون فى اقل مستوى لها حوالى الساعة الرابعة صباحا ، كما ان درجة حرارة الجلد اقل من درجة الحرارة داخل الجسم ، وتناول الطعام مثلا يرفع درجة الحرارة لمدة ساعة او ساعتين ، وتحريك العضلات قد يرفع ايضا درجة حرارة الجسم ، والكحول يخفض درجة الحرارة الداخلية .

اما درجة حرارة اجسام الحيوانات فانها تتراوح بين ٩٦ درجة فى الفيل إلى ١٠٩ درجة فى الطيور الصغيرة ويمكننا ان نصنف الحيوانات حسب درجة حرارة اجسادها كما يلى : فمن ٩٦ درجة إلى ١٠١ درجة حرارة اجسام الانسان والقرد والبغل والجحش والحصان والفار والفيل ومن درجة حرارة ١٠٠ إلى ١٠٣ درجة حرارة البقر والغنم والكلاب والقطط والارانب والخنازير ، ومن درجة حرارة ١٠٤ إلى ١٠٦ فى الدجاج الرومى والوز والبط والبوم والبجع ونسر الجيف ، ومن درجة حرارة ١٠٧ إلى ١٠٩ فى اجساد الدجاج والحمام وعديد من الطيور الصغيرة .

وكما يحافظ الانسان على معدل درجة حرارته ويمنع زيادتها بوسائل مختلفة فان الحيوانات تفعل ذلك بافراز العرق والتى لا تعرق منها تفعل ذلك باللهاث .

من أين جاءت فكرة خاتم الخطبة والزواج؟



من اقدم العادات الشائعة بين البشر جميعا خاتم الخطبة او الزواج ... ولا يدري احد متى بدأت هذه العادة التي نجدها شائعة معروفة حتى في اكثر عصور التاريخ قدما ...

وقد تكون هذه العادة ذات مصدر فلسفي عريق .. فالخاتم دائرة .. والدائرة رمز الكمال ، وبالنسبة للزواج فانها تمثل الدائرة التي تحيط بحياة الشخص فتبدو كاملة تامة .. فباستطاعتنا ان ننظر الى اي رجل بلا زوجة او اية امراة بلا زوج على ان كلا منهما شخص حياته ناقصة .. وعندما يتزوجان فانهما يكونان وحدة كاملة ... تمثلها دائرة خاتم الزواج .

وقد يكون لهذا الخاتم صلة باعتقاد الانسان البدائي في السحر .. فقد كان ذلك الانسان ينسج حبلا او شبكة على وسط

المراة التي ارادها .. وكان يعتقد ان طقوس الزواج تجعل روحها تحل في بدنه .. وانها صارت ملكه للابد

وقد شهدت منطقتنا العربية في مصر بدء ظهور عادة لبس خاتم الخطبة او الزواج .. فان الخاتم في الكتابة الهيروغليفية يعني الخلود .. وكان خاتم الخطبة او الزواج هو رمز الزواج الابدي .

ثم اخذ المسيحيون يستعملون خاتم الزواج حوالي سنة ٩٠٠ ميلادية .

ولكن بقي سؤال شغل الباحثين في تاريخ هذا الخاتم العريق هو لماذا يضعه الناس عادة في الأصبع الرابع ؟ ... ربما تعلم الناس ذلك من الاغريق الذين كانوا يعتقدون أن عرقا خاصا يصل هذا الأصبع بالقلب مباشرة .. ولكن الاحتمال الغالب ان السبب يرجع الى ان استعمالنا لهذا الأصبع اقل في العادة من استعمالنا للأصابع الباقية .. فوضع الخاتم فيه اكثر راحة وأروع زينة . ولعلنا نذكر ما كانت تعلمنا جداتنا ونحن صغار عن وظائف الاصابع وهي تلاعبنا حين تبدأ بالأصبع الصغير وتقول صغير وشاطر الى ان تأتي لهذا الأصبع فتقول لباس الخواتم .

ما الفرق بين الذهب الحقيقي والذهب غير الحقيقي



إذا كنت ممن يبحثون عن المعادن وينقبون عنها فى بطون الجبال .. فان الجواب يساوى الفرق بين الغنى العظيم والفقر المدقع .. فكثيرا ما عثر المنقبون عن الذهب على ما ظنوه ذهبا وطارت بهم الفرحة فى افاق من احلام الثروة ولكن ما لبثت أن ذهبت الفرحة واحترقت الاحلام حين وجدوا بعد التحليل أن ما بنوا عليه قصور احلامهم ليس إلا معدنا عرف فيما بعد باسم كبريتور الحديد .. وقد خلط الناس بينه وبين الذهب الحقيقى الذى فى الصخور لأن الذهب الحقيقى يوجد غالبا فى عروق الصوان الشفاف او فى كتل كبريتور الحديد .. وتقوم الرياح والمياه بتعرية صخور الصوان وكتل الكبريتور فيتحرر ركاز الذهب الذى يكون نقيا تقريبا ثم تجرفه المياه إلى قاع الوادى فيختلط بالرمل والحصى ويسمى فى هذه الحالة الذهب الطميى (وهو الذى يعثر عليه بطريقة التعدين بالغسل) وهذا النوع من الذهب هو اول ما اكتشفه الانسان من الذهب الحقيقى . ويوجد الذهب ايضا فى خامات المعادن الاخرى فخام الفضة يحتوى غالبا على بعض الذهب وكذلك يتحد الذهب غالبا مع خام النحاس الاحمر .. وحتى ماء البحر يحتوى على نسبة من الذهب ولكنها نسبة صغيرة جدا بالنسبة لكميات المياه الهائلة التى فى البحار والمحيطات .. لذلك لم يحاول احد فصل الذهب من مياه البحر ، ومع ذلك فان مياه المحيطات تحتوى على كمية من الذهب يقدرها العلماء بعشرة الاف مليون طن تقريبا .. ولعل هذه الكمية الضخمة من الذهب تغرى بعض كيميائيى المستقبل فيعثروا على وسيلة رخيصة يستخلصونه بها من مياه المحيطات والبحار .

الجراح العربي الأندلسي
أبو القاسم خلف الزهاوي
وكتابه في الجراحة

بقلم : الدكتور أمين الطيبي

يعد ابو القاسم خلف الزهراوى رائد علم الجراحة عند العرب فى القرون الوسطى ، كما كان لمصنفاته فى الجراحة اثر كبير فى اوربا حتى القرن الثامن عشر ، حيث عرف باسم البوقاسيس Albucasis المحرفة عن كنيته (ابو القاسم) .

إن المعلومات المتوفرة لدينا عن حياة ابى القاسم الزهراوى ضئيلة ، فهو ينتسب الى مدينة الزهراء التى شيدها الخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث (الناصر) على مسافة بضعة كيلومترات غربى قرطبة فى سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م ، وعلى ذلك فان الزهراوى ولد بعد هذه السنة ، وزاول مهنة الطب فى اواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر الميلاديين ، ايام الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد . وكان طبيباً متواضعاً زاهداً ، فقد ذكر انه كان يخصص نصف نهاره لمعالجة المرضى مجاناً على سبيل الاحسان . وكانت وفاته ، كما يذكر الحسن الوزان ، فى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م .

يقول ابن ابى أصيبعة إن الزهراوى «كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج ، وله تصانيف مشهورة فى صناعة الطب ... منها (كتاب التصريف لمن عجز عن التاليف) وهو اكبر تصانيفه واشهرها ، وهو كتاب تام فى معناه» .

ويعتبر (كتاب التصريف) هذا بحق موسوعة طبية ، ، وقد ترجم الى اللاتينية وكثر اعتماد الناس عليه فى العصور الوسطى . وهو كتاب شامل عن الطب فى كافة فروعه بحيث لا يحتاج مستعمله الى غيره من الكتب . ويشتمل الكتاب على ثلاثين مقالة تتناول أولاها الامزجة والأدوية المركبة والتشريح ، وتتناول المقالة الثانية الأمراض وأعراضها وكيفية معالجتها ، وتتناول بقية المقالات المواد الطبية وإعداد الأدوية واستعمالها والاقراص والدهونات واللصقات الخ .. إلا أن أشهر فصول الكتاب المقالة الثلاثون عن الجراحة . وسرعان ما ذاعت شهرة كتاب (الجراحة) فى العالم الاسلامى ، وترجم الكتاب الى اللغة اللاتينية جيرارد الكريمونى فى طليطلة فى اواخر القرن الثالث عشر باسم Chirguria اى علم الجراحة . وكان للكتاب اثر كبير على الجراحين الايطاليين ثم الفرنسيين . وعد بعضهم صاحبه فى مرتبة ابقراط وجالينوس .

إن أول تحقيق لكتاب (الجراحة) . مع ترجمة لاتينية له ، ظهر فى اكسفورد سنة ١٧٧٨ م على يد جون تشاننج Channing إلا أن الترجمة لم تكن دقيقة ، إذ أن تشاننج لم يكن طبيباً ، كما انه اعتمد فى التحقيق على مخطوط واحد للكتاب . وقام الفرنسى لوسين ليكليرك Lucien Leclerc باول ترجمة لكتاب (الجراحة) الى لغة اوروبية حديثة ، هى الفرنسية ، سنة ١٨٦١ م .

وقد اطلعت فى مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد مؤخراً على ترجمة انجليزية حديثة لكتاب (الجراحة) ، تعاون فى إصـــدارها مســتشرق هو ج . ل . لويس G. L. Lewis وطبيب هو م . س . سبينك M. S. Spink ، وصدرت عن مطبعة جامعة كاليفورنيا عام ١٩٧٣ . والكتاب يضم ٨٥٠ صفحة من القطع الكبير ، نشر فيه النص العربى محققاً وفى مقابله الترجمة الانجليزية ، مع مقدمة عن المؤلف والكتاب فى ثمانى صفحات . والكتاب يعتمد على سبع مخطوطات : اربع من

بعض الادوات الجراحية التي استعملها ابو القاسم الزهراوي في العمليات الجراحية

تركيا ، واثنتين من مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد ، وواحدة من بطنا في الهند .

يقول ابو القاسم الزهراوي في مقدمة كتاب (الجراحة) : «وقد قسمت هذه المقالة على ثلاثة ابواب . الباب الأول في الكي بالنار والكي بالدواء الحاد ، مبوب مرتب من القرن (أي الراس) الى القدم ، وصور الالات وحدائد الكي ، وكل ما يحتاج اليه في العمل بالید . والباب الثاني في الشق والبط والفصد والحجامة والجراحـــات وإخراج السهام ونحو ذلك ، وكله مبوب مرتب وصور الالات . والباب الثالث في الجبر والخلع وعلاج الوثى Sprains ونحو ذلك ، مبوب مرتب من القرن الى القدم وصور الالات» .

ويرى مترجما الكتاب انه أول كتاب يتناول موضوع الجراحة بشكل يقبله العقل ، مع توضيح بالرسوم . ويقول الزهراوي إنه يستهدف إحياء فن الجراحة كما عرفه الاوائل ، وهو يجل الاوائل كما يفعل عند الحديث عن مجبرى العظام ، مضيفا الى ما عرفوه حصيلة تجاربه الشخصية . إن الزهراوي يصف عمليات جراحية وادوات لا تظهر في ما وصلنا من الكتب الطبية القديمة ، وعلى ذلك فانه يمكن اعتبارها من ابتكاره ، او انها من أصل عربي .

إن كتاب (الجراحة) كان اهم واشهر كتاب في تاريخ الطب كله في العصر الوسيط ، وصاحبه اول مؤلف جعل الجراحة علما قائما بذاته ، مستقلا عن الطب ، قائما على اساس علم التشريح .

إن الزهراوي يطالب الجراحين بالشيء الكثير حين يقول إن علم الطب علم طويل ، وان على الطبيب قبل ان يزاول مهنته ان يتدرب في التشريح ، كما وصفه جالينوس ، لكي يكون على معرفة تامة بالأعضاء واعمالها واشكالها وامزجتها ، وكذلك بكيفية ارتباطها بعضها ببعض ، كما ينبغي ان يكون مطلعاً تماماً على العظام والأوتار والعضلات واعدادها وارتباطها بعضها ببعض ، وكذلك الشرايين والاوعية الدموية وما يتصل بها . وعلى ذلك فان الجراحة التي كانت الى عهد ابى القاسم الزهراوي مهنة يمارسها الحجامون والحلاقون اصبحت بفضله علما ذا صلة وثيقة بالطب .

إن من بين ما استحدثه الزهراوي في الجراحة والعمليات الجراحية ربط الشرايين بخيوط الحرير . كما ابتكر الات دقيقة جدا لانسداد فتحة البول الخارجية عند الأطفال الحديثي الولادة ، من مشارط وموسعات ، وابتكر حقنا مختلفة لغسيل المثانة ، كما وصف مختلف جراحات استخراج الحصوات .

د. امين الطيبي



مصادر البحث ومراجعه :

ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ .

انخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ .

مرسي محمد عرب : لمحات عن التراث الطبي العربي الاسكندرية ١٩٧٥ .

Albucasis, **On Surgery and Instruments,** ed. and tr. into English by G. L. Lewis and M. S. Spink, Univ. of California Press, 1973.

Ullmann, Manfred, **Islamic Medicine,** Edinburgh 1978.

يوسف إدريس يتحدث إلى
الدوحة بصوت عالٍ

الإنسان في عالمنا بائس جداً لأنه ليس مطلوباً منه أن يفكر!



أجرت الحوار: فوزية رشيد

د. يوسف ادريس

يتفرد د. يوسف ادريس ككاتب بانه مارس الابداع فى مدى واسع من الزمان والوسائط الأدبية المتصلة فيما بينها باكثر من وشيجة : فهو قاص وروائى ومسرحى وكاتب مقالة .. الأمر الذى يضفي على اي حوار معه تنوعاً وثراء وجدة .

وهو فى هذا الحوار الذى خص به «الدوحة» يتناول جدواه كاديب ، ودور الكتابة ، وما يرتبط بالتحديث فى الأشكال الأدبية ان قصرت على التكنيك وحده من تغريب للقارىء وللكتابة ، وسائل أخرى متعلقة بواقع الأدب والثقافة والتعليم والاعلام فى العالم العربى ..

● انطلاقا من واقع الانسان العربى امام هذا الكم الهائل من التناقضات الموجودة .. ما هى التوليفة النفسية الخاصة ليوسف إدريس تجاه ما يحدث ؟!

ـ هى توليفة نفسية اخذت وقتا طويلا جدا لكى اتقنها وانضجها . انا دخلت الأدب من قلب الحركة الوطنية وليس عن طريق القراءات فى كلية الأدب مثلا ... كنت من زعماء الجامعة ومن زعماء الكفاح المسلح والحركة الوطنية من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٢ أيام الثورة ، وثم اعتقلت ، فلم يكن هناك اهتمام سياسى إنما اهتمام بالوطنية مستمر ولازال موجودا . وكان لي شعار أن الكتابة هى وسيلة لتنبيه البطولة فى الانسان ، ولهذا اتخذت شعار أن الذى لديه كلمة طيبة فليقلها والذى ليس عنده فليصمت لاننا لسنا بحاجة الى كلمات تحبطنا ، فنحن محاطون باحباط الواقع الموجود والأحداث والمشاكل الموجودة .

وليس معنى قول (تنبيه البطولة فى الانسان العربى) أن اكتب ادب شعارات او أدب بطولات خارقة ! البطولة هى الشعور البطولى ... الشعور النبيل الذى فعلا يصنع بشرية راقية وإنسانا عربيا راقيا ... لأننا كعرب يكفينا تفاخرا بانفسنا وباننا شعب كذا وكذا وامجاد وبطولات الماضى . نحن لدينا عيوب كثيرة جدا على المستوى الفردى وعلى المستوى الجماعى ويمكن على المستوى الجماعى اكثر مما هو على

المستوى الفردى ، لذلك فنحن بحاجة الى تنبيه الأجهزة الحساسة . ليست الكتابة عن الاحباطات بطريقة الرسائل الى الذات التى هى موجودة فى معظم الشعر العربى كلها رسائل للذات وحتى عند مهاجمة او تعرية اوضاع يبقى الموقف من الاوضاع ضعيفا او أن الاوضاع اقوى منهم ، فى حين انه ككاتب او كشاعر يجب ان يكون سليما أولا حتى يستطيع ان يمثل السلامة أو الصحة فى المجتمع . ولكن لان كثيرا جدا من الكتاب يكتبون عن عجز على المستوى الذاتى أو عن خيبة او فشل فى الحياة فكتاباتهم تعطى مفعولا محبطا وبالتالى تصبح عبئا على القارىء اكثر مما تساعده . الكتابات الجديدة ذاتية اكثر مما يجب وهذا نوع (محترم وكويس) ولكن الانسان العربى فى هذه الفترة بحاجة الى المشاركة اكثر منه الى الاعتراف لاننا إذا اخذنا كلنا نعترف فسندخل فى دوامة رهيبة ، فمشاكلنا كثيرة جدا على المستوى الشخصى وعلى المستوى العام فالكتابة التى يحتاجها الشعب العربى فى هذه الفترة هى كتابة المشاركة يعنى ان يكون لدى الواحد ما يشارك به مع الاخرين . فما كان يساعد هذا وينضجه ان تكون هناك حركة نقدية ناضجة جدا تاخذ مما لدينا من البـذور الطيبـة والناضجـة والنـادرة وتمحصها وتجعل منها الصوت المسموع فى الحركة الادبية فى الوطن العربى ولكن مع الأسف ليس لدينا حركة نقدية ناضجة الى الآن !

● قلت فى سياق حديثك اننا بحاجة الى تنبيه البطولة فى إنساننا والى كتابة المشاركة فهل قصدت الدخول الى ما يحيط هذا الانسان العربى من إحباطات والخروج بشىء مضيء . اى بمعنى اخر مسك الخيط المضيء فى نفسية الانسان دون الدخول فى الاحباط الى القاع ؟!

ـ هذه النقطة دقيقة ومهم جدا شرحها . فليس معنى الجزء الايجابى او الايجابية أو البطولة أو الصحة هو افتعال شىء او وضع حلول من عند الكاتب .. حلول طفولية ... لا ... هناك بطولة موجودة فى الحياة ، من خلال حركة الحياة ذاتها وحركة النماذج ، وتفاعلها بما يحيطها ... هناك فى كثير من الأحيان قصص وروايات تعالج نماذج من الحياة وقصصا واقعية ، ولكنها تنتهى دائما مفبركة تكرس سلبيات معينة ، رغم أن امثال تلك النماذج فى الحياة ربما تكون اكثر إيجابية فى مواجهتها لما يحيطها ولظروف حياتها ... هذه الايجابية هى التى اقصدها وهى الجانب الطيب والمضيء فى الانسان ، فليس الانسان فقط ضحية يرثى لنفسه ويعيش العجز . انا مثلا اسمى فشلى نجاحا او تجربة نجاح مؤجلة ، فما افشل فيه اليوم قد انجح فيه فيما بعد .

● يوسف إدريس كاحد اهم الأصوات المبدعة فى فن القصة القصيرة فى الوطن العربى .. ماذا تعنى بالنسبة لك القصة القصيرة وما هى الفنية المطلوبة التى تعتقد انك استطعت أن تمسكها فى كتابتك القصصية ؟!

ـ انا لست افضل من يجيد التكلم عن كتابته . فى الواقع انا لا اعرف كيف اكتب او كيف اختار . هناك باستمرار بعد غير مدرك فى الكتابة او غير واع ، وهذا هو البعد الاساسى لدى الكاتب وهو محتواه الانسانى غير الواعى والذى يبادل به نفسه من خلال كتابته . من الجائز ان لا يكون فى وعيه التام او أن لا يكون محددا لهدفه بالضبط ، اى أن اكتب لكى اعمل كذا وكذا او اصور واقول كذا ... هذا يكون اقل الابعاد بروزا ، إنما البعد الغير واعى او البعد الكونى نستطيع أن نسميه «البعد الاساسى فى الكتابة» وهذا بعد لا يمكن التحدث عنه إلا بعد فترة طويلة وبعد تناول النقاد له وبعد مناقشات لكى يعرف الكاتب الابعاد التى ينطلق منها فى الكتابة الشيء الثانى أن لدي اعتراضا صغيرا على مسالة اننى أعلى الاصوات فى كتابة القصة القصيرة ، ربما لاننى لا أحاول أن اكتب قصة ولا قصة قصيرة ! لأن دعوتى فى القصة القصيرة انه هو الشىء الذى تقراه ولا تحس انه قصة ولا تحس انه قصيرة ... فالمسالة ليست بالحجم او بالنوع ، المسالة هى رؤية او تجسيد لعالم خفي يراه الكاتب ثم يضع جزءا منه او يضعه كله فى سطور قليلة ، فالموضوع ليس موضوع قصر او طول ، وليس موضوع حرفة ايضا ، اى أن يكون متمرنا على كتابة القصة القصيرة . ولا موضوع تكثيف او تركيز . وإنما هو موضوع القدرة على تلك الكتابة او الموهبة لاننى فعلا لا اكتب قصة ولا اكتب قصة قصيرة ! انا اكتب أشياء معينة لا اعرف ما هى ، يسمونها قصة قصيرة ! إنما هى أشياء اشعر بها تماما وتصبح حقيقة بالنسبة لي اكثر من الحقيقة فاكتبها . وهذا اختبار للحقيقة وليس للواقع مع ان هناك بعض الناس تتصور أننى اكتب عن الواقع !

● هل تقصد أن ما تكتبه يعتبر قمة الالتحام بالفن ذاته والذى يجسد الحقيقة التى انت تراها ؟!

ـ اقصد الالتحام بالعالم الداخلى او النظرة التى ارى بها العالم .

● كلامك هذا يدفعنى الى أن استوضح رايك فى التيارات او الاتجاهات الادبية السائدة فى الأدب ؟

ـ انا عندى **مقياس** واحد لنشر القصص ! ... عندى قصص لم انشرها ، وهناك قصص بقيت لدى اكثر من ١٥ عاما ، لأن المقياس عندى واحد وهو يقول ان هذه قصص تهم القارىء وهذه قصص لا تهم القارىء ، وهل هذه قصص ذات جدوى فى نشرها او لا . وليس مهما أن ابدو كاتبا فى نظر القارىء ، ولكن المهم او السؤال الذى يصبح ملحا عندى هل هى مفيدة للقارىء قبل ان تكون مفيدة لدي ككاتب . يمكن هذا هو المقياس !

● الاتجاهات ... ماذا عنها ؟!

ـ اما بالنسبة مثلا للاتجاهات الموجودة او التحديـث فـى الادب كجـزء اكثـر خصوصية ... فهناك محاولات جيدة جدا ولكنه للأسف كثير منها انعكاس للتحديث الحادث فى اوربا فتكون النتيجة انه عندما يحدث تحديث يحدث تغريب ! يعنى أن يصبح القارىء غريبا عن القصة او القصة غريبة عن القارىء . وإذا كان لي أن اتحدث عن فن القصة بشكل عام وليس عما اكتبه انا ، فانا اعتقد أن المحور الأساسى لمحاولة القصة القصيرة هو، كيف يقبض الانسان على الجزء الذى يصنع منه الكل ، بمعنى ان ليس كل جزء يكون قابلا للكتابة عنه ، وإنما انا اخذ واحدة من خلايا الجسم البشرى او اخذ موقفا واحدا ولكن من خلال هذا الجزء او الجزييء يتجسد كل معين . فالموضوع فى القصة القصيرة هو اهم شىء وليس التكنيك ، لأن التكنيك يصبح نتيجة من نتائج اختيار الموضوع . ولكن فى بعض الأحيان يصبح العكس هو السائد فيقول احدهم أنا ساختار لأكتب بالعامية مثلا لكى يصبح هذا تكنيكا جديد ! الفكرة ان الموضوع ربما لا يكون شيئا مهما بالنسبة له لأنه حتى لو اختار موضوعا مهما واحدث له تكنيكا جديدا مهما يكن وباى لغة تكون فيصبح مهما لدى القارىء ، فالاساس ليس فقط فى القصة وإنما فى القصة او الرواية او المسرحية او السينما او المقالة ... الأساسى فى كل هذا هو الموضوع .. هل هناك موضوع يستحق

ان يجند الكاتب نفسه لكي يكتبه ويجند القارىء نفسه لكى يقراه وتجند المطابع نفسها لنشر مثل هذه الكتابة ؟! من المفترض لدي ان يكون مقياس كتابة القصة القصيرة هو مشكلة حياة او موت ! هل هذه مشكلة حياة او موت ام لا ؟ إذا لم تكن كذلك فلا داعي لكتابتها ! لان هناك ايضا بعض الناس تعتبر الكتابة بديلا عن الفعل او بديلا عن العمل فقط ... لا ... الكتابة فعل والكتابة عمل ! يعنى ان اكون خائفا من ان استشهد ثم اكتب قصة عن شهيد ! هذه لن تخرج قصة عن شهيد لانها ستخرج قصة مصطنعة . إذا لم اكن انا اشعر او احس وانا اكتب مثل هذه القصة باحساس الشهيد وهو مقدم على عملية انتحارية فعلا اى انه يعرف انه سيموت وهو مقدر لهذا وشحن نفسه بالانفعال النفسى الكافى للاقدام على هذا العمل ... طبعا بدون هذا تكون الصورة مصطنعة . فالكتابة سواء كانت شعرا او قصة او رواية ليست بديلا عن الفعل ولا هى (بدل فعل) وإنما هى فعل ويجب ان تكون كذلك وعودة للرد على سؤالك ومن جانب اخر اقول مثلا ان التحديث فى الغرب اصيل وجاء ليعبر عن ازمات مجتمع حديث تجاوز ازمات مثل الجهل او الجوع المادى او العاطفى او النفسى .. تجاوز هذا الى الوفرة . فياتى إذا لكى ينمنم الحياة بالطريقة الحديثة وهذا يعبر عن احتياج فى المجتمع الغربى وبذلك هو بحاجة الى التحديث الذى اصبح مفرطا فيه لديهم ايضا ... ولكن نحن قضايانا الأساسية لم تحل فكيف ناتى لكى نستعير اشكالا لا تعبر عن قضايانا . هذا يكون مثل امراة لا تجد رداء يسترها او يستر عورتها وتريد ان تذهب الى الكوافير لكى يصفف شعرها ! وهذا راى ليس تقليديا وإنما هو ايضا راى حديث ودعوة الى التحديث وإنما تحديث فى الموضوع ، لان الموضوع الذى نطرقه ويخص العالم العربى يشمل مواضيع حديثة حتى على المجتمع العالمى ، بدليل انها تترجم وتنشر هناك ويقراونها بشغف شديد جدا ويعتبرون ان القصة القصيرة فى العالم العربى مزدهره !

اذا كان تشيكوف او موباسان او غيرهم اشتهروا بانهم كتبوا موضوعين او ثلاثة كانت حديثة على الأدب الأوروبى الفرنسى او الانجليزى مثل قصة تشيكوف عن الرجل (العربجى) سائق العربة الذى لم يجد احدا يحدثه عن موت ابنه فاخذ يحدث الحصان فنحن قدمنا الى الأدب العالمى مئات من المواضيع الحديثة جدا عليه ، وحتى بالنسبة لنا نحن فهذا هو التحديث الحقيقى ، التحديث فى الموضوع ، والشكل ياتى ليكون جزءا مكملا له . كان لدى مثلا قصة قصيرة عن طفلة (خدامه) تحمل صينية فواكه وتعبر الشارع وهى من أوائل القصص التى كتبتها .. هذه القصة وجدتها ترجمت الى الروسية والامريكية وأصبحت تدرس فى الجامعات لديهم فى الوقت الذى ليس لديهم اطفال يعملون خدامين ! ولكن لان الموضوع كان صادقا وجديدا فهم يقراونه ويهتمون به .. فلو مثلا اهتممت بالتكنيك الجديد فى وصف هذه الخدامة وهى تعبر الشارع ، وبالشكل دون الاهتمام بمشاعرها وهواجسها النفسية .. لم تجد من يشعر بها او يهتم بها !

● ما هو موضع النقد بالنسبة للحركة الأدبية فى مصر او فى الوطن العربى .. ثم ما هى حدود أزمة النقد فى تصورك ؟!

ــ الأدب بشكل عام قد تراجع دوره القيادى فى العالم العربى ، الأدب لايقود العالم العربى ولا يقود الانسان العربى . الذى يقود هو الاعلام ، وسائل التليفزيون والراديو والسينما والتى هى وسائل غير علمية وغير جادة . ثم ان الفكر العربى حاليا فكر مشتت ومهلهل وموزع بين حروب فكرية صغيرة جدا وتافهة .. من ملك القصة القصيرة ومن ملك الرواية .. ومن امير الشعراء الى اخر هذا الكلام والتقييم السقيم غير المجدى . والمفكرون او النقاد لايقدرون حجم المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتق الكاتب او الشاعر فى هذه الفترة الحرجة وبالتالى فهذا جزء من الهلهلة السياسية الموجودة فى العالم العربى . فنحن محكومون بنفس الأوضاع التى تحكمنا سياسيا وادبيا وفكريا . واقول إن لهذا الجانب السيء جانبا حسنا وهو انه من هذا الركام ستنشا قيم وافكار جديدة شجاعة جديدة وبعقل اكثر استنارة بكثير لانه بصراحة فان الواقع الموجود حاليا وعلى الصعيد الذى يراه الانسان بوضوح هكذا لايوجد اي امل ! إنما الامل موجود فيما هو غير مرئي . وطبعا بجانب القيادات المخلصة لابد من وجود حركة فكرية وثقافية وفنية مخلصة ايضا من اجل ان تستطيع ان تنقذ الشعب من ترهلاته الكثيرة ومن ظروفه السيئة .

● رايك فى القصة القصيرة فى مصر ؟

ــ هناك ازدهار كمي وكيفي الى حد ما ... ولكن ايضا القمة النامية فى القصة القصيرة يجب ان تكون تجاه اختيار مواضيع جديدة واكتشاف الواقع العربى واكتشاف النفس الانسانية العربية والمصرية وهو اكتشاف لا يقل اهمية او خطورة عن أى اكتشاف علمى . نحن نريد مكتشفين فى هذه النفس وليس كتابا فقط . مكتشفين يكتشفون لنا انفسنا ونفسياتنا ويحدثونا عنها . ولكن للاسف لدينا عدد كبير جدا من الكتاب ولكن الكثير منهم يفتقر الى هذا العنصر الهام فى الكتابة .

● سبق وأن طرحت فقر الفكر وفكر الفقر كتعبير بديل عن ازمة الفكر وفكر الأزمة ... كيف يتجسد تعبيرك هذا بالنسبة للثقافة والأدب فى الوطن العربى ؟

ــ أولا انا حددت الفقر بانه ليس فقرا ماديا ... العالم العربى لا يعانى الفقر المادى بالشكل الموجود مثلا فى الهند او بعض دول جنوب شرق اسيا . ولكن فى تلك الدول رغم فقرها المادى حياة روحية عالية جدا التفكير الديني والانساني لدينا كان تفكيرا خلاقا وتفكيرا به اجتهادات خطيرة جدا ومهمة لدرجة ان الغرب المسيحى كان يترجم ويدرس ابن سينا وابن رشد وغيرهم كاساتذة كبار ولكن النتيجة ان لدينا تفكيرا فقيرا ونتيجة هذا ايضا فقر فكرى ... وهناك دائرة متصلة ... الغنى الفكرى يؤدى الى غنى حضارى وغنى روحى فى الانسان نفسه ... فالانسان عندنا فقير ، فقير فكريا .

● من خلال ما قرات لك فى نفس الموضوع يتضح لي انك ارجعت هذا الفقر الفكرى لسبب افتقاد الديمقراطية فى العالم العربى ؟!

ــ اجل .. لحد كبير وليس فى ذلك شك .

هناك علاقة جدلية وهى ان الديمقراطية تحتم ان يكون للانسان راي فيضطر المواطن فى دولة ديمقراطية مثلا ان يقرا لكى يكون له راى . فاذا كان فى العالم الغربى يضطر ان يختار المواطن بين مسز (تاتشر) مثلا وبين مرشح اخر لحزب العمال فانه يضطر بالنتيجة ان يقرا لكى يعرف الفرق بين حزب العمال وحزب المحافظين ويضطر ان يقرا فى فلسفة الاصلاح وتاريخ نقابات العمال فى انجلترا ، وبالنسبة لحزب المحافظين يضطر ان يقرا فى تاريخ الامبراطورية البريطانية . وإذا كان ناخبا

يريد أن يروج لرأيه فانه يضطر أن يتسلح بالراى والاطلاع ... والمرشح ايضا يضطر لذلك لكى يدافع عن ارائه فى المجالس التى يرشح نفسه لها والكاتب الصحفى الذى يعمل فى جريدة ما ولديه حرية الكلمة لكى لا يصبح جاهلا ويدلى باراء عشوائية يضطر أن يطلع أيضا باتساع . إذاً فاساس الفقر الفكرى لدينا هو الفقر الديمقراطى الذى نعانيه بالضرورة

● اى انه من جانب اخر مكمل لما قلته ان ما تعانيه الثقافة العربية بشكل اكثر خصوصية من اختناق هو نتيجة انعدام المناخ الديمقراطى الملائم لتفتح الثقافة .

ـ هذا صحيح .. ولو اردنا تخصيصا اكثر كمثال ... فلنمسك مثلا حياة أسرة عربية ... ماذا تفعل ؟ تفكيرها منصب بالدرجة الاولى فى ان توفر لنفسها اول بديهات الوجود الانسانى وهو البحث عن اللقمة ... اى ان تاكل لتمسك الجوع ... ولكن ثم ماذا ؟ هل هذه حياة روحية ؟! لنقارن ذلك بحياة اسر تتواجد فى اجواء أكثر إنسانية من أجوائنا ، يصبح الغذاء هامشيا ويمثل الاستمتاع بالحياة الفكرية والترفيهية والثقافية نطاقا أكبر . إذا بالنسبة لنا فلازلنا لم نخرج عن إطار الحياة الحيوانية ! لدينا مثلا لا توجد اسر تخطط لكى تذهب الى مسرح ما ، فيضطر المسرح ان يقدم شيئا جيدا يرضى مشاهديه أو رواده المنتظمين ، المسرح لدينا اصبح ذا مستوى رديء وانخفض مستواه حتى الى أيام ما قبل شكسبير مثلا ، والذى كان يعرض هناك قبل ٥٠٠ عام . فاذا عرض اليوم شكسبير عندنا فانه لا يجد جمهورا ! لماذا ؟ لانه ارفع ثقافيا من مستوى المسرح المعروف حاليا لدينا فى البلاد العربية والذى اعتادته الأغلبية .. وارفع من مستوى المسلسلات التليفزيونية (موضة الثقافة اليوم) ! فحياة الأسرة المتوسطة أو العاملة أو حتى الغنية فى البلاد العربية حياة فقيرة جداً .

● من جانب اخر هذا راجع الى عدم وجود الوعى الكافى وبسبب انشغال الناس بما هو معمم وما هو موجود فى الواقع ذاته من أوجه قصور كثيرة مما لا يتيح أن يكون هناك مجال للانسان لكى يفكر فيما حوله من مصادر للجمال أو حتى ان يفكر فى الغاية من وجوده فى هذه الحياة ، وبالتالى ان يفكر فى الفن أو فى الأمور التى تجعله بالفعل إنسانا مفكرا ومتذوقا للفكر والثقافة والفن .

ـ الانسان فى عالمنا يائس جدا ! لانه ليس مطلوبا منه أن يفكر ! ليس مطلوبا منه ان يفكر فى مشاكله لان القوانين هى التى تضع الحلول لمشاكله حسب ما تراه ! وليس مطلوبا منه حتى أن يفكر فى اختيار طريقة تعليم أولاده لأن التعليم موجود وهو لا يختاره ايضا ! وهذا التعليم فى النهاية يجعل الانسان باختصار غير متعلم لانه لدينا نمط واحد من التعليم يخرج اناسا جهلة وليسوا متعلمين ! حتى عندما ياتى إنساننا لكى يختار كلية من الكليات فليس المطلوب منه ان يفكر لأن الكمبيوتر يدخله الكلية حسب درجات المتقدم ! فالعقل غير مستخدم فى كل ادوار الحياة ! ولكل أفراد الأسرة اطفالا كانوا ام كبارا !

● رايك فى الثقافة المصرية فى السنوات الاخيرة ؟

ـ حدثت ازمة خطيرة فى الثقافة المصرية فى السنوات الأخيرة بعد فترة عبد الناصر وجذورها كانت موجودة حتى منذ ايام عبد الناصر لانه مع الاسف حدث صدام بين الثورة المصرية والمثقفين ! هو صدام كانت الخاسرة فيه الثورة المصرية نفسها لانها لم تثقف الشعب أو تعطيه ثورة ثقافية راسخة الجذور فكانت النتيجة انه عندما انتهت الحقبة الثورية لم يكن لدى الشعب المحصول الثقافى الذى يكفيه لكى يستمر فى معركته ويدافع عن الفكر المستنير ، فكانت النتيجة ايضا انه يمثل ما أعطى اخذ منه بدون مقابل وبدون تجذير ! لا جذور شعبية ولا حزبا قويا يحمل أفكارا جديدة ليس فقط بالنسبة لمصر وإنما بالنسبة للعالم العربى كله ، ووجهات نظر مختلفة حتى بالنسبة لوجهة نظرنا فى حل قضية قومية وهى القضية الفلسطينية فهى تنحصر فى فكرة واحدة أو فكرتين ولا توجد افكار اخرى جديدة حول الموضوع ، ولم نضع لانفسنا فكرا اجتماعيا عربيا خاصا يستطيع ان يستوعب ما نواجهه ويحل المعادلة الاجتماعية العربية .

● تقول اننا بحاجة الى فكر اجتماعى عربى خاص خارج التجارب الفكرية الانسانية السابقة . هل تعتقد أن الواقع العربى حاليا مؤهل لذلك ؟

ـ يعنى نسبة طلبة الجامعة وخريجى الجامعة بالنسبة لعدد السكان فى البلاد العربية تعتبر من أعلى النسب فى العالم ! عندنا نسبة تعليم (عالى) كبيرة جدا وفى نفس الوقت لدينا نسبة امية عالية جداً ! أوربا مثلا النسب فيها متوازية . لا يوجد هذا العدد الضخم من خريجى الجامعات ولا يوجد بها ايضا عدد ضخم من الاميين وإنما هناك متوسطو الثقافة وعلى مستوى ثقافى جيد وهم الذين يملاون المجتمع هناك . فخريجو الجامعات لدينا ليسوا بمستوى الخريجين وإنما هم يمثلون التعليم المتوسط أو الثقافة المتوسطة . ونوعية التعليم وأسلوب التعليم يلعبان دوراً هاما فى سبب ذلك ، فلازال لدينا بقايا من بقايا التعليم الحقيقى والذى كان موجوداً فى البلاد العربية والذى كان يعتمد التعليم الاوربى الانجليزى والفرنسى . وهؤلاء هم بقايا البقايا الذين لايزالون يصنعون لنا الشكل الحضارى الموجود لدينا . بعد هؤلاء لا يوجد شيء ! لأن حاليا المثقف العربى عندما يتثقف يهاجر ولا يبقى فى البلاد العربية أبدا .

● هذا يفيدنا بان الفكر العربى هو فكر غير مبدع تجاه ما يحدث فى واقعه وتجاه الزخم الموجود فيه من قضايا مصيرية لأسباب موضوعية أشرت الى جزء منها . فى اعتقادك هل هناك من أسباب أخرى ومدى صحة تلك الظاهرة ؟

ـ يجب ان نلاحظ ان ليس سبب الأشياء جميعها هو المواطن العربى . السبب ايضا اننا فى منطقة يعيش عليها شعب من أفقر الشعوب كما اتفقنا على نوعية ذلك الفقر . هذا الشعب يعيش فوق أغنى كنز اكتشفته البشرية . فالاستعمار والقوى العظمى التى تريد أن تستغل تلك الثروات تعمل على إضعاف مثل هذا الشعب وإفقاره فكريا بكافة الوسائل ليظل معتمدا عليه ومطواعا له ولا يشجع اى فكر مستقل . ولهذا انا أقول لأصدقائى العرب الكثيرين إن الخلاف الواقع بين مصر وبين البلاد العربية ليس من صنع مصر ولا البلاد العربية ، وإنما مخطط له ومرسوم من اجل حرمان العرب من إيجاد كيان فكرى مستقل كانت مصر قد بداته . المشكلة فكرية اساسا . المشكلة هى تجزئة العقل العربى بدءا بمصر تمهيداً لتجزئة العالم العربى الى سورى ولبنانى وعراقى وبحرينى وليبى الخ . ليس تجزئة بالحدود وإنما تجزئة الروح العربية ذاتها وتحطيم فكرة القومية العربية .

فوزيــة رشيد

● الطبيعة هي أحسن طبيب في العالم ●

عصير الخضروات والفاكهة

قيمتها الطبية وتأثيرها على الميكروبات

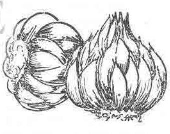
■ عصير الثوم ■ عصير البصل ■ عصير الكرنب ■ عصير الليمون

بقلم: الدكتور عزالدين فراج

قديما لم يكن للناس علم بالمطهرات فكانوا يستعملون البصل والثوم فى علاج الجروح وتطهيرها .

وقد ذكر ابن البيطار الثوم فقال :

« الثوم مدر للبول وطارد للدود ، وانه اذا خلط بالملح والزيت ابرا البثور واذا خلط بالعسل والبورق ابرا حب الشباب وقروح الراس والبهق والجرب المتقرح » .



وفى عام ١٩٢٧ قام الدكتور كوك والدكتور جبريل من أطباء مستشفى بادنجتون بانجلترا بتجربة استطاعا فيها معالجة خمسين جرحا متقيحا بغسيلها بمحلول مؤلف من جزء واحد من عصير الثوم واربعة اجزاء من الماء المقطر . ولم ينقض على هذا الغسيل يوم واحد حتى زال ما بهما من تقيح وشفيت جميعها .

ثم اجرى الدكتور توكين بعد ذلك ومعه بعض الأطباء الروس تجاربهم فى هذا الصدد فكشفوا ان مستحضرات البصل والثوم وبعض الخضروات الأخرى ذوات الروائح النفاذة ، تقتل بعض الميكروبات وكثيرا من بويضات بعض الديدان .

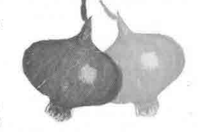
وقد عرف كثير من العلماء هذه الحقائق عندما وجدوا ان مزارع الميكروبات قد أصبحت خالية من ميكروباتها فقد ماتت عن اخرها عندما تعرضت لعصارة البصل، ووجدوا ان اكثر الميكروبات تاثيرا هى الميكروبات العنقودية التى تسبب الجروح المتقيحة والدمامل والخراجات، والميكروبات السبحية التى قد يسبب بعضها التهابات اللوز والزور .

ولابخرة البصل والثوم نفس التاثير الناتج من عصيرها ، فقد ثبت أن ميكروبى الدفتريا والدوسنتاريا الباسيلية تموت بعد ٥ دقائق من تعرضها للمواد الطيارة المنبعثة من البصل والثوم . وقد استعملت ابخرة البصل فى علاج الجروح فى مستشفيات روسيا واتت باحسن النتائج .

وكانت الطريقة هى ان يؤتى ببصلتين كبيرتين لبشرهما ووضعهما فى وعاء زجاجى ثم توضع فوهة الوعاء على الجرح على ان لا يمس البصل الجرح ، بل يكتفى أن يتعرض الجرح للأبخرة الصاعدة من البصل . وبعد عشرة دقائق ، يرفع الوعاء ، ثم يربط الجرح برباط معقم جاف حتى يندمل .

وقد ثبت ان مضغ الانسان للبصل أو الثوم مدة ثلاث دقائق يعد كافيا لقتل جميع الميكروبات التى قد تكون بالفم إلى حد التعقيم .

وإذا كونت عجينة من البصل وعرضت للهواء مدة تتراوح بين عشر دقائق وخمس عشرة دقيقة فانها تفقد قوتها الفعالة فى قتل الميكروبات ولهذا أثبتت التجارب انه لابد من صنع الأدوية التى يدخل فيها عصير البصل قبل استعمالها مباشرة .



وقد قرأت مقالا فى مجلة كل شىء العلمية الفرنسية عام ١٩٣٧ لطبيب عالمى (جورج لوكوفسكى) تناول فيه اهمية البصل وعصيره فقال :

● يكثر المعمرون فى البلدان التى يكثر فيها اكل البصل وان مرض السرطان غير معروف ولاسيما فى بلاد بلغاريا حيث فيه عدد وفير من الشيوخ الذين تجاوزوا المائة سنة . وقد عزى الناس ذلك إلى اكل اللبن الزبادى ، ولكن أرد على ذلك بان أهل قلقاسيا وبعض جهات روسيا ياكلون اللبن الزبادى بكثرة ، ولا يبلغون مع ذلك هذا العمر المديد .

ولكن امتداد العمر باهل بلغاريا يعزى فى رايى الى تناولهم مقادير كبيرة من البصل النيىء والخضروات الطازجة . اما اللحوم فلا يتناولونها إلا يوم الأحد .

وقد وجد أن لعصير الكرنب (الملفوف) تأثيرا فى قتل بعض أنواع الميكروبات إلا أن قوة تاثيره تختلف باختلاف الصنف . وقد ثبت ان عصير الكرنب تتاثر خصائصه بالحرارة على نقيض عصير البصل الذى لا يتاثر بالحرارة الا قليلا .

وفيما يلى اسماء البكتريا التى تتاثر بعصير الكرنب .

- اسكربكيا كولاى .
- ستافلوكوكوس .
- اكروموباكتر .
- ملافوبكتيريوم .

وعرف الاقدمون فائدة البصل الطبية ، وعدد العالم الطبيعى القديم « بلاينى » ثمانية وعشرين مرضا يساعد البصل على شفائها .



وقد اتفق الطب الحديث مع الأقدمين فى فائدة البصل الطبية ، فلو انك مضغت قطعة من البصل لمدة دقيقة واحدة لكان هذا كافياً لقتل الجراثيم والبكتيريا التى قد تكون فى الفم ويصبح الفم معقماً كافضل ما يكون التعقيم .. بل حتى الأبخرة التى تتصاعد من البصل اثناء تقشيره او تقطيعه فتسيل الدموع ، تكفى وحدها لقتل الجراثيم .

وقد اختبر البحاثة الدكتور ب . توكين خواص ١٥٠ صنفا من أصناف النبات ، ثم وضع البصل فى رأس قائمة النباتات القاتلة للجراثيم ويليه الثوم ، ثم الفلفل ، واثبت الدكتور توكين ان البصل كفيل بقتل ميكروب التيفوس .

واسفرت تجربة قام بها لفيف من البحاثة الزراعيين فى محطة التجارب بولاية متشجان بامريكا عن ان اضافة عصير البصل الى المادة القاتلة للاعشاب والنباتات الطفيلية المسماه ٤ر٢ د تجعلها أقوى مفعولا .

واجرى الدكتوران « فيلاتونا » و « تورد بستيف » الاستاذان بجامعة « تومسك » الروسية تجربة لاختبار مقدرة الابخرة المتصاعدة من البصل على قتل الجراثيم فعرضا جراحا مختلفة ملوثة بالبكتيريا لاحد عشر مريضاً لأبخرة البصل مدة عشر دقائق .. وكان بين هؤلاء المرضى اثنان ، احدهما بترت ذراعه والاخر بترت ساقه ، وتلوثت جراحهما فاصيبا « بالغنغرينا » وكانا يعانيان الما شديدا .. فلما تعرضت جراحهما لأبخرة البصل فى اليوم الأول زال الالم وفى اليوم الثانى تقدما سريعا نحو الشفاء .. أما بقية الجراح البسيطة فقد تطهرت تماما من كل اثر للبكتيريا .

وقد تمكن الكيمائيــون من عـزل بعض الكيمائيات التى يعتقد انها تفقد البصـل خاصية قتل الجراثيم ولكن التكوين الكيميائى للبصل على درجة من التعقيد بحيث ظلت بعض عناصره خفية لم تعزل بعد . وحين يتم هذا فسوف يصبح البصل أو الكيماويــات المستخلصة منه مساعداً قوياً للطب الحديث .

اما علاج نوبات الربو فيكون باعطاء المريض ملعقة صغيرة من مزيج عصير البصل مع العسل كل ٣ ساعات .. كما ان تناول بصلة متوسطة الحجم يومياً يخفض من كمية السكر فى دم المصابين بالبول السكرى كالانسولين ، ويقلل من احساسهم بجفاف الفم والشعور بالعطش ، وبالتالى من شرب السوائل . ويساعد اكل البصل على تطهير الجسم من امــلاح الطعام ، ويمنع نمو الجراثيم بجميع انواعها فيه .

وقد اثبتت الدكتورة نوال فراج فى بحث الدكتوراه ان لعصير البصل تأثيرا واضحا فى علاج مرضى السكر ، وتقليل نسبته .

ومارك العالم الأمريكى يؤكد فى مراجعه ومؤلفاته فاعلية الثوم فى مركباته وخصوصه فى الميكروبات .. وهذه الخاصية فى الثوم دعت بعض علماء الاتحاد السوفييتى فى انتاج عصارة الثوم باعتبارها عقاراً مضاداً لبعض الامراض والميكروبات ، خصوصا لمرضى التهاب السحايا الخطر .

عصير الليمون وأهميته الطبية

من قديم الزمان والناس يستخدمون الليمون كدواء شاف فى عدد من الاوبئة والامراض كالكوليرا والتيفويد والروماتيزم والنقرس والنزلات المعوية وأمراض الكبد . وعند انتشار الاوبئة ينصح الاطباء الناس باضافة الليمون إلى ماء الشرب بعد غليه ، لأن الليمون له خاصية القضاء على الجراثيم .



وقد وجد الدكتور « كريستماس » ان ميكروبى الكوليرا والحمى التيفودية تهلك إذا وضعا فى محلول يحتوى ٦ر جرام حمض ليمون فى كل لتر ماء ، أى ما يعادل ١٠ جرام عصير فى نفس كمية الماء المذكورة ، وبذلك يمكن تعقيم ماء الشرب عند انتشار الاوبئة باستعمال هــذا العصير ، خصوصاً فى المناطق التى يصعب فيها الحصول على مياه رائقة معقمة .

ويرى « بول » فى كتابه فواكه المناطق الحارة ان عصير الليمون مدر للبول ويستعمل فى احوال مرض الاستسقاء ، كما انه مطهر للجروح ومفيد فى بعض حالات السعال والمغص وطارد للديدان .

ويمتاز عصير الليمون بخواصه الطبيــة ضد التسمم . ويتضح ذلك من تسميته المعــروفة « الليمون البلدى أو الليمون البنزهير » فهذه التسمية فارسية ، ذات مقطعين ، الأول « بن » معناه ضد والثانى « زهير » معناه سم ، مشيراً إلى هذه الخاصية المهمة .

وقد ذكرت جريدة الصيدلة الفوائد الطبيــة التالية لعصير الليمون :

اولا : يمكن استعماله فى علاج الروماتزم باستعمال القليل فى ماء الشرب ، كما يمكن استخدامه كمسكن فى حالة القىء .

ثانيا : يفيد فى علاج ضربات الشمس وذلك بأن يوضع القليل منه على الجبهة . وهذا يطابق الشائع عند الفلاحين فى بعض القرى .

كما أن الليمون قابض للأوعية الدموية فاذا ما اصيب شخص بنزيف فى الأنف امكن وقفه باستعمال قطعة مبللة بعصير الليمون تدهن بها فوهة الأنف فيكون لذلك أثر سريع فى وقف النزيف ، كما انه يعتبر مهدئا للاعصاب . وقد أوصى الاطباء كل من يشكو من ضخامة الغدة الدرقية بالاكثار من تناول الليمون .

أما سر المكانة الواسعة التى يتمتع بهــا الليمون فى مجال الوقاية والعلاج فيرجع الى احتوائه على عدد كبير من الفيتامينات أ ، و ، ب ٢ . بالاضافة الى الحديد والكالســيوم والفسفور والبروتين والدهن ، هذا بالاضافة إلى فيتامين ج الذى يفيد فى حالات الاصابة بداء الحفر « الاسقربوط » ، يقول الاخصائى العالمى د . ميلتون أن الليمون دواء بالغ القدرة على الوقاية منها وخاصة الامراض التى تؤدى الى تخلخل الاسنان وسقوطها المبكر .

ويستخدم العصير فى جزر الهند الغربية بعد اضافة الملح إليه ضد مرض الدوسنتاريا وبعض الحميات وكذلك فى بعض امــراض الحنجرة .

دكتور عز الدين فراج

حاضرة أنت في القلب

شعر: م . كجراي
الخرطوم

خذينى إليكِ بكلّ عيوبى
فحبُّكِ سيدتى هو اكبرُ ذَنْبٍ جنيْتُ ،
فلاتسخرى من ذنوبى
تغنيّتُ للغضبِ المتفَجِّرِ ،
أشرعتُ للريحِ بابى
تظل الحقيقةُ عاريةً كائتلاق الشُّموسِ ،
فما أتعَسَ الواهمون ببَحْر السَّرَابِ
أنا تحتَ سِقْفِكِ اسعَى فأصلب فى كل يوم ،
دمى يتخثّر فى طرقاتِ العذابِ
وحاضرةٌ أنتِ فى القلبِ ،
لكنكِ الآنَ مرصودةٌ فى كتابِ الغيَابِ
إذا ما تَناهَتْ الى سمعىَ الضحكاتُ
انُوءُ بحملِىَ فى لحظاتِ اغترابِى
يعذبنى فيك جرح الكتابَه



اسَوَّدُ دوريةً عن رياح الفجيعةِ فى ربواتِ الكابه
أنام وفى خاطرِى كل مستقبل الوادعين الصغار
واصحو لاشهدَ سجناً ،
يقام ليخرسَ نبْضَ الخطابَه
احس بكل صليلِ القيودِ فارفَعُ راسِى ،
لاكتبَ اغنيتى فوق صخْرِ الجدارِ ،
حرُوفى مضرَّجةٌ بدَم الأرجوانِ ،
تزلزلُ عرشَ المهابَه ،
اناديكِ لا لأقولَ وداعا ،
فقد قُطِعَ اليومَ حبلُ الصدَى
ولا شيءَ غير الفرَاغِ المخيفِ ،
وولولة الرِّيحِ عبْرَ المدَى
اناديكِ : لن يتبدَّدَ صوْتِى سدًّى
سابحرُ فى زورقِ الكلماتِ
احدِّثُ عنك عرائسَ حلمى بكلِّ اللغاتِ
عهدتُك حُبْلَى بكل العواصِفِ ، صانعةَ المجدِ والمعجزاتِ
فلا تنكرينى
إذا ما رأيتِ على القسماتِ ،
خطوطَ الزمان ولوْنَ الشحوبِ
فانى أنوءُ بنبض الحروفِ ،
أرى العارَ فى موكب الصمْتِ تحت ظلال الغروبِ
فابقى هنا فى ترابِكِ أشربُ حزنى
كما النخلِ حين تهبُّ الرياحُ ،
يقاومُ ، يسخَرُ من عاديَاتِ الخطُوبِ
أنا واحدٌ من بقية جيلٍ
مضَى فى طريق التمرُّدِ غير هيوبِ
خذينى إليك بكل عيوبِى
فحبك سيِّدَتِى
هو اكبرُ ذنبٍ جنَيْتُ
فلا تسْخَرىً من ذنوبِى .



محمود محمد شاكر

الكلمة الحية لا تموت
بل تزداد جمالاً مع الأيام



بقلم: محمود محمد شاكر

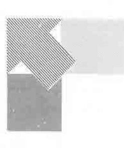
احب أن اقدم بين يدى كلامى هذا كلمة او كلمتين لابد منهما : الأولى ، أن ابتهل إلى الله أن يبرىء قلوبنا من الجبن والخور والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ، فقد كتب علينا الجهاد فى سبيله بما استطعنا . واحب لكل كاتب وقارىء أن يتوب إلى الله مما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ، ليتجرد إلى الجهاد وهو طاهر مصمم لا تلفته الدنيا عن الدفاع عن الحق .

والثانية : انى كنت كتبت عن قضـــايا العرب وعن فلسطين ، فكنت لا ازال اذكر الاسلام واشفعه بذكر نصارى الشرق ، لأنى اعدهم منا ومن انفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وكنت أرى أن نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهود فى قضايا العرب ما صرح عن مكنون انفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وانهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الاسلامى ، وكنت أتخوف أن يقف قبط مصر مترددين عن المشاركة الصريحة فى جهاد العرب والمسلمين فى مسالة فلسطين ، ولكنى أشهد الله اليوم أن قبط مصر قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً على مودتهم لن يعمل فيه بعد اليوم دس ولاكيد ولا وقيعة . إنه لا يحل لامرىء مسلم أو عربى بعد اليوم ان يرتاب أو يتشكك فى نبل هؤلاء الاخـــوان الذين نصرونا فى ساعة العسرة لا تدفعهم إلى هذه النصرة رغبة ولا رهبة .

وساسجل فى هذه الكلمة مآثر لرجلين من اجل النصارى شأنا ، لأنهما وقفا فى الجهاد موقفا يوجب علينا أن نخلد ذكرهما فى تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين إلا بأن نرفع ذكرهما فى هذه الساعة وإلى ابد الدهر ، **لأنهما قطعا الســــــبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التى انبعثت فى اوروبا وامريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الدنىء .**

اما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريرك الأقباط الارثوذكس الانبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب فى المسجد الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فاذا الناس يفاجاون بمقدم القمص متياس الانطونى سكرتير غبطته مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الأقباط فى مصر ، القمص جرجس إبراهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، والقمص عبد المسيح سعد ، والقمص مرقص غالى . ودخول هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع فى ساعة الجمعة ، ونيابتهم عن غبطة البطريق الاعظم فى شهود هذا اليوم المشهود ، وخطبتهم الناس فى هذا المسجد ، ومشاركتهم فى اكبر مؤتمر إسلامى فى مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الانبا يوساب البطريق الأعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من الفطنة والصدق والامانة فى دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة فى عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويعتز بها ويكرم أصحابها فى عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير متردد ، فعل ذلك على انه رجل سياسى مخلص ، وعلى انه يدرك تمام الادراك كل ما يحيط بهذا الفجور الصهيونى من الخبائث ، وعلى انه يابى ان يدخل بين أقباط مصر ومسلميها مفسد يبغى الوقيعة.

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الاعظم موقفاً رد كيد البريطانيين فى نحورهم ، وذلك فى حادثة الزقازيق التى دبرتهـا بريطانيا لافساد ما بين المسلمين والاقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل ، لكان هذا الحادث البغيض سبباً فى اشتعال نار الفتنة التى أشعلت بريطانيا مثلها من قبل لتفرق كلمة الامة تفريقاً يجعل بعضاً لبعض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل فى إخواننا القبط رجلا كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يقظاً على أمته وأمتنا ، يرد عنها كل مكيدة . وما دام فى الاقباط هذا الرجل وأمثاله ، فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بعد اليوم أن يبذلوا مهجهم فى الذود عن إخوانهم ، وفى حمايتهم ، وفى الدفع عن كل شىء يسوءهم ، ما بقى على ظهر





هذه الأرض مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر . إنه دين فى اعناقنا للقبط ، نسأل الله ان يهبنا القدرة على ادائه وإن ابؤاهم ان يقبلوا عن هذه المأثـرة جزاء .

واما الرجل الآخر فهو كصاحبه يتلألأ قلبه بنور الاخلاص والايمان ، تكلم فأبان عن نفس حرة افزعت « اليهود المسئولين فى مدينة الاسكندرية » اى يهود مصر ،

فاقبلت طائفة منهم تريد ان تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فاجابهم بانه ما قال إلا وهو يعتقد انه قول صريح سليم ، وليس إقحاما للدين فى السياسة ، وإنـه يقصـد حمايـة التراث المقـدس للمسيحيـة ، وانه إنما يتكلم عن عقيـدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل النبيل غبطة البابا كريستوفورس الثانى بطريرك الاسكندرية وافريقيا للروم الارثوذكس .

وقد جاء فى هذا الحديث ان غبطـة البطريق الأعظم للروم قد دهش لانشاء دولتين فى فلسطين ، ودهش ايضا من ان تكون امريكا والاتحاد السوفيتى همـا الداعيتين إلى هذا التقسيم ، ثم قال :

« وإنه لتزداد دهشتنا ان تعمد الولايات المتحـدة الأمريكيـة الى هـذه المحاولـة الجريئة رغم احداث التاريخ الدالة على فساد هذه الفكرة وخطرها . لهم العبرة فيما حاوله الامبراطور جوليان الرومانى .

ولا ندرى كيف فكرنا فى وضع الاراضى المسيحية المقدسة فى حماية اولئك الذين رغبوا دائما ، جماعات وافرادا ، فى ان يعيشوا حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع إنسان ان يتصور اليهود حرسا وحماة للأمكنة المقدسة . وهم الذين سيعمدون الى تدنيسها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى ايضا انه لا يمكن ان يسمح للفاتيكان ان تكون له السيادة فى فلسطين فان الحروب الصليبية قد برهنت على فساد هذه الفكرة . ولهذا فاننا نحن الروم الارثوذكس نرى انه فى حالة إلغاء الانتداب الدولى على الاراضى المقدسة ، او عدم وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، ان تعطى للمسلمين حماية هذه الاراضى ، لانهم منذ مارسوا حكمها فى هذه القرون الطويلة ، قد برهنوا على انهم جديرون بثقتنا » .

وهذا كلام أقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم بصير لا يدفعه إلى ما يقول هوى لشىء ولا رهبة لمكروه . فان غبطة البابا كريستوفورس قد قضى طفولته فى فلسطين ، وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ، كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية .

وقد اثبت حديث البطريق الأعظم لانه سوف يصبح هو وقائله جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الاسلام ، ولاننا نحن المسلمين نحب المنن فى اعناقنا فنحافظ عليها ونرعاهـا وندافع عنها ونجزيها احسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير قطعة من تاريخنا يرويه اربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من ان مشايعة الدول الأوربية والامريكيـة للصهيونية الفاجرة ، قائمة على الصليبية الحمقاء . فهم يحاربوننا حربا صليبيـة لا يستثنون فيها مسلماً ولا نصرانيا فى الأرض الاسلامية والعربية وقد كان بعض الناس يعيب علينا هذا الرأى ، ولكن حديث البطريق الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ ارضا جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين اهل الشرق العربى الاسلامى من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبى من نصارى ويهود .

ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت قلوبهم احقادا صليبية مظلمة لا عقل فيها ولا ضمير لها ، اما نصارى الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة ان نصارى الغرب قوم مفترون جاهلـون متعصبون يريدون ان يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود عدواة للمسلمين غير ناظرين إلا بالعين الصليبية البغيضة ، لا بعين الانصاف والحق كما ينظر نصارى المشرق ، وحسبنا هذا البيان من البطريق الأعظم ، فانه حسنة لن ينساها له مسلم إلى ان تقوم الساعة .

وقبل ان انتهى إلى ذكر الرجل الثالث احب ان انبه القارىء ، وانبه قومى العرب فى كل مكان ، وفى مصر خاصة ، إلى انه ما كاد « يهود مصر » يعلمون نبأ إذاعة هذا الحديث فى الصحف حتى تبادروا إلى غبطته يريدون ان يثنوه عن نشره وإذاعته فما معنى هذا الذى يفعله اليهود الذين خلعنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟

وماذا تقول حكومتنا فى هؤلاء القوم الذين يريدون ان يكونوا أعوانا للصهيونية فى قلب بلادنا فى هذه الساعة ؟ او يحدث هذا فى مصر فى الاسبوع الماضى ، وإذا بنا يقرأ اليوم (٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧) ان الشرطة العراقيـة القـت القبض عنـد الحـدود العراقيـة السـورية على ثلاثـة يهـود عراقيين من موظفى شركة الزيت العراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكى . فمـا معنى هذا ؟ ليعلم اليهود أن العرب لن يقبلوا ان يكون للطابور الخامس عمل فى بلادهم .

وننتهي من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذى ينبغي ان يعرفه العرب

والمسلمون ، فقد افضى سيادة حاييم ناحوم افندى الحاخام الاكبر للطائفة الاسرائيلية فى مصر بالتصريح الآتى :

« إنى ارى ان مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً لأبناء الطائفة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات الصحف فى اى مناقشات مهما كان نوعها او الغرض منها . ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من اسئلة واستفهامات ارى ان واجبي يحتم على ان اتوجه إلى السائلين وإلى جموع الامة المصرية الكريمة بكلمة ارجو ان تكون حداً فاصلا لهذا الموضوع : فابناء الطائفة الاسرائيلية التى اتشرف برياستهم الدينية هم جزء لا يتجزأ من الامة المصرية ، يشعرون بشعورها ويتالمون لألمها . فكيف إذن يحاول البعض التشكيك فى عواطفهم نحو ابناء بلدتهم المصريين . إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق الممنوحة لابناء مصر الكريمة سواء بسواء ، ولذلك فان واجبنا نحو بلادنا يجعلنا نعمل بشعورنا كمصريين . وقد اصدرت امرى إلى رجال الكنائس الاسرائيلية باقامة الطقوس الدينية ليعظوا فيها ابناء الطائفة على ان يتضافروا مع إخوانهم المصريين فى هذا الظرف العصيب » .

ونحن نشكر الحاخام الاكبر ، ولكن ليعلم سيادته انه قبل ان يتوجه إلينا بكلام يكون « حداً فاصلا ينبغى ان يعمل هو وابناء طائفته عملا يكون « حداً فاصلا » ، وهذا مع الاسف لم يحدث قط . واخشى ان اقول إنه لن يحدث قط . ثم ليأذن لنا سيادته أن نوجه نظره الكريم إلى الذى ذكرناه وذكرته الصحف ولم يستنكره احد من يهود مصر ، وهو ذهاب بعض المسئولين من اليهود فى ثغر الاسكندرية كى يثنوا البطريق الاعظم للروم الارثوذكس عن إذاعة حديثه . اهذا ايضا إقحام للدين فى السياسة .

وليأذن لنا سيادته ان نقول له إننا نعيش فى ارض مصر ، واليهود يعيشون معنا فيها لا فى المريخ .

وليأذن لنا سيادته ايضا ان ننبهه إلى ان هذه الساعة التى جاش فيها العالم الاسلامى والعربى ، ليدفع عن فلسطين الجور الذى ارادت هيئة « الأمم المتحدة » التى تصرفها روسيا وامريكا وبريطانيا ، هى ساعة فاصلة فى تاريخ العرب والمسلمين ونصارى الشرق جميعاً ، وليأذن لنا أن ننبهه ايضا ان النار المشتعلة الآن تفصح كل الافصاح عن المعنى الذى ينطوى عليه تقسيم فلسطين ، فكيف ذهب عن فطنة سيادته ان يذكر كلمة واحدة صريحة تفصح ايضا . كل الافصاح عن استنكاره واستنكار طائفته لهذا التقسيم الجائر الذى ارادت أن تفرضه على العرب هيئة الامم المتحدة ؟

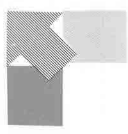
وليأذن لنا سيادته ايضا ان ننبهه إلى ان الصهيونية تدعي انها تتكلم باسم يهود العالم جميعاً ، وان جميع الدلائل إلى اليوم تدل على ان كثرة يهود العالم منضمة إليهم . فما هو الضمان الذى يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى ان يهود مصر ليسوا كيهود سائر العالم ؟

وليأذن لنا سيادته ايضا ان ننبهه إلى ان الصهيونية قد اذاعت منذ القديم انها تريد ان تستولى على ارض اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل ، وان هذا مطبوع منشور فى كتبهم ، وانه حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيونى يستنكر التقسيم ثم يرضى به على مضض ، لانه الخطوة الاولى التى تفضى إلى استيلائهم على ارض بنى اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل . وانا لا اظن ان مثل هذا مما يغيب عن الرجل الفاضل العالم أحد اعضاء المجمع اللغوى العربى .

وليأذن لنا سيادته ان نذكره بوصية الله لنا فى محكم تنزيله إذ يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمسلمون والعرب جميعاً سوف يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين ، اما سائر اليهود فلن يعتدي عليهم مسلم ولا عربى ما داموا فى ذمتنا ولا يؤلبون علينا . فهل يأذن سيادته بان يعلم ان المسالة ليست مسالة سياسية تريد ان نقحم الدين فيها ، بل هى مصير العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ وهل يأذن لنا ان نساله ان يدفع عن يهود مصر كل شك وريبة بان يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر فى مسالة التقسيم ؟ وهل يأذن لنا سيادته ان نطالبه ونطالب ابناء ملته من يهود مصر بان يفعلوا فعلا صريحاً واضحاً يدل على ان عواطفهم هى عواطف الامة المصرية تشعر بشعورها وتتالم بألمها ؟ وهل يأذن لنا سيادته ان نقول له إن هذا الذى يجرى الآن ليس « ظرفاً عصيباً » كما جاء فى كلامه ، بل هو اوضح من ذلك ، هو حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الامم ، وانها حرب سوف تستمر إلى ان يستقر الحق فى قراره ولو طالت مائة عام ؟ افليس من الحكمة إذن ان يتخلى الحاخام الاعظم عن العزلة التى يريدها لنفسه ، ويدخل هو وابناء طائفته فى الجهاد الذى كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكى ندفع عن بيت المقدس ادناس الصهيونية ؟

هذه كلمة مجاهد عربى يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً على حديثه الذى سوف يبقى مذكوراً فى تاريخ الاسلام والعرب لم أعمد فيها إلى شرح اشياء اعرفها حق المعرفة ، انتظاراً لما يكون من عمل سيادة الحاخام الاكبر وليعلم سيادته ان الأحداث اسرع من لمحات البرق فى السحب المتراكب . فليبادر إلي الاخير مبادرة من عرف الحق فلم يحجم به عن الجهاد خوف ولا فزع ولا ارهاب . ان عمل الحاخام الاكبر هو «الحد الفاصل» الذى ينتظره اليوم اربعمئة مليون مسلم قد استيقظوا وادركوا ان يهود العالم قد اعلنوا عليهم الحرب فلن يخدعهم بعد اليوم شيء عن الطريق الذى سار فيه اباؤهم من قبل فنصرهم الله وايدهم وهزم أعداءهم واعلى كلمتهم وجعلهم خير امة اخرجت للناس .

محمود محمد شاكر
١٩٤٧







إلى الدكتور طه حسين

بقلم: الدكتور زكي مبارك

زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تلطفت فاوصيتنى بكتمان الحديث الذى دار بينى وبينك فى حضرة « الصـــديق العظيم » الذى يحل وداده من قلبى وقلبك اعز مكان ، وانا أستطيع النص على اسم ذلك « الصديق العظيم » بلا تهيب لعواقب العتاب ، لأن للحديث الذى جرى بينى وبينك فى حضرته صلة وثيقة باصـــول المذاهب الادبية التى يشتجر حولها الخلاف فى كثير من الاحايين . فان قلت إن هذا « الصديق العظيم » خلع على ذلك الحديث حلة من الدعابة التى تشهد بما يملك من عذوبة الروح ، وإنه قد يكره ان يشار إلى اسمه فى مجال الدعابة والظرف ، فانى اجيب بأن ذلك « الصديق العظيم » أرحب صدراً مما تظن ، وهو اكبر من ان يرى أن جلال المنصب يمنع من التندر الجميل .

لا خوف من النص على اسم ذلك الصديق ، ولكنى ساعمل بوصيتك ليصح لى القول بانى لا اتمرد فى كل وقت ، وليصح لك الظن بانى اقدر على مراعاة الظروف حين اشاء .

ثم ماذا ؟

ثم استبيح لنفسى التحدث عن بعض ما شجر بينى وبينك . ويظهر ان المقادير لا تريد أن اسكت عنك او تسكت عنى ، وفى ذلك الخير كل الخير لو تعرف واعرف . وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف ؟ وهل يتصور الناس وجوداً للحيوية التشريعية لو لم يثر الخلاف بين الشافعيـــــــة والحنفية ؟ وهل تاصلت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين ؟ وهل تفوق العقل المصرى فى العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد ، والصراع حول المذاهب الاجتماعية والاحزاب السياسية ؟

إن الخلاف نعمة عظيمة جداً ، ويا ويلنا إذا لم نختلف .

فكيف تريد ان اكون صديقاً ظريفـــا لا تسمع منه غير الكلام المعسول ؟

وهل قل الظرفاء من اصدقائك حتى تطالبنى بما تعجز عنه سجيتى ؟

إن « بداوة الطبع » التى كثر الكلام فى ذمها وتجريحها لم تكن من المثالب إلا فى كلام الشعوبية ، وهم قوم ارادوا الغض من الشمائل العربية ، ولولا ذلك الهجوم الاثيم لبقيت من المحامد ، فكيف تنكر على رجل مثلى ان يظل بدوى الطبع فى زمن توارت فيه الصراحة وكثر فيه تنميق الأحاديث ؟

لابد من خلاف بينى وبينك لتجد الابحاث الادبية والفلسفية وقوداً يحيا به اللهب المقدس فى حياة العقل والوجدان .

فان ضاق صدرك بهذه الحقيقة واكتفيت بمحاورة الرجل اللطيف الذى يقول إن الصحراء تشكو الظما وان البحر يشكو الرى وان الخير فى امتزاج البحر بالصحراء . إن كان ذلك ما يرضيك فشرق فى محاورته وغرب كيف شئت وكيف شاء .

ولكن ما رايك فيمن يصـــارحك بان الحيوية لن تشيع فى ابحاثك إلا إذا حاورت « الرجل الذى لا يخلو إلى قلمه إلا وفى راسه عفريت » ؟

تلك كلمتك ، يا سيدى الدكتور ، وانا عنها راض وبها مختال ؟

فما هو العفريت الذى يحتل راسى حين اخلو إلى قلمى ؟

أيكون هو الجن الذى سماه الفرنسيون ؟

إن كان ذلك فانت تشهد لى بالعبقرية ، والقول ما قال طه حسين .

وهل تكون العبقرية إلا من نصيب من يخاصم رجلا مثلك فى سبيل الحق ؟

وما هى المنفعة التى ارجوها من مخاصمتك وانت رجل يفسر وينفع ؟

ما هى المنفعة التى اجتنيهـــــا من مخاصمتك وقد صاحبتك عشر سنين كانت اطيب الاوقات فى حياتى ؟

يظهر انك لا تعلم انك على جانب عظيم من الجاذبية وان الرجل العاقل لا يترك مودتك وهو طائع .

فما سبب الخصومة بينى وبينك ؟

إليك اقباسا من البيان :

منذ اكثر من سبعة اعوام القيت محاضرة فى الجامعة الامريكية عن البحترى سجلتها جريدة كوكب الشرق ، وشاء (العفريت الذى يحتل راسي حين اخلو الى قلمى) ان انشر فى جريدة البلاغ مقالا عنوانه :

« الدكتور طه حسين يغلط خمس مرات فقط في محاضرة واحدة » .

ثم لقيتني بعد ذلك في الجامعة الامريكية وجادلتني فى تلك الاغلاط فاعلنت اني اخطات ، وكان ذلك لان الجمهور احاط بنا من كل جانب ليرى كيف ادفع هجومك ، وما كان يجوز لي ان اصنع غير الذي صنعت ، لان ابي لا يسمح لي بمصاولتك امام الناس ، ولان وجهك يشفع لك فهو وجه لا يلقاه الرجل الحر بغير الاعزاز والتبجيل .

فما الذي صنعت انت فى تصحيح الاغلاط التي اخذتها عليك ؟

مضيت فنشرت محاضرتك عن البحتري في كتابك : « حديث النثر والشعر » ، وابقيت تلك الاغلاط ، استغفر الله ، بل (تفضلت) فشكلت الكلمات المغلوطة لتقول : إنك لا تعبا باي نقد يوجه إليك !!

فما الذي كان يمنع من تدارك تلك الاغلاط ؟ وما الذي كان يمنع من شرح رايك في الهامش إن كنت تؤمن باني لم اكن على حق ؟؟

ثم ماذا ؟

ثم حدث في صيف سنة ١٩٢٩ ان انكرت على ان اتخذ شواهد لتطور « النثر الفني » من رسائل عبد الحميد بن يحيى . وقلت : إن عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرىء القيس ! وكان ذلك


طه حسين

بمسمع من شابين واعيين هما: محمد مندور وعلى حافظ . وكانت حجتك ان عبد الحميد بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ ، فرجعت اليك بعد ايام واخبرتك أن الجاحظ تكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة ، وان مؤلفات الجاحظ تعرف رجلين : احدهما عبد الحميد الأكبر والثاني عبد الحميد الأصغر ، فلم تجب بحرف واحد ثم القيت وانا في باريس محاضرة قلت فيها إن عبد الحميد بن يحيى اخذ اشياء من أدب اليونان ، وفاتك ان تنص على اسم الرجل الذي اقنعك بانه لم يكن شخصية خرافية .

وقد حملني (العفريت الذي يحتل راسي حين اخلو إلى قلمي) على ان اسجل هذه القضية في احد هوامش كتاب النثر الفني ، فكانت فرصة اغتنمها صديقك الاستاذ احمد أمين ليقول في مقال كتبه في مجلة الرسالة : إن زكي مبارك يعوزه الذوق في بعض الأحيان !!

ثم ماذا ؟

ثم كانت لك يد مؤثرة في شئون الدراسة الثانوية بحجة انها تمهيد للدراسة الجامعية ، وكان من اثر ذلك ان فرضت على طلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية كتابا في نقد النثر لقدامة بن جعفر لا يفهمه المدرسون إلا بعناء فضلا عن التلاميذ .

واقول بصراحة اني لم افلح في حمل المفتشين على مقاومتك ، فبرزت لك بنفسي في مقال نشرته بمجلة الرسالة ، فهل استجبت لصوت الحق واعفيت التلاميذ من كتاب تقوم تعاريفه على منطق ارسطاطاليس وهم يجهلونه كل الجهل ؟

انت عزيز علينا ياسيدي الدكتور ، لانك رجل شهم ، ولكن ما رأيك في اغلاطك ؟ ومن يدلك عليها إذا سكت عنك ؟

هل تذكر كلمة « الصديق العظيم » منذ ايام حين قال لك وهو يبتسم : كيف صيرتم زكي مبارك دكتورا وهو رجل مشاغب ؟

انت تذكر ذلك ولا ريب ، ولكنك تعرف اني لم انل القاب الجامعة المصرية بلاجهاد وانت نفسك اسقطني فى امتحان الليسانس مرتين ، واشتركت في امتحان الدكتوراه الذي أديته اول مرة مع أنك لم تكن عضوا في لجنة الامتحان ، وكان لخصومتك الصورية تاثير في الدكتوراه التي ظفرت بها للمرة الثالثة فلم اصل اليها إلا بعد جهاد سبع سنين .

فما فضلك على إن لم يكن فضل المؤدب الحصيف ؟

هل تذكر يا دكتور ما وقع في نوفمبر سنة ١٩١٩ ؟

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك وكنت وحدي الطالب الذي يفهم العبارة الفرنسية لكتاب نظام الآتينيين لأرسطاطاليس ؟

وهل تذكر انك اعلنت سرورك بان يكون في طلبة الجامعة المصرية من يفهم اسرار اللغة الفرنسية ؟

فمن يبلغك ان الشاب الذي ادخل السرور على قلبك في سنة ١٩١٩ هو الكهل الذي تنكره في سنة ١٩٤٠ ؟

انا اعرف ما تكره مني . انت تكره مني الكبرياء ، وكيف اتواضع وقد اعانني الله على بناء نفسي ؟ كيف وقد اقمت الدليل على ان الشباب المصري خليق بعظمة الاعتماد على النفس ؟ وهل رأيت رجلا قبلي اتم دراسته في اوروبا وهو مثقل بتكاليف الأهل والابناء ؟ هل رأيت رجلا قبلي يهتف باوطار الشباب وهو مثخن بجراح الزمان بعد الاربعين ؟ هل رأيت رجلا قبلي يؤلف الكتب الجيدة في البواخر والقطارات والسيارات ؟

ومن يصدق اني انفق في سبيل الورق والمداد اضعاف ما ينفق بعض الناس في سبيل الطعام والشراب ؟

إن الدكتور طه من ذخائرنا الادبية ، ويجب أن يعيش ، ونحن سناده في الخطا والصواب رعاية لمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف ، وهو خليق بمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف .

ايها الأستاذ الجليل :

في صدري اشياء وشؤون وشجون ، فمتى انفض همومي بين يديك وقد رأيت الشيب يشتعل في شعرك الجميل ؟

متى نلتقي ايها الأستاذ الجليل لتصفية الحساب ؟

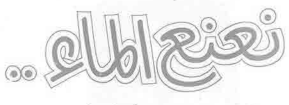
إن « العفريت الذي يحتل رأسي حين اخلو إلى قلمي » لا يحضر حين القاك ، لأني لا ارى وجهك إلا تذكرت اني احببتك إلى حد العشق .

فمتى نلتقي وحولك ارصاد يؤذيهم ان اصل إلى قلبك الرفيق ؟

وهل اجهل او تجهل ان فى الدنيا ناسا عاشوا بافساد ما بيني وبينك ؟ الله وحده يشهد اني لم اخاصمك إلا في سبيل الحق .

والله وحده يشهد اني لم اقل فيك غير ماستبحت نشره في الجرائد والمجلات . ومن ذلك تعرف ان « العفريت الذي يحتل رأسي حين اخلو الى قلمي» لم يكن عفريتا لئيما وانما هو عفريت تلميذك وزميلك وصديقك :

زكي مبارك
مارس ١٩٤٠



قصة بقلم : عـــادل أبو شـــنب

اكتشفت أن لا طعام فى البيت . لم يكن ثمة ما ناكله ، وكانت أمى تنظر عبر النافذة الى الطريق ، كانها تنتظر من يحمل الينا طعاماً ارسله جواد مجهول .

كان أبى كهلا مريضاً ، تزوج امى ولما تبلغ العشرين ، وسارت حياتها معه فى البدء بيسر ، حتى اصيب بالربو ، ولازم الفراش فى الليل والنهار ، فكان سعاله يسمع فى اول الطريق ، وحارت امى ماذا تفعل ، بعد ان نفد المال من بين يديها ، وباعت جميع ما يمكن الاستغناء عنه من اثاث البيت ، واطل اليوم الحاسم ، فقد نفد الطعام ايضاً ، ولم يعد بين ايدينا سوى سعال ابينا وصمت امنا ، ونظراتها المحمومة الى الطريق حينا ، والى السماء دائما .

قلت لأمى :

ـ هل تنتظرين احداً يا أماه ؟

قالت :

ـ كلا ، ولكن .. قد ياتى أحد . من يدرى ؟

وسالتها اختى الصغرى :

ـ الن ناكل الليلة يا أماه ؟

وردت أمى دون أن تنظر اليها :

ـ أجل .. اجل يا ابنتى ، ولكن علينا ان ننتظر بعض الوقت .

كان الوقت يمر بسرعة ، وها هى السماء قد امتلات بالنجوم ، ومن بعيد كنت اسمع أصوات الطيور العائدة الى اعشاشها ، تحمل بمناقيرها طعامها ، كانها ضربات طبول تعلن الحرب على معدتنا ، نحن الذين لا نملك ثمن طعامنا .

فجاة ارتدت امى ثياب الخروج ، وحملت بيدها قنديلا زجاجيا ، اضاءت شمعته اليتيمة ومضت . الى اين ؟ تبادلت واخواتى النظرات . كنا نشعر بالخوف ، ولما اشتد سعال ابى تجمعنا فى ركن الغرفة وتعانقنا ، وكان لقلوبنا نبضات مسموعة .

وتهيأ لي ان امى لن تعود فدمعت عيناى وانتزعت نفسى من اذرع اخوتى ، وركضت وراءها تشيعنى دموعهم .

لم تكن أمى قد ابتعدت كثيراً ، وكان ضوء القنديل يترنح فى يدها . عجباً ، أين تذهب امى فى هذه الليلة التى غاب قمرها؟

كانت تغذ السير دون ان تلتفت او تحرك راسها يمنة او يسرة ، ولست أدرى لماذا لم انادها . كنت اسير خلفها دون ان احدث صوتا . لعل الفضول هو الذى جعلنى افعل ذلك . ماذا تنوى امى أن تفعل ؟ هل تهرب منا دون رجعة ؟ هل تمضى لتسرق لنا طعاماً وتعود ؟ الا تخاف من السير فى الليل ؟

كان ثمة جدول صغير ينساب فيه ماء عكر ، وكثيراً ما كنت اذهب واخوتى لنلهو على ضفافه ، ورايت امى تجتازه ، ثم تنحنى بقنديلها على ضفته وتتفحص المكان ، واقتربت اكثر . كانت امى قد وضعت قنديلها الى جانبها ، وجلست القرفصاء تقتلع من حافة الجدول الترابية المنحدرة نحو الماء .. نباتا قصيراً اخضر ، وراحت تكوم ما كانت تقتلعه فى منديل فرشته على الارض . وتذكرت . لشد ما كنا ندوس هذا النبات باقدامنا ، ونحن نقفز مذ ضفة الجدول الى ضفته الاخرى .

كان لحشائش الارض رائحة تتسلل الى الانوف ، ولقد انعشنى ان استنشق هواء الليل المشبع بالروائح الطازجة ، فنسيت جوعى واخوتى ، ودبت في حماسة مفاجئة لقد عرفت سبب خروج امى ، فاعلنت عن نفسى بصوت اجتهدت الا يفزعها :

ـ ماما .. ماما ..

ورفعت امى راسها وسالت كانها تريد ان تستوثق من أننى المنادى :

ـ من هناك ؟

قلت :

ـ انا يا أماه . جئت لأعاونك ..

ولم تجب ، بل عادت وانهمكت فى اقتلاع النبات القصير الاخضر الذى كان يملأ المنحدر الصغير المتصل بالماء .



ومددت يدى ، ورحت اشد ما تصادفه يدى من النبتات الخضراء ، واقتلعها من جذورها ، كما كانت امى تفعل . وخطر لي ان اضع فى فمى وريقة خضراء صغيرة من وريقات هذا النبات ، لأعرف مذاقه ، وسرعان ما فعلت .

عندما هرست الوريقة الصغيرة الخضراء بين اسنانى .. احسست بمذاق لاذع يلسع لسانى بلطف ، كانه يدغدغه . كان لهذا النبات طعم مخرش لذيذ وخيل إلي انه نبات النعنع الذى كانت لا تخلو مائدتنا منه فى يوم من الايام .

قلت :

ــ أليس هذا نعنعا يا اماه ؟

قالت :

ــ بلى .. لكنه نعنع الماء .

عجبا . هل يختلف نعنع الماء عن النعنع الذى يباع فى الاسواق ، ويؤكل مع الطعام ، وتصنع منه بعض الادوية ، على ما قيل ؟ لم اسال امى .. ومضيت فى اقتلاع نعنع الماء . وبين حين وآخر كنت اضع ورقة خضراء فى فمى واتلذذ بلسعتها اللاذعة .

كان نقيق الضفادع الصوت الوحيد المسموع فى صمت الليل ، ولقد بدا لى ، **وانا منهك فى قطع النعنع شبيها باغنية او مناجاة . ولست ادرى لماذا احببت** امى ، تلك اللحظة ، والحياة والليل والضفادع والقنديل والنجوم وابى واخوتى والجدول والاشجار . لقد كان كل شيء غضا طازجا مثل النعنع ، ولكم بدت الحياة بسيطة وجميلة وسهلة التناول وقتئذ . نسيت ان بيتنا خلو من الطعام ، وان اخوتى يتضورون جوعا ولا يعرفون اين ذهبت امهم ، وان ابى ينهكه سعال الربو الذى لا يتوقف كانه صفير قطار لاهث ، ورحت ادخل شيئا فشيئا فى المكان الذى حولى ، حتى صرت كانني شجرة مشمش ، او قطرة ماء فى الساقية ، او نبتة نعنع خضراء تمتد جذورها الى اعماق الارض .

واخرجتنى امى من غيبوبتى :

ــ يكفى الليلة ما جمعناه يا بنى .

وقامت وحملت ما وضعته فى المنديل من نبات النعنع ، ففعلت مثلما فعلت ، وشيعنا نقيق الضفادع الرتيب ، والرائحة الطازجة . وعلى ضوء شمعة القنديل الزجاجي .. كنا نسير بسرعة عائدين إلى



البيت ، وكنت اتخيل اخوتي اذرعا ممدودة فرحة .

كانت امى تعرف ماذا تفعل . وضعت كومة النعنع تحت الماء ، وطلبت إلى ان اغسل النبتات التى كانت جذورها مملوءة بطين الأرض ، وراحت تهيىء قدرا كبيرة ، وضعتها على بابور الكاز وصبت فيها ماء وشيئا من الزبدة الباقية فى البيت ، ثم دلقت ما غسلته من حزم النعنع فى القدر ، وقالت :

ــ هاكم الطعام . دقائق وينضج يا اولادى .

وجلسنا ننتظر ، وكان سعال ابى يشغلنا احيانا عن الانتظار ، ولابد ان اخوتي قد وعدوا انفسهم باكلة شهية ، بل استثنائية ، لهذه الليلة ، اما امى فكانت مشغولة عنا باعداد المائدة ، وكان لها ، وقتئذ ، وجه مشرق كانه قمر بدر .

لم يسال احد من اخوتي ماذا نطبخ . حسبهم ان فى القدر طعاما يملؤون به معدهم الخاوية . كانوا يتلمظون وهم يرون النعنع الأخضر وهو ينضج على نار هادئة ، وسرعان ما نضج فجلسنا جميعا ناكل فى صخب ، وحملت امى طبقا إلى ابي فتناوله على مضض .

كان العشاء لذيذا ، وبعد ان شبع الاولاد راحوا يمطرون امهم باسئلتهم . اخى الصغير سال :

ــ ما هذا يا اماه ؟

وعلقت اختي الوسطى :

ــ لم نذق من قبل طعاما كهذا ..

وقال اخى الذى يصغرنى بسنة :

ــ من اين جئتما بهذا النبات الذى يلسع الالسنة ؟

واردف يخاطب امه :

ــ كيف خطر لك ان تطبخي هذا النبات يا اماه ؟

كانت ابتسامة صغيرة مقيمة على شفتى امى . ولم تبخل على احد بجواب مقنع ، كنت الصامت الوحيد ، وكنت ارقب عينى امي وهما تنتقلان من وجه إلى وجه . لشد ما اسعدها شبع الاولاد . انها مدينة لنعنع الماء بشبع اولادها هذه الليلة .

وتذكرت اختى الكبرى شيئا ما ، فجاة ، فقالت :

ــ انه نعنع الماء . بلى .. اعرفه .. رايته مساكب مساكب تغطي ضفاف الجدول القريب .

قالت امى :

ــ اجل يا اولادى . انه نعنع الماء ، ينبت وحده دون زرع قرب السواقي والجداول والانهار . نبات كريم يمنح نفسه لكل راغب فيه ..

وقاطعها اخى الصغير :

ــ اريد ان اراه فى ارضه ، حيث ينبت ..

وقالت امى ، وهى تشير إلى :

ــ ليس الليلة على كل حال . ان اوان النوم ، فى غد يذهب بكم اخوكم إلى ضفة الجدول ، وإن رغبتم قطفتم منه ما نعده لطعام الغد .

ونمنا ، ولابد ان اخوتي كانوا يحلمون بمساكب نعنع الماء ، التى تنمو وحدها دون ان تزرع وتغطى ضفاف الجداول والسواقى بنضرتها الجميلة .

فى الصباح الباكر قدت قافلة صغيرة الى الجدول القريب . عجبا . لم يكن لحشائش الأرض رائحة ، وكانت الشمس ترسل اشعة حارة فوق رؤوسنا ، ولست ادري لماذا اختفى نقيق الضفادع ، وحل محله نهيق حمار ، كان يقف قرب الجدول .

وقفزت اختي الكبرى ، واشارت بيدها إلى البساط الأخضر الممتد على حافة الجدول :

ــ هذا هو . انه نعنع الماء ..

ونظر اخوتي إلى النبات الأخضر بفضول ، ومنهم من انحنى يقتلع او يقطف وغير بعيد كان الحمار الناهق مطاطىء الراس يهرس باسنانه حزمة من نعنع الماء ولابد ان مذاقه اللاذع كان يلسع لسانه ، لكنه ، لجوعه ، لم يكن ليكترث ..



بقلم: رؤوف توفيق

اللعبة الجديدة للسينما الصهيونية
فضائح وانحرافات
بدلا من الدعاية المكشوفة

الممثلة الامريكية «مارى ستنبرجن» التى حصلت من قبل على جائزة اوسكار احسن ممثلة مساعدة .. تلعب دور البطولة فى فيلم «كروس كريك» !

من الواضح تماماً .. أن خطة السينما الاسرائيلية قد تغيرت خلال العامين الاخيرين .. فبدلا من محاولات استجداء العطف العالمى حول قضية اليهود الراغبين فى الحياة بسلام .. والتلويح بقوة الجيش الاسرائيلى فى مواجهة الذين يفكرون فى تعكير الجو .. وبدلا من النبرة العالية المباشرة ، والضجيج المدوى حول الاسرائيليين الأبرياء الظرفاء الذين يعرفون معنى العمل .. ومعنى الحب !

بدلا من هذه الدعاية المكشوفة .. فكرت السينما الاسرائيلية أن تلجا الى اسلوب اخر .. أن تقدم افلاما تهاجم وتعترض على فلسفة العنف فى نظام الحكم الاسرائيلى .. وافلاما أخرى تصور حالات العجز والضياع واليأس فى المجتمع الاسرائيلى .. وهذه الأفلام تنتج وتعرض بمعرفة مركز الفيلم الاسرائيلى .. وتسافر الى المهرجانات العالمية .. تحمل شعار الديمقراطية فى اسرائيل !

اما افلام الدعاية لليهود .. وتذكير العالم بحق اليهود فى الأرض الموعودة ..

هذه الافلام اصبحت مسئولية الصهيونية العالمية بمالها من نفوذ جبار ، مادى ومعنوى ، على اغلب مؤسسات الفن والاعلام فى امريكا وأوربا .

وهكذا أستبدلت السينما الاسرائيلية صورتها الصارخة .. بقناع ظريف ومسل وجرىء فى النقد عند اللزوم .. أما الابناء المخلصون والتلاميذ الاوفياء لتعاليم الصهيونية .. فعليهم ان يقوموا بالدور المطلوب فى شتى انحاء العالم .. !

وهؤلاء الأبناء والتلاميذ .. لم يكفوا يوماً عن رسالتهم تجاه المؤسسة الصهيونية .. فهم الآن مطالبون بمزيد من الجهد والابتكار .

الممثلة الاسرائيلية «انات اتزمون» اعطتها اسرائيل جائزة احسن ممثلة عن دورها فى فيلم «الشارع المسدود» !

الكاتبة فى مشهد بداية الفيلم ، وقبل ان تقرر هجران عالمها الانيق لتعيش الحياة البدائية فى مكان معزول بفلوريدا .. لقطة من فيلم «كروس كريك» !





سينما

فضائح وانحرافات بدلا من الدعاية المكشوفة

● المخرج الامريكى العجوز !

ولهذا لم يكن غريبا ان يواصل المخرج الامريكى العجوز « مارتن ريت » مهمته فى الدعاية لليهود بشكل فاضح ومثير .. وكانه يريد ان يختتم حياته باقتناع كامل انه ادى الرسالة المطلوبة منه .. فها هو الآن ، وقد تجاوز عامه الثانى والسبعين من عمره ، يقدم فيلما بعنوان « كروس كريك » - وهو أسم مكان فى فلوريدا - يدعو من خلاله لاهم مبدأ قامت عليه الدعوة الصهيونية .. بأن الارض لمن يرعاها وليست لمن يملكها .. فالارض - كما يقول هذا الفيلم بصريح العبارة - ملك للريح والمطر والشمس وللبذور .. وهى أيضاً ملك للزمن .. فمن يعطى الأرض ، الحب ، والرعاية .. تعطيه الأرض ، الزهور والخصوبة . !

ويستبيح المخرج الامريكى «مارتن ريت» لنفسه ، ان يؤكد هذا المبدأ من خلال توضيح الرمز حتى يفهم من لمن يفهم .. ان هذه الارض تطرح البرتقال !

وقد عرض هذا الفيلم داخل السينما الرسمية لمهرجان « كان » هذا العام .. معتمداً على اسم المخرج وتاريخه الطويل فى السينما الامريكية .. ولكن الفيلم لم يحقق اى نجاح ملحوظ داخل المهرجان .. وكان هذا نذيراً سيئاً برد فعل الجمهور الامريكى عندما يبدأ عرض الفيلم داخل امريكا فى اكتوبر القادم .

● المرأة التى حققت ذاتها

وفيلم « كروس كريك » ماخوذ عن قصة حياة الكاتبة الامريكية « مارجورى كنيان رولنج » وتجربتها الخاصة فى فلوريدا باوائل العشرينات من هذا القرن .. والتى سجلتها فى كتاب يحمل عنوان « ذكريات كروس كريك » .

ويحكى الفيلم قصة هذه المرأة التى تشق طريقها فى عالم الكتابة .. وقد كانت متزوجة من صحفى .. ولكنها تقرر ان تكسر كل القيود الاجتماعية المحيطة بها .. وان تنفصل عن زوجها .. وتختار هذه المنطقة الموحشة البدائية لتعيش فيها .. تبنى حياتها الجديدة بنفسها .. وتحقق ذاتها بدون مساعدة أو قيود من احد .

ويصور الفيلم هذه المرأة .. وكانهـــا مناضلة لها ارادة حديدية فهى لا تعـرف اليأس او التعب .. ورغم وحشية المكان الذى اختارته للاقامة .. الا انها سرعان ما تنظفه وتعيد اصلاح الابواب والنوافذ وتزينه بالاثاث الأنيق والستائر وكل ما يلزمها لحياة مريحة .. وهى تفعل كل هذا بمفردها فليس هناك جيران بالقرب منها .. بل ان اقرب بيت لها على مسافة عدة اميال وسط الاحراش .. وهناك بعض العائلات التى تسكن فى اماكن بعيدة متناثرة .

وهى دائما المرأة القوية المحبوبة .. التى تعرف كيف تفرض الحماية لنفسها .. بل وتساعد الآخرين على حل مشاكلهم .. وتنجح فى اقامة علاقات وثيقة مع سكان هذا المكان المهجور .. تروض الطباع الشرسة لاحد الرجال الذى يتعامل مع زوجته واطفاله بكل القسوة والعنف .. وتنشىء صداقة حميمة مع صبية صغيرة وتدافع عن رغبتها فى امتلاك غزال ، مهما تسبب هذا الغزال فى مشاكل لاهل البيت .

وهذه المرأة فى غمار معركتها لتحقيق ذاتها .. لا تنسى ان تؤجل عواطفهـــا الخاصة .. وترفض طلب زواج تقدم به صاحب الفندق الذى التقى بها صدفة فى الطريق الى هذا المكان .. وعرض عليها



الكاتبة والرجل الذى ارتبطت به ، بعد ان تاكدت من نجاحها فى الكتابة !



الفتاة المنحرفة بعد ان تحولت الى فتاة مختلفة بالماكياج والملابس .. لقطة من فيلم الشارع المسدود !

الشاب الاسرائيلى فى فيلم «الخماسين»



الشاب العربى فى فيلم «الخماسين»

مساعدتها باحترام واعجاب و يتمنى ان يرتبط بها .. ولكنها كانت قد قررت انهـــا لا يمكن ان تصبح زوجة وكاتبة فى نفس الوقت .. فاما ان تكون زوجة .. او كاتبة .. وهى تريد ان تصبح كاتبة معترفا بها ..

وتنتهى من كتابة رواية لترسلها الى الناشر مع خطاب خاص تحكى فيه عن المكان الذى تعيش فيه .. فيرد عليها الناشر بان الرواية لا تصلح للنشر .. وينصحها بان تكتب عن المكان الذى تعيش فيه وان تحكى عن نماذج من جيرانها . وتتلقى المراة صدمة الفشل بقوة وثبات .. لتبدا الكتابة عن « كروس كريك » هذا المكان بكل تفاصيل الحياة فيه .. وتبدا فى نفس الوقت جنى ثمار البرتقال التى تنوء بها الاشجار التى رعتها .

وبتحقق لها النجاح .. تصبح كاتبة معترفا بها .. وتصبح زوجة للرجل الذى ظل ينتظرها طوال هذه الفترة .. ويعرض عليها الانتقال إلى مكان اخر اكثر راحة ..

ولكنها ترفض باصرار واقتناع كامل .. وهى تردد : « لقد اصبحت جزءا من هذه الارض »

ثم تنشد كلماتها عن الارض التى لا تباع ولا تملك .. وانما تصبح من حق من يستثمرها . !

وينتهى الفيلم ، لنتساءل هل الموضوع حقا عن هذه الكاتبة وتجربتها فى هذا المكان .. ام ان المقصود شىء اخر . ؟!

المخرج الامريكى «مارتن ريت»

● تاريخ المخرج .. يكشف السر

ليس من المفروض ان نتحلى بالبراءة دائما .. بل لابد ان نكون على دراية بما يقصدون .. وان نفكر على نفس المستوى .. خصوصا اذا عرفنا ان المخرج « مارتن ريت » من اصل يهودى .. وانه منذ اربع سنوات قدم فيلم « نورما راى » الـــذى لعبت بطولته الممثلة « سالى فيلد » وحصلت على جائزة احسن ممثلة عن دورها فى هذا الفيلم من مهرجان كان ٧٩ .. ثم حصلت على جائزة اوسكار احسن ممثلة عن نفس الدور .. ورشح الفيلم ايضا لاوسكار احسن فيلم ..

ولم يكن هذا الفيلم (راجع مقال الدوحة اغسطس ٧٩) الا دعوة صريحة لتكريم هذا اليهودى الذى يدعو العمال للانضمام إلى نقابات العمال حفاظا على حقوقهم .. فهذا اليهودى هو شخص مناضل ، واعى ، ذكى ، محبوب ، يعرف كيف يشق طريقه وسط كل المصاعب .. ويختار هذه المراة الغارقة فى همومها العائلية ومشاكلها فى العمل (نورما راى) ليقف إلى جانبها .. يلقنها تعاليمه .. ويساعدها للبحث عن شخصيتها .. حتى تقف على قدميها .. وتتصدى لمحاولات اصحاب مصنع النسيج الذى تعمل به وتقود اضرابا عن العمل حتى يتحقق لها الهدف فى تكتيل العمال كقوة تطالب بحقوقها وبتشكيل نقابة لهم .

وتنتهى مهمة الرجل النقابى اليهودى بعد ان تحقق هدفه بانشاء نقابة فى تلك المدينة .. ويأتى موعد رحيله .. فيـــودع (نورما راى بقوله : « لا اقول وداعا . بل اقول كونى سعيدة) .. فتقول له « ما تعلمته منك كان شيئا عظيما » .. فيرد هو بتاكيد : « اشكرك لمعونتك لى .. اشكرك للصداقة » ..

وهكذا ينتهى فيلم « نورما راى » والبطل اليهودى هو رمز العقل والحكمة والاصلاح .

وبعد اربع سنوات يعود المخرج « مارتن ريت » ليلقى بكل ثقله فى فيلم « كروس كريك » معلنا ان الارض للاقوياء .

● « الخماسين » .. والحلم الكاذب

والمثير تماما .. ان الافلام التى خرجت من اسرائيل ذاتها .. تناقش مسالة الارض بوجهة نظر مختلفة ..

على الاقل هذين الفيلمين اللذين عرضا خلال هذا العام فى اكثر من مهرجان سينمائى دولى ..

الفيلم الاول .. بعنوان « الخماسين » الذى اخرجه المخرج الاسرائيلى الشاب « دانيل فاشسمان » .. ومنحت اسرائيل هذا الفيلم جائزة احسن فيلم لعام ٨٢ .. وجائزة احسن اخراج .

وخرج الفيلم إلى العالم وسط دهشة بالغة .. حتى ان بعض الصحف الامريكية وصفته بانه اجرا فيلم اسرائيلى يناقش المسالة العربية الاسرائيلية .

وعنوان « الخماسين » يشرح نفسه .. انها الرياح المحملة بالاتربة والتى تعصف بكل شىء .. والفيلم ينتهى بهذه الرياح كحدث من احداث الطبيعة .. وايضا

نساء فلسطينيات .. يبكين الارض المسلوبة .. لقطة من فيلم «يوميات الاحتلال» .



كنتيجة للعلاقات المتوترة التى تحكم شخصيات الفيلم ..

وتدور احداث الفيلم فى قرية بالجليل بين شاب اسرائيلى يملك بيتا ومزرعة يقيم فيها مع امه واخته .. وهناك شاب عربى يعمل عنده فى المزرعة .

هذا الشاب العربى يعرف ما تفعله الحكومة الاسرائيلية من مصادرة واغتصاب اراضى العرب .. ولكنه لا يبالى .. فهو يريد ان يعيش فى هدوء .. وتتصاعد كل الاحداث من حوله حتى يقع ضحية عنف بعض الشباب الاسرائيلى الذين يتكتلون ضده ويضربونه .. فى نفس الوقت الذى يمارس فيه الاسرائيليون منتهى الشراسة والبجاحة ضد العائلات العربية .. يغتصبون الأرض .. ويطردون السكان .. وينهبون متاجرهم .

وينتهى الحلم الكاذب بالتعايش السلمى .. بمقتل هذا الشاب العربى تحت اقدام ثور هائج يطلقه الشاب الاسرائيلى الذى يستخدمه فى مزرعته ..

ان القتل والعنف يبدأ دائما من جانبهم .. والأرض مسلوبة بقوة السلاح .

● يوميات العنف والبلطجة

الفيلم الثانى .. عنوانه « يوميات الاحتلال » للمخرج الاسرائيلى الشاب « اموس جيتاى » الذى صنع تحقيقا مصورا بالغ الجرأة عن كل مظاهر العنف فى الجيش الاسرائيلى داخل المدن والقرى العربية المحتلة ..

وضع المخرج الكاميرا امام الجنود الاسرائيليين وسجل على الطبيعية كل تصرفاتهم وكلماتهم .

الغطرسة والشراسة فى كلماتهم .. وهم يحاولون منع التصوير .. وخطف الكاميرا .. وعندما يناقشهم المخرج – والحوار بينهم مسجل بالكامل فى الفيلم – ان هذا ليس من حقهم .. فيكون رد فعل احد الجنود انه يضع يده على عدسة الكاميرا .. وتظلم الشاشة .. وتبدو احيانا بعض ملامح الصورة من وراء اصابعهم .. ثم ينطلق المخرج بالكاميرا إلى بيوت العرب وارضهم المسلوبة واشجارهم التى زرعها الاجداد واصبحت الآن فى قبضة الجنود الاسرائيليين ..

وحركة بناء المستوطنات الاسرائيلية .. واحد المستوطنين يقول بغطرسة وغباء أحمق « لا يمكن ان تعيد الحكومة هذه الأرض للعرب » وتلتقط الكاميرا أطفال هذا الرجل وهم يلعبون فى هذه الأرض ومعهم كلبهم الصغير .. بينما فى مكان اخر قريب بعض النساء العربيات يدرن فى حلقة ينشدن اهازيجهن الحزينة الباكية عن الأرض المفقودة .. وصوت بيجين فى احد خطبه يقول « ان فلسطين وسوريا ما هى الا اسماء لأرضنا » ! .. واحد الجنود الاسرائيليين يعلق ببجاحة متناهية « علينا ان نضرب العرب ولا ننتظر حتى يحاربوننا » ويرد عليه جندى آخر زميله ولكنه يبدو عليه انه من جناح اخر معتدل : « لا اوافقك الرأى .. لماذا لا نعطيهم ارضهم ونعيش فى سلام » !

وهكذا يمضى هذا الفيلم الوثائقى الذى سجل كل لقطاته بلا اعداد مسبق .. بل ترك كل شىء كما يحدث فى الواقع لنخرج بانطباع اكيد ووحيد .. ان هذه القوة الاسرائيلية لا تستند إلا على العنف والقهر وان الاستيلاء على الأرض وتغيير ملامحها هو هدفهم الأساسي لقطع كل الجذور .

● العالم السفلى فى تل أبيب

ومن داخل « تل ابيب » يقدم المخرج الاسرائيلى الشاب « ياكى يوشا » فيلما بعنوان « الشارع المسدود » حصلت ممثلته

المخرج يحتفظ بنسخة الفيلم ، وزميلته فى التليفزيون تحاول الحصول عليها.

الضحايا فى لبنان .. صورة من الواقع تجيب على السؤال الذى يطرحه الفكر الصهيونى فى فيلم «كروس كريك» .







اثناء تصوير فيلم الطريق المسدود .

على جائزة احسن ممثلة فى اسرائيل عام ٨٢ .. وقد عرض هذا الفيلم فى برنـــامج « نصف شهر المخرجين » احد الاقســـام الهامة فى مهرجان « كان » لهذا العام .

ويتعرض الفيلم لهذا العالم السفلى فى اسرائيل .. حيث الانحرافات والمخدرات والعنف والبلطجة .. ففى خلف هذه البنايات الضخمة فى تل ابيب .. توجد تلك الخرابة المهجورة والتى لا تتنفس الا ليلا من خلال تجمع المنحرفات .

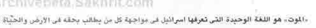
ويفكر احد المخرجين فى التليفزيون فى تقـديم تحقيق تليفزيونى عن واحـــدة منهن بمنطق ان يصنع منها امراة مختلفة .. ويتم اختيارها كنموذج يتميز بالشراسة والعدوانية ، وتجرى محاولات اقناعهـا بالدور المطلوب .. وهى لا تكف عن الرفض والشتائم .

الغريب تماما فى هذا الفيلم الناطق بالعبرية .. ان كل الشتائم القذرة تقال باللغة العربية الدارجة) .. ويحاول المخرج ان يكسبها كصديقة اولا حتى يروضها ويكسبها للبرنامج .. وعندما يتحقق له هذا .. يخضعها لعملية ماكياج دقيقة فى محاولة لاعادة البراءة إلى ملامحها .. ويختار لها ملابسها .. ويحدد لها حركتها وتصرفاتها .

وتتغير هذه الشخصية إلى فتاة مختلفة لا يكاد يتعرف عليها زملاؤها .. وتعجب هى بالشخصية الجديدة .. وتتعلق بالمخرج وتطلب منه بالحاح الا يعرض الفيلم الذى صوره عنها .. فهى لا تريد ان يعرف أحد ماضيها .. لقد غيرت اسمها .. وغيرت ملامحها .. وتغير اسلوبها .. فلماذا تعود مرة اخرى إلى الماضى .. ويقتنع المخرج بوجهة نظرها حبا منها وتقديرا للجهد الذى بذلته فى التحول .. ولكن عندما تعلم زميلته فى البرنامج بهذا الاتفاق تثور ضده وتنتزع منه الفيلم .. وفى هذه اللحظة تدرك الفتاة نهايتها .. فتسرع إليها .. حيث تلقى بنفسها امام احدى الشاحنات الضخمة لتصرعها على الفور .. وينتهى الفيلم .

والقصة حقيقية .. حدثت فى تل ابيب عام ٧٧ .. واذاع التليفزيون الاسرائيلى الفيلم الذى صور عن هذه « الفتاة » بعد مصرعها بساعتين .

وقد اعترف المخرج «ياكى يوشا» بانه تعرف على بطلة هذا الحادث اثناء تصوير البرنامج التلفزيونى .. واحس من خلال كلماتها انها تريد ان تغير حياتها .. وتكسب قوتها بعمل شريف .. فاستخدمها فى الأستوديو اثناء تصوير احد افلامه ، لتصنع الشاى والشطائر للعاملين فى الفيلم .. واعربت له عن مشاعرها بعدم رغبتها فى ظهور البرنامج التلفزيونى .. وكما يقول المخرج انه لم يصدقها لحظتها .. ولهذا فهو يقدم هذا الفيلم عنها .. كاعتذار عما حدث ..



«الموت» هو اللغة الوحيدة التى تعرفها اسرائيل فى مواجهة كل من يطالب بحقه فى الأرض والحياة



لقطة من العمل داخل المزرعة فى فيلم الخماسين .



والمخرج «ياكى يوشا» كنت قد قدمت فيلمه السابق «النسر» فى الدوحة عدد سبتمبر ٨١ .. وقد كان ذلك الفيلم ادانة للجيش الاسرائيلى .. وتجارة الموت التى نشأت فى اسرائيل بعد حرب ٧٣ .

وها هو فى فيلمه الجديد «الشارع المسدود» ياخذ شريحة من الحياة فى الاماكن المظلمة خلف البنايات الضخمة التى تملأ قلب تل ابيب .. هذه الحياة بكل عفويتها وقذارتها وشراستها .. وحيث تتواطأ الشرطة مع العصابات وتتقاسم معهم النقود ..

وهذا الفيلم رغم حرفيته المتميزة فى الاخراج والتمثيل .. إلا انه لا يرقى ابدا الى مستوى فيلم «النسر» .

● اللعبة الجديدة

ولكن ما يدعو للتوقف والتساؤل .. هذا التغير الذى حدث فى سياسة الانتاج السينمائى الاسرائيلى .. وكيف اصبحت الأفلام التى تخرج من اسرائيل تهاجم النظام الحاكم فى اسرائيل .. وتعرى كل الفضائح والانحرافات .

هل هى فعلا مسالة ديموقراطية .. ؟

ولكن هل نصدق ان حكومة بيجين تطبق الديموقراطية .. خصوصاً فى السينما .. وهم يدركون جيداً مدى تاثير السينما .. وقوة الاعلام من خلالها ؟ .

ام ان المسالة هى لعبة توازن بين ما يقدمونه .. وبين ما يقدمه ابناؤها المنتشرون فى مؤسسات الفن والاعلام بالخارج ..

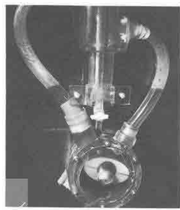
ان سمعة النظام الاسرائيلى وما فعله من جرائم فى لبنان ومع ابناء فلسطين .. والتعنت الواضح وسياسة العنف والدم التى هزت ضمير العالم خلال العامين الماضيين بالذات .. لا يمكن ان تسمح لأحد فى العالم بان يصدق دعوة تعاطف مع اليهود تصدر من اسرائيل ..

ولكن من الممكن ان تمر هذه الدعوة إذا حملت اى لافتة اخرى ..

ومن هنا .. علينا ان نفهم هذه اللعبة الجديدة .

«رءوف توفيق»

محرك ميكانيكي بدلا من القلب



نموذج القلب الفرنسى

يقدم طبيب فرنسى نموذجا جديدا للقلب الصناعى لا يلتزم بشكل القلب الطبيعى وانما هو اقرب ما يكون لمضخة ذات دوار بيضاوى استوحى شكلها من المحركات الميكانيكية . ولقد صنع القلب الفرنسى من مواد كربونية مركبة يتقبلها الجسم لان جهاز المناعة فيه يجهل وجودها تماما .

ويؤكد الطبيب الشاب ان ابتكاره اكثر تطورا من النموذج الامريكى فهو يتميز بان المحرك موجود داخل القلب ذاته مما يمنح المريض مزية حركة بعكس القلب الامريكى حيث كان على الدكتور بارنى كلارك ان يجر وراءه ١٥٠ كيلو جراما من الاجهزة .

ولتزويد المضخة بالطاقة اللازمة لتشغيلها يتم زرع بطارية حجمها اكبر قليلا من حجم منظم القلب المعروف وتشحن هذه البطارية بشكل مستمر بالقوة الدافعة التاثيرية لبطارية خارجية صغيرة يثبتها المريض فى حزامه . وتستطيع البطارية المزروعة مواجهة اى مجهود عضلى اضافى يقوم به المريض .

ولعل من اهم مميزات هذا القلب المضخة ان الدم الذى يتجمد داخله يتحول خلال اسابيع قليلة الى نسيج حي ويغطى سطح القلب الصناعى نسيج طلائى مما يحل جذريا مشكلة رفض الجسم للعضو المزروع ولقد تم تجربة هذا القلب بنجاح على الحيوان ومن المتوقع تجربته على الانسان خلال عامين .

هاتف يكتب الرسائل

لا تستطيع بعض المهن الاستغناء عن الهاتف سواء فى المنزل او خارجه . ولذلك زودت السيارات بالهاتف اللاسلكى . ولكن البعض يرى انه غير كاف فسوف يتعذر الاتصال اذا غادر هذا الشخص السيارة للقيام بزيارة او مستروات او حتى لتناول الطعام .

ومن ثم تم ابتكار هاتف لاسلكي جديد مزود بطباعة لاستقبال الرسائل مكتوبة بحيث يجدها صاحب الهاتف عند عودته . ولا يكتفى هذا النظام بهذا الموقف السلبى وانما ينبه صاحبه عن طريق جهاز استقبال صغير يحمله فى جيبه اينما ذهب بان هناك رسالة يجرى استقبالها على الهاتف .

ويتميز النظام بالدقة فلا مجال لحدوث اى خطا فالرسالة المكتوبة لا تعطى فرصة لاى التباس فى المعنى سواء من قبل المرسل او المستقبل . ولا يستغرق ارسال الرسالة سوى ثانية واحدة وهو زمن قياسي . كما يمكن تكويدها لتفادى اى عمليات تصنت غير مرغوب فيها .

اما السنترال فمزود بكمبيوتر يحتفظ بالرسائل فى ذاكرته ليبثها بمجرد ان يصبح التردد غير مشغول وهو يستطيع اختزان ٤٥٠ رسالة . ويسجل جهاز الكمبيوتر تاريخ وساعة الارسال والاستقبال لاى رسالة . كما يستطيع الهاتف الجديد الاحتفاظ فى ذاكرته برسالة واحدة حتى يتم طبع الرسالة السابقة .



الهاتف الجديد يطبع الرسالة

اشعة الليزر وتحديد عيوب البصر

احدث جهاز فى موجة الاجهزة الطبية للتشخيص الذاتى هو جهاز لاختبار قدرة الابصار وحدته . ففي خلال ثوان معدودات يكتشف الجهاز البريطانى الجنسية اذا كان هناك عيب وما نوعه . ولا يزيد حجمه عن حجم الآله الكاتبه الصغيرة وهو يعمل باشعة الليزر .

ويحتوى الجهاز على مولد اشعة الليزر يقوم بتوجيه الشعاع الضوئى الى عين الشخص من خلال شاشة دائرية صغيرة .

وعندما ينعكس الشعاع من العين فان نقطا تظهر على الشاشة وتتحرك فى حالة وجود خلل فى قدرة الابصار . ويستطيع الجهاز تحديد نوع العيب تبعا لحركة النقط . ولان الجهاز ذكى فهو يبين للمريض اذا كان هناك اكثر من عيب من عيوب البصر بل ويحدد ايضا نوع العدسات اللازمة لتعويض هذا العيب .

ولكن هذا الجهاز لا يغنى بالطبع عن الفحص المتخصص للعين .

التوقيت فى كل انحاء العالم



الساعة العالمية

نعلم جميعا ان من نتائج دوران الأرض ان الشمس عندما تشرق على مناطق من الكرة فهي تغيب عن مناطق اخرى ومن ثم فان التوقيت يختلف من بلد الى اخر تبعا لموقعه الجغرافى .

ولكن هذه الكرة الارضية تتيح لك معرفة الوقت فى اى بلد فى العالم وفى اى لحظة بشرط واحد ان يكون هذا البلد وجوداً على الخريطة . ويكفي لذلك تدوير الكرة الارضية حول محورها حتى تضيء المدينة التي تريدها بضوء احمر وفى نفس الوقت تظهر على شاشة صغيرة التوقيت المحلى للمدينة التى تقيم بها وتوقيت المدينة المطلوبة ويكتب الوقت بارقام واضحة .

ويتم ضبط هذه الساعة مرة واحدة عند بداية تشغيلها وذلك بان نجعل اسم المدينة التى تقيم بها يضيء باللون الاحمر ويتم ضبط كل من التوقيت العلوى والسفلى الذى يظهر على الشاشة على الساعة حينذاك .

ولكن لا تاخذ هذه الساعة فى الاعتبار التوقيت الصيفي او الشتوى المعمول به فى بعض البلدان .

طماطم لها جلد بقرة

قد يصعب فى بعض الأحيان الفصل بين بعض انواع الحيوان والنبات بشكل قاطع خاصة فيما يتعلق بالكائنات وحيدة الخلية . ويوجد فى الطبيعة كائنــــات لا يمكن تصنيفها اذ تضم صفات حيوانية ونباتية فى ان واحد . ولكن ولاول مرة نجح باحثان المانيان فى تخليق كائن هجين نباتى ـ حيوانى .

واستخدما فى ذلك تقنيات متطورة فى مجال التهجين الخلوى اى التهجين على مستوى الخلية وليس على مستوى الكائن الحي . وتتلخص الطريقة فى احداث اندماج خلوى بين خلية نباتية واخرى حيوانية . ولتحقيق هذا الاندماج استعمل الباحثان قطبين كهربيين فى وسط يضم مزرعة من خلايا الطماطم وخلايا بقرة وبامرار تيار كهربى لمدة قصيرة جداً يحدث اندماج خلوى جزئي فى الحال ويتحول الى اندماج كامل بعد عدة ســــاعات من الحضانة .

وبذلك حصل الباحثان على خلايا هجين تضم العوامل الوراثية لكلا النوعين . وعندما نمت هذه الخلايا فى وسط اخر اعطت نباتاً مدهشا تشبه ثماره الى حد كبير ثمار الطماطم إلا ان لها غشاء خارجيا سميك جداً مثل جلد الابقار . وبالرغم ان الباحثين لم يفصحا عن خططهما بالنسبة للمستقبل فان هذا البحث يعد ثورة فى مجال التهجين فلاول مرة يلتقى العالم الحيوانى والعالم النباتى .

معمل طبع لا يخشى الضوء



معمل جديد للصور الملونة

يستطيع هواة التصوير الخروج من الحجرة المظلمة لطبع الصور الملونة وتكبيرها فى ضوء النهار او تحت الاضواء الساطعة وذلك بفضل جهاز طبع جديد .

وكما يتضح من الصورة فان ارتفاعه لايتجاوز ١٩ بوصة ويستطيع تكبير شرائح وصور سلبية مقاس ٣٥ ملليمترا الى اى من المقاسات الثلاثة التالية : ٥ / ٧ او ٨ / ١٠ أو ١١ / ١٤ .

ولا يحتاج الجهاز الى اى تجهيزات خاصة كتوفير ماء جارى مثلا . وفى حالة عدم استخدامه يمكن طيه بحيث لا يشغل حيزاً كبيراً ويسهل حفظه على احد الارفف او داخل خزانة صغيرة .

ويتكون الجهاز الجديد من آلة تكبير مثبتة فوق كاسيت غير منفذ للضوء يحتوى ورق الطبع الفوتوغرافى . وقبل تعريض النسخة للضوء يقوم المصور بمراجعة عملية التكبير اذ يمكن ضبط وتعديل الالوان للحصول على توازن افضل قبل الطبع .

كما يتيح هذا الجهاز الحصول على تاثيرات فوتوغرافية خاصة باحداث تداخل بين شريحتين او اعادة ترتيب الصور فى عملية مونتاج بسيطة . وبمجرد تعريض الصورة للضوء يمكن اخراجها من الجهاز وغسلها بالماء ثم تجفيفها خلال دقائق معدودات .

وينتظر طرح هذا الجهاز الذى لا يتطلب مواد كيمائية معينة او نوع خاص من ورق الطبع قبل نهاية هذا العام فى الولايات المتحدة .

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة : رووف



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا .

أصل وصورة





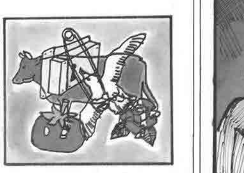
● هناك سبعة اختلافات بين أصل وصورة الشاعر الراحل أمل دنقل ، الذى كان يرى دائماً أن الشاعر الحق هو القادر على النفاذ ببصيرته الى العناصر الفعالة فى تراث امته .. هل تستطيع التعرف على هذه الاختلافات ؟ .. حاول لتحصل على جائزة !

لوحة لم تتم



● هذه اللوحة لصحفى كبير اشتهر بين قرائه بعموده اليومى « نحو النور » الذى ظل يكتبه بصفة منتظمة لأكثر من ربع قرن .. أكمل اللوحة لتتعرف على الشخصية .. وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط !



● امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة ....

هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. ؟ .. حاول وارسله الينا لتفوز بجائزة (......)

يخلق من الشبه أربعين










● الصور الست المنشورة لشخصيات شديدة الشبه بالكاتب العربى الكبير احمد بهاء الدين الذى تشد كتاباته القارىء العربى فى كل مكان .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟

المثل يقول



● إن هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى .. هل تستطيع معرفته ؟ ..

دورى الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا ربما تفوز بجائزة .....



اطرح الأسئلة : انها قوتك الوحيدة

بقلم : عبدالقادر عقيل

الشعراء يهجرون الشعر

في الثالث من مايو ١٩٨٣ نظمت مجلة (الغدير) العمانية ، التي تعني بالشئون الثقافية والادبية ، امسية شعرية شارك فيها سبعة من الشعراء العمانيين ، وقد فاجأ الشيخ عبدالله الخليلي ، كبير ادباء عمان ، الحضور بقصيدة « استقالة من الشعر » يودع فيها الشعر ويعلن انه سيهجر الشعر الى الأبد :

مالي وللشعر يحدوني واحـــدوه
غـداة اوشك يسلوني واسلـــوه
غـداة لا العود تكسوه نضارتـــه
ولا الفؤاد يناجيـــه محبـــوه
ولا الحيـــاة كما كانت معطـــرة
ولا العنان عنـــان حين تدعـوه
والدهر ينظر إما مادحـــا ملقـا
او مطربـــا يتغنى بالهوى فــوه
وما سوى ذين إما ذو حساسيـة
او ذو جفـاء جفـا مغنـاه اهلوه

والشاعر الخليلي يؤكد في قصيدته الوداعية على محنة الشاعر العربي الذي يتالم ويتوجع ويحترق وحيداً ، يرى الأمة العربية وهي تخسر كل شيء .

والخليلي يرى ان الحياة ليست « كما كانت » ، وان الشاعر العربي غير حر في ان يقول مايريد ان يقوله ، وغيرحر في اختيار موضوعاته التي يريد ان يتحدث فيها . فالزمان العربي لا يسمح الا بالشاعر / الموظف الذي غير منتظر منه سوى المديح والمحاباة وغض البصر عما يراه ويسمعه ويعيشه .

لقد فاجأ الشاعر الخليلي الحضور فعلا لانهم كانوا يعرفونه شاعراً يدافع عن قضايا وطنه وامته . فكيف يهجر الكتابة ؟

ويبدو ان المفاجأة والدهشة لا تفعلان اي فعل هنا . فهذه الأمة قد اعتادت على خسارة المبدعين فيها دون أن تهتز لها شعرة . الم نخسر : امل دنقل / خليل حاوي / علي فودة / صلاح عبد الصبور / نجيب سرور في فترة قصيرة ؟

هذه الأمة لا تستطيع أن تحزن على شعرائها ، فهي قد اعتادت على أن تخرجهم من دائرة الوجود .

لن يكون الشاعر الخليلي اخر الشعراء الذين سيهجرون الشعر والكتابة في هذا الزمان . وان كنا نتمنى ، صادقين ، ان يعدل عن رايه ، وان يعود الى شعره الذي يعترف بانه .

لا أكذب الله ليس الشعر يكرهني
كلا ولا كـــاد يقلوني واقلـــود

فمن قبل أصدر الكاتب السعودى جار الله الحميد بيانا يعلن فيه توقفه عن الكتابة . ومن قبل توقف ثلاثة من الشعراء البحرانيين : يعقوب المحرقي ، عبد الحميد القائد ، ابراهيم بوهندي . ومع تفاوت الاسباب ، الا أن الجميع اتفق على هجر الشعر والكتابة .

اننا نرى :

١ ـ ان التدهور الحضري الذي وصلت اليه هذه الأمة ليس أمراً جديداً وغريبا . وأي شاعر مبدع كان بامكانه ، بعينه المستقبلية ، أن يدرك ان الحالة ستصل الى هذا السوء ، او الى الاسوأ . فهزيمة بيروت ماهي الا حلقة ممتدة من سلسلة الهزائم التاريخية التي منيت بها هذه الأمة .

لم إذن يستقبل الشاعر الهزيمة الجديدة كما لو انها حدث غيرمتوقع ؟ لم الدهشة والحيرة إزاء سقوط بيروت او سقوط مدينة عربية اخرى ، او إذا تحالفت كل الأمة مع اعدائها ؟ اليست مهمة الشاعر ان يكشف المستقبل قبلنا جميعا ؟

٢ ـ التوقف عن الكتابة / الابداع هو اكبر خدمة يسديها اى كاتب لاعدائه الذين يتربصون به ويحتالون عليه حتى يجعلوه إما خاضعا او معتزلا .

٣ ـ وعلى هذا فمطالبة الشاعر العربى ان يقول ما يشاء ويعبر كيفما شاء هى مطالبة غير (واقعية) والأمة تمر بمثل هذه الأوضاع . فالموضوعات التى لا يسمح بالخوض فيها ستظل غير مسموحة طالما الآخر لا يرغب فى سماعها .

٤ ـ الشعر ليس وظيفة سياسية ، والشاعر الذى يعتقد ان بامكان شعره ان يغير حال هذه الأمة او ان يحرر الأراضى العربية المحتلة يقع فى مازق يؤدى به الى الانهيار او التوقف . فالشاعر فى هذه الحالة يحدد فترة زمنية يتوقع فيها ان تتغير الاحوال وتتبدل الظروف ، وحين تمر هذه الفترة ، ولا يحدث فيها شيء ، يتوقف . فالكتابة التى راهن عليها للتغيير ما فعلت فعلها ، لذا تصبح غير مجدية بالمرة .

٥ ـ مهمة الشاعر أن يظل يطرح الأسئلة التى تخلق الأسئلة ولا يتوقف . ان يكشف المستقبل . ان يقرع الأجراس المزعجة ولا يتعب . أن يكون اداة هدم لكل ما هو متخلف وعائق ضد التطور الطبيعى للحياة الانسانية .

٦ ـ الشعراء ، يقول شيلى : هـم مرايـا الظـــلال الهائلـــة التى يلقيها المستقبل على الحاضر . الكلمات التى تقول ما لا تفهمه ، الأبواق التى تصدح داعية الى القتال دون أن تعي ما توجيه ، المؤثر الذى يحرك ولا يتحرك . ان الشعراء هم مشرعو العالم غير المعترف بهم .